

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِيقَاتُ الْحَجِّ

جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ

السنة : ٢٢ - العدد : ٤٣

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

الرئيسة العلمية :

١. سماحة الشيخ جعفر السبحاني
 ٢. سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي
 ٣. سماحة الشيخ محمد القايي
-

المدير المسؤول :

السيد علي قاضي عسكر

مدير التحرير :

محمد علي المقدادي

ملاحظات :

- يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الذين يرغبون في التعاون مع المجلة أن يراعوا عند إرسال مقالاتهم النقاط التالية:
١. أن تقترن المقالات بذكر المصادر والهوامش بدقة وتفصيل.
٢. أن لا تتجاوز المقالة ٤٠ صفحة وأن تكون مضروبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كل ورقة.
٣. أن تكون المادة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.
٤. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحق في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.
٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسسٍ فنيّةٍ وليس لأسباب أخرى.
٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.
٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر وآراء كتّابها.
٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.
٩. ترحب إدارة التحرير في مجلة «ميقات الحج» بملاحظات القراء الكرام ومقترحاتهم.

الفهرس :

خلاصة المنهاج في مناسك الحاج

٧ / العلامة الحلّي

رسالة المرجع الديني آية الله الشيخ جعفر السبحاني

٤١ / إلى أحد علماء السعودية

﴿وَالْبُذْنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

٧٩ / الأستاذ: محسن الأسدي

حديث الغدير، مقارنة و دراسة لطرقه و...

١٥٣ / الدكتور يحيى عبدالحسن الدوخي

فضائل الحرمين الشريفين (٧)

١٩٣ / محمدعلي المقدادي

املك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية ...

٢٢١ / الدكتور رسول جعفريان - جامعة طهران

٢٨٣ / أخبار الحرمين الشريفين

خلاصة المنهاج في مناسك الحاجّ

للعلاّمة الشيخ حسن بن يوسف بن المطهّر الحليّ (ت ٧٢٦هـ)

تحقيق: محمّد جواد حسن زاده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُحمد لله الممدوح بكلّ لسان، الغنيّ بظاهر محامده عن الإيضاح
والبيان، بديع السماوات والأرض، باسط الفضل في الطول والعرض،
والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمّد المبعوث لحفظ النظام، المنعوت بما
هو أهله من الإجلال والإعظام، وعلى آله الطيّبين الطاهرين الذين أذهب

الله عنهم الرّجس وطهّهم تطهيراً.

أمّا بعد، فإنّ فريضة الحجّ من الفرائض الإسلاميّة، ذات الأهميّة في الدّين، بحيث من تركها وهو مستطيع عن عمد وإنكار، عدّ كافراً، كما صرّح به قوله تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^١.

وحينئذٍ يجب لمن يريد أداء الحجّ والعمرة معرفة أحكامها من واجبات ومحرمات، ثمّ أدائها بعد ذلك والقيام بهما، ومن هنا قام الفقهاء والمراجع بتحديد الوظائف للحاجّ، فألفوا كتباً خاصّة ترشد الحجاج والمعتمرين، إلى ما يؤدّون في مقام العمل، وسمّوها بـ «المناسك»، وقد ألف العلامة الشهير ذو الآثار الكثيرة النافعة الشيخ الجليل حسن بن يوسف بن المطهر الحليّ، كتاباً سمّاه بـ: «المنهاج في مناسك الحاجّ» ليبين ما يحتاجه الحاجّ والمعتمر، ثمّ لخّصه بنفسه وسمّاه: «خلاصة المنهاج في مناسك الحاجّ».

المؤلّف: اسمه و لقبه

هو أبو منصور جمال الدّين الشيخ حسن بن يوسف بن المطهر الحليّ، ولد ليلة ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨ هـ في الحلة، ومات يوم ٢١ من المحرم من سنة ٧٢٦ هـ، ودفن في حرم أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف الأشرف، واشتهر بـ «جمال الدّين» لاكتسابه الاجتهاد قبل البلوغ،

وقام بالمرجعية وعمره ٢٨ عاماً، عاش في العراق، وهاجر إلى إيران في زمن سلطان «الجابيتو» وباحث مع علماء السنة في إيران، وبسبب غلبته عليهم استبصر السلطان، وانتشر مذهب الإمامية وقلب اسمه بـ «محمد خدابنده».

* * *

أساتذته:

الشيخ يوسف سديد الدين (والده).
المحقق الحلّي، وله إليه نسبة وقراءة.
السيد رضي الدين عليّ بن طاوس.
السيد أحمد بن طاوس.
الخواجه نصير الدين الطوسي.
يحيى بن سعيد الحلّي.
مفيد الدين محمد بن جهم الحلّي.
كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني.
جمال الدين حسين بن أياز النحوي.
محمد بن محمد بن أحمد الكشي.
نجم الدين عليّ بن عمر الكاتبي.
برهان الدين النسفي.

الشيخ فاروق الواسطي.

الشيخ تقي الدّين عبد الله بن جعفر الكوفي.

تلامذته: وهم أكثر من ٥٠٠ شخص، ومنهم:

فخر المحققين الشيخ محمد بن حسن بن يوسف الحلّي (ولده).

السيد عميد الدّين عبد المطلب (ابن أُخته).

السيد ضياء الدّين عبد الله الحسيني الأعرجي الحلّي (ابن أُخته).

الشيخ تاج الدّين السيد محمد بن قاسم الحسيني المشهور بابن معيّة.

الشيخ رضي الدّين أبو الحسن عليّ بن أحمد الحلّي.

قطب الدّين الرازي.

الشيخ تاج الدّين محمود بن مولا.

الشيخ تقي الدّين إبراهيم بن حسين الآملي.

الشيخ محمد بن عليّ الجرجاني.

مؤلفاته: شملت آثاره العلميّة مختلف العلوم: الفقه، والأصول، والكلام،

والحديث، والرجال، وعلم التفسير، والفلسفة، والمنطق، والدّعاء،

والأدب، وهي حسب الموضوعات هكذا:

الأول: الفقه:

منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

تلخيص المرام في معرفة الأحكام.

غاية الإحكام في تصحيح تلخيص المرام.
 تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية.
 مختلف الشيعة في أحكام الشريعة.
 تبصرة المتعلمين في أحكام الدين.
 تذكرة الفقهاء.
 إرشاد الأذهان في أحكام الإيمان.
 قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام.
 مدارك الأحكام.
 نهاية الإحكام في معرفة الأحكام.
 المنهاج في مناسك الحاج.
 تسييل الأذهان إلى أحكام الإيمان.
 تسليك الأفهام في معرفة الأحكام.
 تنقيح قواعد الدين.
 تهذيب النفس في معرفة المذاهب الخمس.
 المعتمد في الفقه.
 رسالة في واجبات الحج وأركانه.
 رسالة في واجبات الوضوء والصلاة.
 قواعد الإسلام.

الثاني: أصول الفقه:

- التَّكْتُ البديعة في تحرير الذريعة.
- غاية الوصول وإيضاح السبل.
- مبادئ الوصول إلى علم الأصول.
- تهذيب الوصول إلى علم الأصول.
- نهاية الوصول إلى علم الأصول.
- منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول.

الثالث: الكلام:

- منهاج اليقين.
- كشف المراد.
- أنوار الملكوت في شرح الياقوت.
- نظم البراهين في أصول الدين.
- معارض الفهم.
- الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة.
- كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد.
- تسليك النفس إلى حظيرة القدس.
- نهج المسترشدين.
- منهاج الهداية ومعارض الدراية.
- منهاج الكرامة.

نهاية المرام.

نهج الحقّ وكشف الصدق.

الألفين.

الباب الحادي عشر.

أربعون مسألة.

رسالة في خلق الأعمال.

استقصاء النظر.

الخلاصة.

رسالة السعدية.

رسالة واجب الاعتقاد.

إثبات الرجعة.

الإيمان.

رسالة في جواب سؤاليين.

كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

جواهر المطلب.

التناسب بين الأشعرية و فرق السوفسطائية.

المباحثات السنية والمعارضات النصرية.

مرثية الحسين عليه السلام.

الرابع: الحديث:

استقصاء الاعتبار في تحقيق معاني الأخبار.
مصاييح الأنوار.
الدرر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان.
نهج الوضاح في الأحاديث الصحاح.
جامع الأخبار.
شرح الكلمات الخمس لأمير المؤمنين عليه السلام.
مختصر شرح نهج البلاغة، شرح حديث قدسي.

الخامس: الرجال:

خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.
كشف المقال في معرفة الرجال.
إيضاح الاشتباه.

السادس: التفسير:

نهج الإيمان في تفسير القرآن.
القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
إيضاح مخالفة السنة.

السابع: الفلسفة و المنطق:

القواعد والمقاصد.

- الأسرار الخفية.
- الدرّ المكنون.
- المقامات.
- حلّ المشكلات.
- إيضاح التلبّيس.
- الجوهر النضيد.
- إيضاح المقاصد.
- نهج العرفان.
- كشف الخفاء من كتاب الشفاء.
- مرصد التدقيق ومقاصد التحقيق.
- المحاكمات بين شراح الإشارات.
- إيضاح العضلات من شرح الإشارات.
- نور المشرق في علم المنطق.
- الإشارات إلى معاني الإشارات.
- بسط الإشارات.
- تحرير الأبحاث في معرفة العلوم الثلاثة.
- تحصيل الملخص.
- التعليم التام.
- شرح القانون.

شرح حكمة الإشراق.
القواعد الجليّة.

الثامن: الدُّعاء:

الأدعية الفاخرة المنقولة عن الأئمة الطاهرة.
منهاج الصلاح في اختصار المصباح.

التاسع: الأدبيّات:

كشف المكنون من كتاب القانون.

بسط الكافية.

المقاصد الوافية بفوائد القانون والكافية.

المطالب العليّة.

لبّ الحكمة.

* * *

وأما الرسالة المحاضرة بين أيديكم الكريمة والمسماة بـ: «خلاصة
المنهاج في مناسك الحجاج» فهي لم تطبع حتّى الآن، ونعرف منها خمس
مخطوطات:

ألف: في ضمن المرقمة ٨٨٩٢، في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي
بتهران، بخطّ أحمد ابن محمّد بن الحدّاد، نسخها في سنة ٧٤٧ هـ.

ب: المخطوطة المرقّمة ٢ / ٣١١ = ١٣١٢ في مكتبة آية الله السيّد الكلبيّكاني بقم.

ج: المخطوطة المرقّمة ٢ / ٤٦٤٣ في مدرسة غرب بهمدان.

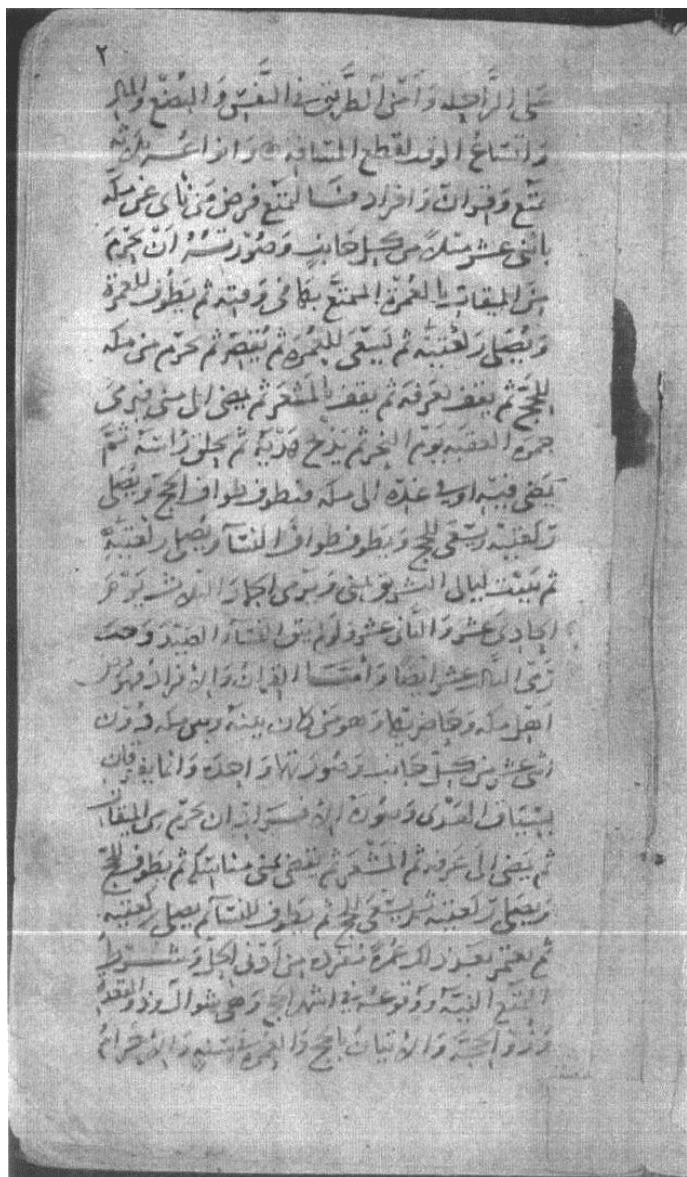
د: المخطوطة المرقّمة ٢ / ١٤٨٦٧ في مكتبة كليّة الإلهيّات في جامعة فردوسي بمشهد الإمام الرضا عليه السلام.

هـ: المخطوطة المرقّمة ٢٤ / ٥٧١٢ في مكتبة ملك العامّة بطهران، ونحن اعتمدنا في هذا التحقيق على الأولى والثانية.

وفي الختام أقدم شكري لسماحة الشيخ حسين الوائقي لدلاتنا إلى هذه الدرّة الثمينّة، ومرافقتنا في التحقيق، كما أشكر الأساتذة في مجلّة مِيقَاتُ الْحَجِّ.

١
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ
مَجْدُ اللَّهِ تَعَالَى الطَّاهِرِينَ إِلَهُ خِيَارٍ وَتَعْلَمُ هَيْدَةً
وَمُسَالَمَةً تَسْمَعُ عَلَى وَاجِبَاتِ الْحَجِّ وَأَرْكَانِهِ خَلِيبَةً عَلَى
الْظُّلُمِ وَالْإِلَهِ كَمَا فِي غَايَةِ الْبَازِ وَالْإِلَهِ خُصَّاصَةً
لِحَقِّقَتِ فَيْضًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مَعْرُوفَةٍ وَعِلْمُهُ وَلَهُ
مَجُورٌ لَمْ تَرْكُهُ وَجَعَلَهُ وَلَمْ يُطَوِّلْ الْكَلَامَ بِدُكْتُ
الِدُّعَاوَاتِ وَلَا إِلَهَ فَعَالٍ الْمُنْدَرِجَاتِ بِإِزْهِارِهَا
ذَلِكَ مَوْكُوتُهُ إِلَى كُنَانِ الْكَبِيرِ الْمُسْتَبِطِ الْمُنْهَاجِ فِي
مَنَاسِكَ الْحَاجِّ وَأَنَا أَقْصُرُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ
ذِكْرُ الْوَاجِبَاتِ كَيْفَ يَحْتَاجُ إِلَهُ الْمُؤَقَّرِ وَالْمُعِينِ
عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَقَدْ رَتَّبْتُهَا عَلَى فُصُولٍ ٥
الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي الْمَقْدَمَاتِ ٥
أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَحُبُّ الْعُمُومَةِ وَرَاجِعُهُ
عَلَى الْفُتُورِ لِمَنْ شَرُفَ وَطَرِجَهُ الْإِلَهُ وَقَالَ
الْمُتَكَلِّفُ فَلَمْ يَحِبُّ عَلَى الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ بَلْ عَلَى
الْبَالِغِ الْعَاقِلِ الشَّافِي الْبَحْرَةِ فَلَمْ يَحِبُّ عَلَى
الْعَبْدِ وَالْحُرِّ بَلْ عَلَى الْإِلَهِ شَيْطَانِهِ وَنَحْوِ
بَلْكَ الزَّادِ بِقُدْرَتِهِ يَوْمَنَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَشْرِقِ
لَهُ وَاجِبَاتُهُ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَوَدُّ أَنْ الرَّاحِلَةَ بِحَسَبِ جَالِهِ
الْأَسْرَافِغِ إِنْ كَانَ الْمُسْتَبِطُ رَهْوَ الْبَحْرِ وَالْمُسْتَبِطُ

على - نه



الصفحة الثانية من نسخة «ألف»

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله ربّ العالمين، و صلى الله على سيّد المرسلين محمد النبي^١ وآله الطاهرين الأخيار^٢ وسلّم.

هذه رسالة تشتمل على واجبات الحجّ وأركانه، خالية عن التطويل والإكثار، في غاية الإيجاز والاختصار، لخصّت فيها ما يجب على كلّ حاجّ معرفته وعلمه، ولا يجوز له تركه وجهله، ولم نطوّل الكلام فيها بذكر الدعوات ولا الأفعال المندوبات، إذ جعلنا ذلك موكولاً إلى كتابنا الكبير المسمّى بـ: «المنهاج في مناسك الحجّ»، وإنّما اقتصرنا في هذه الرسالة على ذكر الواجبات لا غير، والله الموفق والمعين على كلّ خير. وقد رتّبناها على فصول:

الفصل الأوّل: في المقدّمات

الحجّ من أعظم أركان الإسلام، ويجب في العمر مرّة واحدة على الفور بشروط أربعة:

الأوّل: التكليف، فلا يجب على الصّبيّ والمجنون، بل على البالغ العاقل.

١. ليس في نسخة ب لفظة (النبيّ).
٢. ليس في نسخة ب لفظة (الأخيار).

الثاني: الحرّية، فلا يجب على العبد والجارية.

الثالث: الاستطاعة، وهي ملك الزاد بقدر ما يئونه من القوت والمشروب له ولعياله ذهاباً وعوداً، والراحلة بحسب حاله.

الرابع: إمكان المسير، وهو الصحّة، والتثبّت على الراحلة، وأمن الطريق في النفس والبضع والمال، واتّساع الوقت لقطع المسافة.

وأنواعه ثلاثة: تمتّع وقران وإفراد، فالتمتّع فرضٌ من نأى عن مكّة باثني عشر ميلاً من كلّ جانب، و صورته: أن يحرم من الميقات بالعمرة المتمتّع بها في وقته، ثمّ يطوف للعمرة، ويصليّ ركعتيه، ثمّ يسعى للعمرة، ثمّ يقصر. ثمّ يحرم من مكّة للحجّ، ثمّ يقف بعرفة، ثمّ يقف بالمشعر، ثمّ يمضي إلى منى فيرمي جمرة العقبة يوم النحر، ثمّ يذبح هديّه، ثمّ يحلق رأسه، ثمّ يمضي فيه أو في غده إلى مكّة فيطوف طواف الحجّ، ويصليّ ركعتيه، ويسعى للحجّ، ويطوف طواف النساء، ويصليّ ركعتيه. ثمّ يبيت لبالي التشريق بمنى، ويرمي الجمار الثلاث يوم الحادي عشر والثاني عشر ولو لم يتّق النساء والصيد وجب رمي الثالث عشر أيضاً.

وأما القران والإفراد فهو فرض أهل مكّة وحاضريها، وهو من كان بينه وبين مكّة دون اثني عشر ميلاً^١، من كلّ جانب، وصورتها واحدة وإنّما يفترقان بسياق الهدى.

١. ليس في نسخة ألف لفظة (ميلاً).

وصورة الأفراد أن يحرم من الميقات، ثم يمضي إلى عرفة، ثم المشعر، ثم يقضي بمنى مناسكه، ثم يطوف للحج، ويصلي ركعتيه، ثم يسعى للحج، ثم يطوف للنساء، ثم يصلي ركعتيه، ثم يعتمر بعد ذلك عمرة مفردة من أدنى الحل.

وشرائط التمتع: النية، ووقوعه في أشهر الحج، وهي شوال و ذوالقعدة و ذوالحجة، والإتيان بالحج والعمرة في سنة واحدة،^١ والإحرام بالحج من بطن مكة.

وشرط الأفراد: النية، ووقوعه في أشهر الحج، وعقد الإحرام من ميقاته، أو من منزله إن كان أقرب. وكذا القارن.

الفصل الثاني: في الإحرام

و واجباته أربعة:

الأول: إيقاعه في أحد المواقيت التي وقتها رسول الله ﷺ وهي ستة: العقيق لأهل العراق، وأفضله المسلخ، وأوسطه غمرة، وآخره ذات عرق، فلا يجوزها الحاج إلا محرماً. ولأهل المدينة مسجد الشجرة اختياراً، والمحفة اضطراراً؛ وهي مهيعة، وهي ميقات أهل الشام اختياراً. ولأهل اليمن يلملم. وللطائف قرن المنازل. ومن كان منزله أقرب إلى مكة فميقاته منزله، وميقات حج التمتع مكة.

١. ليس في نسخة ألف لفظة (واحدة).

وهذه المواقيت الستة للحجّ والعمرة المتمتع بها والمفردة، ويجرّد الصبيان من فحٍّ إن حجّ على طريق المدينة، وإلاّ فمن موضع الإحرام. والقارن والمفرد إذا اعتمرا بعد الحجّ وجب أن يخرجوا إلى خارج الحرم ويحرما منه، ولو أحرموا من مكّة لم يجزئهما، ومن حجّ على ميقات قوم وجب أن يحرم منه، ولا يجوز الإحرام قبل هذه المواقيت إلاّ لناذر يوقع الإحرام في أشهره، والمعتمر عمرة مفردة في رجب إذا خاف تقصّيه، ولا يجوز تأخير الإحرام عن هذه المواقيت اختياراً، فإنّ أخر ذلك لمانع،^١ وجب الرجوع مع المكنة، فإن لم يتمكّن أحرم عند زوال المانع، فإن كان قد دخل مكّة خرج إلى الميقات، فإن تعذّر أحرم من،^٢ أدنى الحلّ، فإن تعذّر أحرم منها، وكذا الناسي ومن لا يريد النسك والمجاور بمكّة مع وجوب التمتع عليه، ولو تعمّد التأخير لم يصحّ إحرامه إلاّ من الميقات وإن تعذّر، ولو نسي الإحرام بالكلّية حتّى أدّى جميع المناسك أجزأه حجّه على الأقوى، ولو لم يتمكّن من الإحرام لمرض وغيره أحرم عنه وليّه وجنبه المحرّمات.

الثاني: لبس ثوبي الإحرام، يأتزر بأحدهما، ويتوشّح بالآخر أو يرتدي به، ويجب أن يكونا من جنس ما يصلّي فيه، وينزع المخيط عنه.

١. ليس في نسخة ب لفظة (المانع).

٢. جاء في نسخة ألف (خرج إلى) في موضع (أحرم من).

الثالث: النية، و يجب فيها أمور: تعيين ما يُحرم له من حجة الإسلام أو غيرها، أو عمرة متمتع بها أو غيرها، لوجوبه أو ندبه قربةً إلى الله. وصورتها:

أن يقول في عمرة التمتع: «أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى حجة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله».

ويقول في إحرام حج التمتع: «أحرم لحج التمتع حجة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله».

ويقول في عمرة الأفراد الواجبة: «أحرم للعمرة المفردة عمرة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله».

ويقول في حج الأفراد: «أحرم لحج الأفراد حجة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله».

ولو كانت هذه المناسك مندوبة أبدل قوله «لوجوبه» بقوله «لندبه»، ولو كان الحج قراناً أبدل قوله «الأفراد» بقوله «القران»، والواجب إيقاعها بالقلب ولا يشترط النطق، ولو نوى الإحرام ولم يعين حجاً ولا عمرة أو ذكرهما معاً بطلت نيته.

الرابع: التلبيات الأربع، و صورة الواجب أن يقول بلسانه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك لبيك»، ويجب إيقاعها عقيب النية بلا فصل، ولا ينعقد إحرام المتمتع والمفرد إلا بها، و الآخرس يشير بها مع عقد قلبه. أمّا القارن فإنه يتخير في عقد

إحرامه بها أو بالإشعار والتقليد.

ويجب على كل من دخل مكة الإحرام إلا من يتكرر دخوله كالحطّاب، ومن سبق إحرامه قبل مضي شهر، ومن دخلها لقتال سائح. ويحرم على المحرم إنشاء إحرام آخر قبل إكمال أفعال الأول، ومن أحرم بحج أو عمرة وجب عليه إكمال أفعالهما.

ويحرم على المحرم عشرون شيئاً؛ الصيد البري - وهو الحيوان الممنوع بالأصالة - اصطياداً وأكلًا وذبحاً وإشارة ودلالة وإغلاقاً، والبيض كالصيد، وكذا الجراد. والنساء وطئاً، ولساً بشهوة، وعقداً له ولغيره، وشهادة عليه وإقامة، وتقبيلاً، ونظراً بشهوة، وفي معناه الاستمنا. والطيب مطلقاً أكلاً ولو مع الممازجة، ولساً وتطيّباً وبخوراً إلا خلوق الكعبة. والاحتحال بالسواد وبما فيه طيب. والنظر في المرأة. والادّهان بالدهن مطلقاً اختياراً وبما فيه طيب، وإن كان قبل الإحرام إذا كانت رائحته تبقى بعده، ويجوز أكل ما ليس بطيب منه كالشيرج والسمن. وإخراج الدّم اختياراً، وإن كان بحكّ الجسد أو السّواك. وقصّ الأظفار. وإزالة الشّعر وإن قلّ، ويجوز مع الضرورة. وقطع الشجر والحشيش النابت في غير ملكه عدى الفواكه والإذخر والنخل وعودي الحجاله. والفسوق وهو الكذب، والجدال وهو قول (لا والله) و (بلى والله). وقتل هوامّ الجسد كالقمل وغيره، ويجوز النقل دون الإلقاء، إلا القراد والحلم. ولبس المخيط للرجال إلا السراويل لفاعد الإزار، وإلا الطيلسان.

ولا يزره على نفسه الحُلِيَّ. ولبس الخفَّين وما يستر ظهر القدم اختياراً. ولبس الخاتم للزينة. ولبس المرأة الحُلِيَّ للزينة أو غير المعتاد. ويجوز المعتاد لكن يحرم إظهاره للزوج. والحناء للزينة. وتغطية الرأس للرجل وإن كان بالارتماس، فإن غطاه وجب أن يلقيه. والتظليل للرجل سائراً اختياراً. ولبس السلاح اختياراً.

الفصل الثالث: في الطواف

وإذا أحرم المتمتع لعمره التمتع دخل مكة لطواف العمرة واجباً، أمّا القارن والمفرد فيقدمان الوقوف عليه.

و واجباته اثنا عشر شيئاً:

الأول: طهارة البدن والثوب من النجاسة.

الثاني: طهارة البدن من الحدث بالوضوء أو الغسل إن وجب عليه، أو التيمم إن تعذر الماء أو استعماله، ولو نسي الوضوء أو الغسل أو التيمم استأنف، وكذا لو طاف الواجب مع علم نجاسة ثوبه، ولو علم في الأثناء أزاله وتم، ولو لم يعلم إلا بعده أجزأ.

الثالث: الختان، وهو واجب على الرجال مع القدرة.

الرابع: النية، وهي قصد إلى إيقاع طواف عمرة التمتع أو غيرها لوجوبه أو ندبه قربةً إلى الله. وصورتها: «أطوف طواف عمرة

الإسلام عمرة التمتع بها إلى الحجّ لوجوبه قربَةً إلى الله،^١ وإن كان الطواف للحجّ قال: «أطوف طواف حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربَةً إلى الله»، وإن كان الطواف [ل]عمرة الأفراد قال: «أطوف طواف عمرة الأفراد لوجوبه قربَةً إلى الله»، وإن كان لحجّ الأفراد أو القرآن ذكر ذلك. ووقت النية عند الشروع فيه، فلو أخلّ بها أو بشيء منها بطل ما فعله ولو كان خطوة واحدة.

الخامس: أن يتدبّر الطواف بالحجر الأسود، فلو بدأ بغيره لم يعتدّ بذلك الشوط إلى أن ينتهي إلى أوّل الحجر، فيتدبّر منه ناوياً حينئذ، ولو حاذى آخر الحجر ببعض بدنه في ابتداء الطواف لم يصحّ.

السادس: الختم بالحجر، فلو أبقى من الشوط السابع أو غيره شيئاً وإن قلّ لم يصحّ، بل يجب أن ينتهي من حيث ابتداء.

السابع: جعل البيت على يساره، فلو جعله على يمينه أو استقبله بوجهه لم يصحّ.

الثامن: خروجه بجميع بدنه عن البيت، فلو مشى على شاذروان الكعبة لم يصحّ.

التاسع: إدخال الحجر في الطواف، فلو مشى على حائطه أو طاف بينه وبين البيت لم يصحّ.

١. صورة النية في عمرة التمتع لا توجد في نسخة ألف.

العاشر: الطواف بين البيت والمقام، فلو أدخل المقام فيه لم يصح.
الحادي عشر: إكمال العدد، وهو سبعة أشواط لا أزيد، فلو نقص شوطاً أو بعضه ولو أقلّ من خطوة لم يصحّ طوافه، ولو زاد على السبعة في طواف الفريضة عمداً بطل طوافه، ولو كان سهواً قطع إن لم يكمل الثامن، ولو أكمله استحبّ إتمام أسبوع آخر. ويصلّي لطواف الفريضة أولاً، وللنافلة بعد السعي، ولو نقص شوطاً فما زاد سهواً أكمله إن كان في الحال، وإن انصرف فإن تجاوز النصف رجع فأتّم طوافه، وإن رجع إلى أهله استتاب،^١ ولو كان دون النصف استأنف، وكذا لو قطع طوافه لدخول البيت أو للسعي في حاجة أو مرض في أثائه، وكذا إن أحدث في طواف الفريضة، فإن تجاوز النصف تطهّر وبني وإلاّ استأنف، ولو ذكر في السعي نقصان طوافه رجع فأتّم طوافه إن كان قد تجاوز النصف، ثمّ أكمل السعي، ولو لم يتجاوز رجع فاستأنف الطواف والسعي معاً. ولو شكّ في عدد الطواف في أثائه فإن كان فيما دون السبعة استأنف، وإن كان في الزائد عليها قطع ولا شيء عليه.

الثاني عشر: ركعتا الطواف، فإذا فرغ من طوافه وجب أن يصلّي ركعتيه في مقام إبراهيم عليه السلام،^٢ ينوي بهما ركعتي طواف عمرة

١. في نسخة ب ورد (وإن عاد).

٢. ورد لفظة «عليه السلام» في نسخة ب فقط.

الإسلام عمرة التمتع لوجوبهما قربةً إلى الله.

الفصل الرابع: في السعي

فإذا فرغ من طواف العمرة وجب عليه السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ويجب فيه أمور:

الأول: النية، فيقول: «أسعى سعي عمرة التمتع عمرة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله»، وإن كان سعي الحج للتمتع قال: «أسعى سعي حج التمتع حج الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله».

الثاني: أن يبدأ في سعيه بالصفا بحيث يلصق كعبه به، وأن يختم بالمروة بحيث يلصق أصابع قدميه بها.

الثالث: السعي سبعة أشواط، من الصفا إلى الصفا شوطان، ولو نقص من العدد شيئاً أكمله وجوباً، ويحرم الزيادة على السبعة عمداً فيعيد لا سهواً، ولو نسي عدد أشواطه أو بدأ بالمروة استأنف، ولو ظن المتمتع إكمال سعيه في العمرة فأحلّ وواقع ثم ذكر النقصان أتمّ وكفر ببقرة، وكذا لو قلم أو قصّ أظفاره.

الفصل الخامس: في التقصير

فإذا فرغ من سعي العمرة التمتع بها وجب عليه التقصير، وأقله أن يقصّ شيئاً من أظفاره، أو يقصّ شيئاً من شعره، وليس له أن يحلق، ولو

نسى التقصير حتّى أهلّ بالحجّ صحّت (ولو فعل ذلك عمداً بطلت،^(١) متعته وصارت حجّته مفردة. ويجب فيه النية فيقول: «أقصر من إحرام عمرة التمتع عمرة الإسلام للتحلل منه لوجوبه قربةً إلى الله».

الفصل السادس: في إحرام الحجّ

فإذا قصر المتمتع أحلّ من كلّ شيء أحرم منه، ويجب عليه الإحرام بالحجّ. ويتضيّق وقته عند تضيّق وقت عرفة، ومحلّه مكّة، ولا يجوز إيقاعه في غيرها، فإن نسيه حتّى خرج إلى منى رجع إلى مكّة وجوباً مع القدرة، فإن تعذر أحرم من موضعه ولو من عرفة، وتجب فيه أمور: الأول: النية، فيقول:

«أحرم بالحجّ حجة الإسلام حجة التمتع لوجوبه قربةً إلى الله».

الثاني: لبس ثوبي الإحرام، إن كان قد لبس المخيط وقت إحلاله من العمرة، وإلاّ استمرّ على لبس ثوبيه اللّذين أحرم فيهما للعمرة.

الثالث: التلبّيات الأربع، وقد تقدّم وصفها في إحرام العمرة. ويحرم في هذا الإحرام ما حرم عليه في الإحرام الأوّل، ولو تركه عمداً بطل حجّه، ولا يجوز له الطواف بعد الإحرام حتّى يرجع من منى.

١. ما بين الهالين ورد في نسخة ب.

الفصل السابع: في الوقوف بعرفة

فإذا أحرم بالحجّ وجب عليه يوم تاسع ذي الحجة الوقوف بعرفة، وله وقتان: اختياريّ من زوال الشمس يوم التاسع إلى غروبها، أيُّ وقت منه حضر أدرك الحجّ، و اضطراريّ إلى فجر يوم النحر، وتجب فيه أمور: الأول: النية، فيقول:

«أقف بعرفة لوجوبه قربةً إلى الله» وقت الشروع فيه.

الثاني: الوقوف بعرفة دون حدودها، وحدّ عرفة من بطن عُرنة وثوية ونمرة إلى ذي المجاز، ولو وقف بهذه الحدود لم يصحّ ولا تحت الأراك، ويجوز عند الضرورة الوقوف على الجبل.

الثالث: أن يقف إلى غروب الشمس يوم التاسع، فلو أفاض قبله عامداً وجب عليه بدنة، فإن لم يقدر صام ثمانية عشر يوماً. ونعني بالوقوف هنا الكون بها، سواء كان راكباً أو جالساً أو نائماً مع سبق النية، ولو ترك الوقوف الاختياريّ عمداً بطل حجّه، والناسي يتدارك ولو قبل الفجر، وكذا لو فاتته نهراً لضرورة، ولو فاتته نهراً وليلاً اجتزأ بالوقوف بالمشعر.

ولو نسي الوقوف رجع ولو إلى طلوع الفجر، إذا عرف أنّه يدرك المشعر قبل طلوع الشمس، فإذا ظنّ الفوات اقتصر على المشعر قبل طلوع الشمس، وكذا لو لم يذكر وقوف عرفة وقف بالمشعر قبل طلوع الشمس.

الفصل الثامن: في الوقوف بالمشعر

وإذا غربت الشمس من يوم عرفة أفاض إلى المشعر الحرام للوقوف به، ويجب فيه النية، فيقول:

«أقف بالمشعر لوجوبه قربَةً إلى الله»، والكون بالمشعر بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، أيّ وقت من ذلك وقف به صحّ، ولا يجوز له الإفاضة منه قبل طلوع الفجر، فإن أفاض قبله متعمداً صحّ حجّه، ووجب عليه دم شاة إن كان قد وقف به ليلاً ولو قليلاً، وكان قد وقف بعرفة، ويجوز للمرأة والناسي والخائف الإفاضة قبل الفجر ولا شيء عليه.

وللمشعر وقتان:

اختياريٌّ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يوم النحر، واضطراريٌّ إلى الزوال، ومن ترك الوقوف بالمشعر عمداً بطل حجّه، وإن تركه نسياناً صحّ حجّه. إن كان قد وقف بعرفة، وإلاّ بطل حجّه. ولو أدرك وقت عرفة الاختياري و وقت المشعر الاضطراري أو بالعكس صحّ حجّه، وكذا يصحّ لو أدرك الاضطراريين، ولو أدرك أحد الاختياريين خاصّة وفاته الآخر اختياراً واضطراً من غير تعمّد صحّ حجّه، ولو أدرك أحد الاضطراريين خاصّة وفاته الآخر اختياراً واضطراً بطل حجّه. وحدّ المشعر ما بين المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسر، ولو وقف بغيره لم يجزئه، ويجوز مع الرّحام الارتفاع إلى الجبل.

الفصل التاسع: في قضاء مناسك منى

وإذا طلعت الشمس أفاض من المشعر الحرام ومضى الى منى، ليقضي مناسكه بها يوم النحر، وهي ثلاثة: رمي جمرة العقبة، ثم الذبح، ثم الحلق.

الأول: رمي جمرة العقبة، فإذا وصل منى رمى جمرة العقبة، ويجب فيه أمور: النية، فيقول:

«أرمي جمرة العقبة لوجوبه قرباً إلى الله»، و رماها بسبع حصيات بما يسمّى حجراً أبكاراً من الحرم، بما يسمّى رمياً، وإصابة الجمرة بفعله، ولو طرحها على الجمرة من غير رمي أو تمّمها حركة غيره لم يجزئه.

الثاني: الذّبح، إذا رمى المتمتع جمرة العقبة وجب عليه أن يذبح هديه، ويجب فيه أمور: النية، فيقول:

«أذبح هدي التمتع لوجوبه قرباً إلى الله» وقت الذبح. وأن يكون الهدي من الإبل أو البقر أو الغنم ثنياً، وهو من الإبل ما كمل خمس سنين، وفي البقر والغنم ما كمل سنة، ويُجزءُ الجذع من الضأن لستته. ويجب أن يكون تاماً، فلا تجزئ العوراء، ولا العرجاء البيّن عرجها، ولا مكسورة القرن الداخل، ولا مقطوعة الأذن، ولا الخصي، ولا المهزولة. ويقسّم أثلاثاً، يأكل ثلثه، ويتصدّق بثلثه، ويهدي لأصحابه ثلثه. ويجب أن يذبح أو ينحر بمنى وأن يفرّقه بها، و وقت الذبح يوم النحر قبل الحلق، فإن أخره أثم وأجزأ، وكذا يجزي لو ذبحه في بقية ذي الحجة.

الثالث: الحلق، ويجب بعد الذبح الحلق أو التقصير بمنى، والحلق أفضل، أمّا المرأة فلا يجوز لها الحلق بل الواجب عليها التقصير، ويجزئ في التقصير قدر الأنملة، ولو ترك الحلق رجع فحلق، فإن تعذر حلق أو قصر مكانه وجوباً، وبعث شعره إلى منى ليُدفن بها استحباباً، ولو لم يكن على رأسه شعر أمرّ موسى عليه، وتجب فيه النية فيقول:

«أحلق أو أقصر للإحلال من الإحرام لوجوبه قربةً إلى الله»، وإذا حلق أو قصر أحلّ من كل شيء أحرم منه إلا النساء والطيب.

الفصل العاشر: في الرجوع إلى مكة

فإذا قضى مناسكه بمنى يوم النحر مضى في يومه أو غده إن كان متمتعاً إلى مكة لطواف الحجّ وسعيه. ويجب في الطواف النية، فيقول:

«أطوف طواف الحجّ حجة الإسلام المتمتع بها لوجوبه قربةً إلى الله»، ويفعل هنا كما فعل في طواف العمرة، فإذا فرغ من طواف سبعة أشواط وجب عليه صلاة ركعتيه بمقام إبراهيم، وتجب فيهما النية، فيقول:

«أصلي صلاة طواف الحجّ لوجوبها قربةً إلى الله»، وإذا فرغ من الصلاة وجب عليه السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضاً، وتجب فيه النية، فيقول:

«أسعى سعي الحجّ حجّ التمتع حجة الإسلام لوجوبه قربةً إلى الله»، ثم يسعى من الصفا إلى المروة كما تقدّم سواء، ثم يرجع بعد الفراغ من سعيه إلى البيت، ويطوف طواف النساء وهو سبعة أشواط كما تقدّم،

وتجب فيه النية، فيقول:

«أطوف طواف النساء في إحرام حجّ التمتع لوجوبه قربَةً إلى الله»،
ثمّ يطوف كما تقدّم، ثمّ يصلي ركعتيه واجباً في مقام إبراهيم، ويجب
فيهما النية، فيقول:
«أصلي ركعتي طواف النساء في إحرام حجّ التمتع لوجوبه لها قربَةً
إلى الله».

الفصل الحادي عشر: في الرجوع إلى منى

وإذا فرغ من طواف النساء رجع إلى منى، وبات بها ليلتي التشريق،
وهي ليلة الحادي عشر (من ذي الحجة)^١، والثاني عشر والثالث عشر،
ويجوز أن ينفر في اليوم الثاني عشر إن كان قد اتقى النساء والصيد في
إحرامه، ولم تغرب الشمس وهو بمنى. ولو بات بغير منى وجب عليه عن
كلّ ليلة شاة، إلّا أن يبيت بمكة مشغلاً بالعبادة. ويجب أن يرمي الجمار
الثلاث في كلّ يوم من الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر إن لم ينفر
يوم الثاني عشر، كلّ جمرة في كلّ يوم بسبع حصيات على ما تقدّم
وصفها، وتجب فيه أمور: النية، فيقول:

«أرمي هذه الجمرة لوجوبه قربَةً إلى الله». وأن يرمي كلّ جمرة
بسبع حصيات كما تقدّم وصفها. وأن يرتّب فيبدأ بالجمرة الأولى التي تلي

١. ما بين الهلالين ورد في ب .

مِنَى، ثُمَّ بِالْوَسْطَى، ثُمَّ بِجَمْرَةِ الْعَقْبَةِ. ووقت الرمي من طلوع الشمس إلى غروبها، ويجوز للمعذور كالحائف والراعي والعبد والمريض الرمي ليلاً، ولو نسي رمي يوم قضاؤه من الغد، يبدء بالفأث. ومن اتقى النساء والصيد يجوز له النفر يوم الثاني عشر بعد الزوال لا قبله.

فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه الرسالة، ومن أراد التطويل فعليه بكتبتنا المطوّلة في الفقه، والله الموفّق للصواب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيّدنا محمّد النبيّ وعترته الطيّبين الطاهرين.^١

* * *

١. ورد في نهاية نسخة ألف: نَجَزْتُ تعليقاً ظهر لأحد لثمان بقي من ذي القعدة المبارك الحرام من سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

١٥
 مَنَى وَبَاتَتْ بِهَا إِلَى الْمَشْرِقِ فِي لَيْلَةِ الْاِجْمَاعِ فِي شَرْعِهَا
 عَشْرَ وَالْاِثْنَيْ عَشَرَ حُجْرًا فِي غَدَاةِ الْيَوْمِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ اِنْ
 قَرَأَتْ فِي الْاِسَاءَةِ وَالْعَصْرِ اِحْرَامَهُ وَلَمْ تَقْرَأْ فِي الْبُشْرِ هُوَ
 بَيْتُ رَمْلًا يَفْرَقُ بَيْنَ رَجُلٍ عَلَيْهِ عَمَلٌ كُلِّ لَيْلَةٍ شَاهِدَ اَنَّ
 بَيْتَهُ بِمَكَّةَ مُسْتَعْدَدٌ بِالْاِحْرَامِ وَحُجْبٍ اِنْ يَرَى اِحْرَامَ
 الْاُثْلَةِ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ مِنْ اِحْرَامِ شَرْعِهَا الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَالْاِثْنَيْ عَشَرَ
 اِنْ لَمْ يَفْرُقْ يَوْمَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ كَلِمَةً فِي الْيَوْمِ سَبْعَ حَصِيَاةٍ
 عَلَى رَأْسِهِ وَصَفْعًا وَحُجْبٍ فِيهِ اَمْرٌ بِالْبَيْتِ
 فَيَقُولُ اِنِّي هَذِهِ الْحَجْرَةُ اَوْ حُجْرَةٌ قَرَّبْتُ اِلَى اللَّهِ اِنْ يَرَى
 اَنَّ الْحَجْرَةَ سَبْعَ حَصِيَاةٍ كَلِمَةً وَصَفْعًا وَرَأْسُهُ يَرَى
 فَيَقُولُ بِالْحَجْرَةِ اَللَّهُ قَرَّبَ اِلَى اللَّهِ قَرَّبْتُ بِالْوَسْطِ اِلَى الْحَقِيقَةِ
 وَوَقْتُ الْحَجْرِ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ اِلَى غُرُوبِهَا وَحُجْرَةُ الْحَجْرِ
 اِنْ اَخَذَتْهُ الرَّاغِبُ وَالْعَبْدُ وَالْمَرْبُوعُ اِلَى لَيْلَةٍ وَلَوْ شِئَا
 رَمَى يَوْمَ قَضَاءِهِ مِنَ الْخَوْبَةِ اِلَى الْاَفَّاكَةِ وَمِنْ اَنْفَى الْاِسَاءَةِ
 وَالْعَبْدُ يَحْجُزُهُ الْاَنْفَرُ يَوْمَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ اِلَى الْاَفَّاكَةِ قَبْلَ
 فَيَسْأَلُهَا اَرْزَا اِثْنَانِ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَمَنْ اَرَادَ
 اَلْقَطْلَ وَعَلَيْهِ بِكُتُبِهَا الْمُطَوَّلَةِ الْاَفْعُ وَاللَّهُ الْمُتَوَفَّى
 لِلصَّوَابِ اِحْمَدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَكَلَى اللَّهُ عَنِ اِسْتِغْنَاءِ الْحُجْرِ
 وَصَفْعَتِهِ الطَّبِيرُ الطَّاهِرُ وَمَنْ يَرَى وَكَلَى اللَّهُ عَنِ اِسْتِغْنَاءِ الْحُجْرِ
 نَحْرُهُ تَعْلِيْقًا ظَاهِرًا جَدِّ لِمَنْ مَرَّ فِي الْاَفْقِ
 الْمُبَارَكِ اِحْرَامَ مَنَى حَتَّى يَرَى رَجُلًا سَبْعَ اَيَّامٍ

[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

عن علي بن الحسين عن الصادق عليه السلام في البيت الثاني بالمدح
فمن البيت الثاني

الصفحتان الأخيرتان من نسخة «ب»

رسالة المرجع الديني آية الله الشيخ جعفر السبحاني

إلى أحد علماء السعودية حول عصمة أهل البيت عليهم السلام

الأستاذ الفاضل الدكتور . . . دامت معاليه وتواترت بيض أيديه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني - وصلكم الله - رسالتكم الكريمة، و وجدت فيها طلبكم
العزیز علینا فی أن نرسل لكم كتاباً حول عصمة أهل البيت عليهم السلام،
و استجابة لطلبكم هذا كتبت لكم هذه المقالة عسى أن تكون وافية

للغرض.

ولا أخفيك أنني كنت عازماً على ألا أدخلك في المسائل الكلامية والمجادلات العلمية، ولكن نزولاً عند رغبتكم عدلت عن عزمي وقراري، وإلا فالمسلمون كلهم على أصول واحدة يجمعهم التمسك بالكتاب والسنة، ونحن والجميع كما يقول شاعر الأهرام:

إنا لتجمعنا العقيدة أمة * * * ويضمنا دين الهدى أتباعاً
ويؤلف الإسلام بين قلوبنا * * * مهما ذهبنا في الهوى أشباعاً
وقبل الدخول في صلب الموضوع نعهد له بأمرين:

الأول: حقيقة العصمة

إن حقيقة العصمة عن اقتراح المعاصي ترجع إلى أحد أمور ثلاثة على وجه مانعة الخلو، وإن كانت غير مانعة الجمع.

١. العصمة الدرجة القصوى من التقوى

العصمة ترجع إلى التقوى لكنها ترجع إلى درجة أعلى منها، فما توصف به التقوى وتعرف به، تعرف وتوصف به العصمة.

لا شك أن التقوى حالة نفسانية تعصم الإنسان عن اقتراف كثير من القبائح والمعاصي، فإذا بلغت تلك الحالة إلى نهايتها تعصم الإنسان عن اقتراف جميع قبائح الأعمال، وذميمة الفعال على وجه الإطلاق، بل تعصم الإنسان حتى عن التفكير في المعصية، فالمعصوم ليس خصوص مَنْ

لا يرتكب المعاصي ويقترفها، بل هو من لا يحوم حولها بفكره.

إنَّ العصمة ملكة نفسانية راسخة في النفس لها آثار خاصّة كسائر الملكات النفسانية من الشجاعة والعفة والسخاء، فإذا كان الإنسان شجاعاً وجسوراً، وسخياً وباذلاً، وعفيفاً ونزيهاً، يطلب في حياته معالي الأمور، ويتجنّب عن سفاسفها، فيطرد ما يخالفه من الآثار، كالخوف والجبن والبخل والإمساك، والقبح والسوء، ولا يُرى في حياته أثر منها.

ومثله العصمة، فإذا بلغ الإنسان درجة قصوى من التقوى، وصارت تلك الحالة راسخة في نفسه يصل الإنسان إلى حد لا يُرى في حياته أثر من العصيان والطغيان، والتمرد والتجري، وتصير ساحته نقية عن المعصية.

وأما أن الإنسان كيف يصل إلى هذا المقام؟ وما هو العامل الذي يمكنه من هذه الحالة؟ فهو بحث آخر لا يسع المقال لبيان.

فإذا كانت العصمة من سنخ التقوى والدرجة العليا منها، يسهل لك تقسيمها إلى العصمة المطلقة والعصمة النسبية.

فإنَّ العصمة المطلقة وإن كانت تختصّ بطبقة خاصة من الناس، لكن العصمة النسبية تعمّ كثيراً من الناس من غير فرق بين أولياء الله وغيرهم؛ لأنَّ الإنسان الشريف - الذي لا يقل وجوده في أوساطنا - وإن كان يقتترف بعض المعاصي، لكنّه يجتنب عن بعضها اجتناباً تامّاً بحيث يتجنّب حتى التفكير بها فضلاً عن الإتيان بها.

مثلاً الإنسان الشريف لا يتجول عارياً في الشوارع والطرق مهمما بلغ تحريض الآخرين له على ذلك الفعل، كما أن كثيراً من الناس لا يقومون بقتل الأبرياء ولا بقتل أنفسهم وإن عُرِضت عليهم مكافآت مادية كبيرة، فإنّ الحوافز الداعية إلى هذه الأفعال المنكرة غير موجودة في نفوسهم، أو أنّها محكومة ومردودة بالتقوى التي تحلّوا بها، ولأجل ذلك صاروا بمعزل عن تلك الأفعال القبيحة حتى أنّهم لا يفكّرون فيها ولا يحدثون بها أنفسهم أبداً.

والعصمة النسبية التي تعرفت عليها تُقَرَّبُ حقيقة العصمة المطلقة في أذهاننا، فلو بلغت تلك الحالة النفسانية الرادعة في الإنسان مبلغاً كبيراً ومرحلة شديدة بحيث تمنعه من اقتراف جميع القبائح، يصير معصوماً مطلقاً، كما أن الإنسان في القسم الأوّل صار معصوماً نسبياً.

وعلى الجملة: إذا كانت حوافز الطغيان والعصيان والبواغث على المخالفة محكومة عند الإنسان، منفورة لديه لأجل الحالة الراسخة، يصير الإنسان معصوماً تاماً منزّهاً عن كلّ عيب وشين.

٢. العصمة: نتيجة العلم القطعي بعواقب المعاصي

قد تعرّفت على النظرية الأولى في حقيقة العصمة وأنّها عبارة عن: الدرجة العليا من التقوى، غير أنّ هناك نظرية أخرى في حقيقتها، لا تنافي

النظرية الأولى، بل ربّما تعدّ من علل تحقّق الدرجة العليا من التقوى التي عرفنا العصمة بها وموجب لتكوّنها في النفس، وحقيقة هذه النظرية عبارة عن «وجود العلم القطعي اليقيني بعواقب المعاصي والآثام» علماً قطعياً لا يُغلب ولا يدخله شكّ، ولا يعتريه ريب، وهو أن يبلغ علم الإنسان درجة يلمس في هذه النشأة لوازم الأعمال وآثارها في النشأة الأخرى وتبعاتها فيها، وبصير على حدّ يدرك بل يرى درجات أهل الجنة ودركات أهل النار، وهذا العلم القطعي هو الذي يزيل الحجب بين الإنسان وتوابع الأعمال، ويصير الإنسان مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^١ وصاحب هذا العلم هو الذي يصفه الإمام علي عليه السلام بقوله: «فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون»^٢.

فإذا بلغ العلم إلى هذه الدرجة من الكشف يصد الإنسان عن الاقتراب من المعاصي واقتراف المآثم، بل لا يجوز حولها فكره. ولتوضيح تأثير هذا العلم في صيرورة الإنسان معصوماً من اقتراف الذنب نأتي بمثال:

إنّ الإنسان إذا وقف على أنّ في الأسلاك الكهربائية طاقة من

١. التكاثر: ٥ - ٦.

٢. نهج البلاغة ٢: ١٨٧، الخطبة ١٨٨، طبعة عبده.

شأنها قتل الإنسان إذا مسّها من دون حاجز أو عائق بحيث يكون المسّ والموت مقترنين، أحجمت نفسه عن مسّ تلك الأسلاك والاقتراب منها دون عائق.

أو أنّ الطبيب العارف بعواقب الأمراض وآثار الجراثيم، إذا وقف على ماء اغتسل فيه مصاب بالجذام أو البرص أو السل، لم يقدم على شربه والاعتسال منه ومباشرته مهما اشتدت حاجته إلى ذلك لعلمه بما يجرُّ عليه الشرب والاعتسال بذلك الماء الموبوء، فإذا وقف الإنسان الكامل على ما وراء هذه النشأة من نتائج الأعمال وعواقب الأفعال ورأى بالعيون البرزخية تبدّل الكنوز المكتنزة من الذهب والفضة إلى النار المحماة التي تُكوى بها جباه الكانزين وجنوبهم وظهورهم، امتنع عن حبس الأموال والإحجام عن إنفاقها في سبيل الله.

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتْكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^١.

إنّ ظاهر قوله سبحانه: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾ هو أنّ النار التي تُكوى بها جباه الكانزين وجنوبهم وظهورهم، ليست إلّا نفس

الذهب والفضة، لكن بوجودهما الأخروين، وأنّ للذهب والفضة وجودين أو ظهورين في النشأتين فهذه الأجسام الفلزية، تتجلّى في النشأة الدنيوية في صورة الذهب والفضة، وفي النشأة الأخروية في صورة النيران المحمّاة. فالإنسان العادي اللامس لهذه الفلزات المكنوزة وإن كان لا يحسّ فيها الحرارة ولا يرى فيها النار ولا لهيبها، إلّا أنّ ذلك لأجل أنّه يفقد حين المسّ الحسّ المناسب لدرك نيران النشأة الآخرة وحرارتها، فلو فرض إنسان كامل يمتلك هذا الحسّ إلى جانب بقية حواسّه العادية المتعارفة ويدرك بنحو خاص الوجه الآخر لهذه الفلزات، وهو نيرانها وحرارتها، يجتنبها، كاجتنابه النيران الدنيوية، ولا يقدم على كنزها وتكديسها.

وهذا البيان يفيد أنّ للعلم مرحلة قويّة راسخة تصد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والآثام ولا يكون مغلوباً للشهوات والغرائز. قال جمال الدين مقداد بن عبد الله الأسدي السيوري الحلبي في كتابه القيم «اللوامع الإلهية»:

«ولبعضهم كلام حسن جامع هنا قالوا: العصمة ملكة نفسانية يمنع المتّصف بها من الفجور مع قدرته عليه، وتتوقّف هذه الملكة على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات؛ لأنّ العفّة متى حصلت في جوهر النفس وانضاف إليها العلم التام بما في المعصية من الشقاء، والطاعة من السعادة، صار ذلك العلم موجباً لرسوخها في النفس فتصير

يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله في هذا الصدد: إنّ القوة المسمّاة بقوة العصمة سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك، لتسرّب إليها التخلّف، ولتخبّط الإنسان على أثره أحياناً، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة، التي تقبل الاكتساب والتعلّم، وقد أشار الله في خطابه الذي خصّ به نبيّه بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^٢، وهو خطاب خاص لا نفقهه حقيقة الفقه، إذ لا تذوق لنا في هذا المجال.^٣

وهو قدّس سرّه يشير إلى كيفية خاصة من العلم والشعور الذي أوضحنه بما ورد حول الكنز وآثاره.

٣. الاستشعار بعظمة الرب وكماله وجماله

إنّ هاهنا نظرية ثالثة في تبين حقيقة العصمة يرجع لبّها إلى أنّ استشعار العبد بعظمة الخالق وحبّه وتفانيه في معرفته وعشقه له، يصدّه

١. اللوامع الإلهية: ١٧٠.

٢. النساء: ١١٣.

٣. الميزان ٥ : ٨١.

عن سلوك ما يخالف رضاه سبحانه.

وتلك النظرية مثل النظرية الثانية لا تخالف النظرية الأولى التي فسّرناها من أنّ العصمة هي الدرجة العليا من التقوى، بل يكون الاستشعار والتفاني دون الحق، والعشق لجماله وكماله، أحد العوامل لحصول تلك المرتبة من التقوى، وهذا النحو من الاستشعار لا يحصل إلاّ للكاملين في المعرفة الإلهية البالغين أعلى قممها.

إذا عرف الإنسان خالقه كمال المعرفة الميسورة، وتعرّف على معدن الكمال المطلق وجماله وجلاله، وجد في نفسه انجذاباً نحو الحق، وتعلّقاً خاصّاً به بحيث لا يستبدل برضاه شيئاً، فهذا الكمال المطلق هو الذي إذا تعرّف عليه الإنسان العارف، يؤجّج في نفسه نيران الشوق والمحبة، ويدفعه إلى أن لا يبتغي سواه، ولا يطلب سوى إطاعة أمره وامتنال نهيه، ويصبح كلّ ما يخالف أمره ورضاه منفوراً لديه، مقبوحاً في نظره أشد القبح. وعندئذ يصبح الإنسان مصوناً عن المخالفة، بعيداً عن المعصية بحيث لا يؤثر على رضاه شيئاً، وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك إنّما وجدتك أهلاً للعبادة»^١.

هذه النظريات الثلاث أو النظرية الواحدة المختلفة في البيان

والتقرير تعرب عن أن العصمة قوة في النفس تعصم الإنسان عن الوقوع في مخالفة الرب سبحانه وتعالى، وليست العصمة أمراً خارجاً عن ذات الإنسان الكامل وهويته الخارجية.

نعم هذه التحاليل الثلاثة لحقيقة العصمة، كلّها راجعة إلى العصمة عن المعصية والمصونية عن التمرّد كما هو واضح لمن تأمل فيها، وأمّا العصمة في مقام تلقّي الوحي وحفظه وإبلاغه إلى الناس، أو العصمة عن الخطأ في الحياة والأُمور الفردية أو الاجتماعية فلا بد أن توجه بوجهه غير هذه الثلاثة.

العصمة عن الخطأ

أمّا العصمة عن الخطأ في تحمّل الوحي وحفظه ونقله إلى الأُمّة في حقّ النبي ﷺ أو عصمة أهل البيت عليهم السلام في الإفتاء ونقل ما ورثوه من النبي الأكرم ﷺ، فهي رهن أمر آخر.

أمّا النبي الأكرم ﷺ فإنّه سبحانه يسدّده بالملائكة، كما يقول سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^١.

فإنّ قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾ بمعنى يجعل له رصداً. فهؤلاء الملائكة هم

الذين يسدّدون الأنبياء عن الخطأ في القول والفعل؛ وأمّا أهل البيت، فيما أنّ عصمتهم عن المعصية والخطأ ثابتة بالدلائل الآتية، فلا محيص من القول من أنّ لهم مسدّداً في الإفتاء ونقل الأحاديث وتفسير القرآن الكريم. أمّا ما هو المسدّد فالبحت عنه موكول إلى مقام آخر.

الثاني: العصمة لا تلازم النبوة

إنّ بعض من يتحاشى من وصف غير الأنبياء بالعصمة يتصوِّرون وجود الملازمة بين العصمة والنبوة، والحال أنّ بينهما من النسب عموماً وخصوصاً من وجه مطلق، فكلّ نبي معصوم وليس كلّ معصوم نبي.

فهذه هي مريم العذراء التي هي الأسوة والقدوة للنساء كما عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ﴾^١.

وبما أنّه سبحانه جعلها قدوة ومثالاً يحتذى به فلا بد أن تكون معصومة عن المعاصي والأخطاء، وإلاّ لا يصح أن تكون أسوة قولاً وفعلًا على الإطلاق. وبالجملّة: وجود الملازمة بين الأسوة المطلقة وبين العصمة. ويؤيّد عصمتها أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^٢، فإنّ إطلاق

١. التحريم: ١٢.

٢. آل عمران: ٤٢.

قوله: ﴿وَطَهَّرَكَ﴾ يدلّ على طهارتها من الرذائل والذنوب والخطأ والزلل.
كما أنّ منزلة الزهراء عليها السلام في حديث أبيها تعرب عن عصمتها قولاً
وفعلًا، فقد روى البخاري عن مسعود بن مخزوم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:
«فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني»^١.
وروى الحاكم بإسناده عن علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة:
«إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^٢.

أقول: أيّ مكانة شامخة للزهراء عليها السلام حتّى صار غضبها ورضاها
ملاكاً لغضبه سبحانه ورضاه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على
عصمتها، فهو سبحانه بما أنّه عادل وحكيم لا يغضب إلاّ على الكافر
والعاصي ولا يرضى إلاّ عن المؤمن والمطيع، فلو دلّت الرواية الصحيحة
على أنّ فاطمة غضبت على أحد فهو إمّا كافر أو فاسق.

إذا تمّ هذا التمهيد ضمن أمرين فلنعرّج إلى بيان أدلّة عصمة
أهل البيت عليهم السلام كتاباً وسنّةً، ونقتصر من الكتاب العزيز بآيتين، ومن السنّة
بحديثي الثقلين والسفينة.

١. صحيح البخاري: ٩١٠، برقم ٣٧١٤، فضائل الصحابة؛ فتح الباري في شرح
صحيح البخاري ٧ : ٨٤.

٢. المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٥٤، وقد صحّحه الحاكم.

الآية الأولى :

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^١، فيقع الكلام في مقامين :

١. ما هو المراد من أهل البيت عليهم السلام ؟

٢. دلالة الآية على تنزيههم عن الذنوب.

أمّا المقام الأوّل: فلاشك أنّ عبارة (أهل البيت) تعمّ النساء والأزواج لغة وكتاباً، ويكفي في ذلك قوله سبحانه: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^٢ فقد عدّت امرأة إبراهيم عليه السلام من أهل البيت والخطاب في الآية أعني قوله: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ناظر إليها .

ومع الاعتراف بذلك، لكن المراد به في الآية عبارة عمّن عيّنهم الرسول صلّى الله عليه وآله مرة بعد أخرى فخصّهم بعلي وفاطمة وابنيهما فتارة يصرح صلّى الله عليه وآله بأسمائهم، كما روى الطبري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وعلي (رضي الله عنه) وحسن (رضي الله عنه) وحسين (رضي الله عنه) وفاطمة (رضي الله عنها):

١. الأحزاب: ٣٣ .

٢. هود: ٧٣ .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^١

وأخرى أدخلهم تحت الكساء، كما أخرج مسلم في صحيحه قال: قالت عائشة: خرج النبي ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^٢

وثالثة تلا الآيات على بابهم، كما أخرج الطبري عن أنس أن النبي ﷺ كان يمر ببیت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت (عليهم السلام) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^٣

وقد بلغ عدد الروايات الواردة في تخصيص أهل البيت بالخمسة ما يناهز ٣٥ رواية أخرجها الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور، وغيرهما،^٤ وتصل أسانيد الروايات إلى ثمانية من صحابة النبي ﷺ وهم:

١. تفسير الطبري ٢٢ : ٩ برقم ٢١٧٢٧، دار الفكر - ١٤١٥ هـ .

٢. صحيح مسلم ٧ : ١٣٠، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

٣. تفسير الطبري ٢٢ : ٩ برقم ٢١٧٢٩.

٤. تاريخ الطبري ٢٢ : ٩-١٣؛ الدر المنثور ٥ : ١٩٨-١٩٩؛ تفسير الرازي ٨ : ٨٥.

١. أبوسعيد الخدري. ٢. أنس بن مالك ٣. ابن عباس. ٤. أبوهريرة
السدوسي. ٥. سعد بن أبي وقاص. ٦. وائلة بن الأسقع. ٧. أبو الحمراء،
أعني: هلال بن الحارث. ٨. أمهات المؤمنين: عائشة وأمّ سلمة.
نعم هناك سؤال وهو أنه لو كان المراد بأهل البيت هم هؤلاء
الخمسة، فلماذا وردت الإشارة إليهم في أثناء حديث القرآن عن نساء
النبي ﷺ؟

الجواب أولاً :

أنّ عادة الفصحاء في كلامهم أنّهم ينتقلون من خطاب إلى غيره ثم
يعودون إليه، والقرآن مليء بذلك الأسلوب، وكذلك كلام العرب
وأشعارهم.

قال الشيخ محمد عبده: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من
شأن إلى شأن ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرّة بعد المرّة.^١
ولأجل إيقاف القارئ على صحّة ماقاله، نأتي بشاهد على ذلك،
فتقول: قال سبحانه ناقلاً عن «العزیز» مخاطباً زوجته:

﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا
وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^٢ فنرى أنّ العزیز يخاطب

١. تفسير المنار ٢ : ٤٥١.

٢. يوسف: ٢٨ - ٢٩.

أولاً امرأته بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ وقبل أن يفرغ من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾... ثم يرجع إلى الموضوع الأول ويخاطب زوجته بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾...

فقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ جملة معترضة وقعت بين الخطابين، والمسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثاني أحد المتخاصمين، وكانت له صلة بحديث المرأة التي رفعت الشكوى إلى العزيز.

وثانياً:

إنّ الضمائر في الآية كلّها مذكّرة أعني «عنكم» و «يطهركم»، مع أنّ الضمائر في الآيات المتقدّمة والمتأخّرة كلّها جاءت على وجه التأنيث، وربما يقرب عددها من عشرين ضميراً كلّها مؤنّثة، وهذا دليل على أنّ الآية ناطقة إلى غير النساء.

وإليك صور الضمائر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ... وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ... يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ... إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ... وَقُلْنَ... وَقرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَفْضَلُ الْبَيْتِ

وَيُطَرِّرْكُمْ تَطْرِيرًا^١.

هذه هي الضمائر المتقدمة على الآية، وأما الضمائر المتأخرة عنها فهي: ﴿وَأَنذُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ^٢﴾ والذي يؤكد خروج النساء عن الآية، هو أن الله سبحانه أفرد لفظ البيت في الآية وقال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^٣
ولكنه عبر عن بيوت أزواجه بصيغة الجمع وقال:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾^٤.

وعلى هذا فهناك «بيت» معروف مشخّص أُضيف إليه لفظ «أهل» فأصبحت العبارة «أهل البيت»، وفي الوقت نفسه هناك بيوت لنسائه وأزواجه، فالتواجد في البيت الأوّل، غير المتواجد في البيوت، فإذا كانت البيوت خاصّة لنسائه ﷺ فيكون البيت خاصّاً لأهل الكساء، إذ الأمر يدور بين الطائفتين ليس غير.

فحول النبي أسرتان:

أسرة لها المكانة والفضل لا تصالها بالنبي ﷺ لا لذواتهن، ولذا

١. الأحزاب : ٢٨ - ٣٣.

٢. الأحزاب : ٣٤.

استهلّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ...﴾ و ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كل ذلك يعرب عن أن كرامتهنّ لأجل اتّصالهنّ بالنبي ﷺ.

وأسرة لها الفضل والكرامة لاستحقاقهن بها وقدسية أنفسهن، فقد أعطى سبحانه كل أسرة حقّها، فقد أدّب الأسرة الأولى ونهاهنّ عن أمور، تمسّ بكرامة زوجهنّ. ثم أخذ بوصف الأسرة الثانية وتكريمها مشعراً بطهارتهنّ عن كل رجس ودنس.^١

فبذلك يعلم وجه ادغام قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ في ثنايا الآيات النازلة في حق نسائه، فكأنّه سبحانه يريد إعطاء كل أسرة حول النبي ﷺ حقّها. وممنّ أصحر بالحقيقة الإمام الشوكاني، قال:

وقالت الزيدية والإمامية: إنّ إجماع العترة حجة واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَفْهَلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وأجيب بأنّ سياق الآية أنّه في نسائه، ثم أضاف وقال: ويجاب عن هذا الجواب بأنّه قد ورد الدليل الصحيح أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسين، وقد أوضحنا الكلام في هذا في تفسيرنا الذي سمّيناه «فتح القدير» فليرجع إليه.^٢

١. انظر دلائل الصدق، للشيخ محمد حسين المظفر ٢ : ٧٢.

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : ١٢٦.

نعم ربما ذهب بعضهم إلى نزول الآية في نساء النبي ﷺ لكنهم جماعة لا يعتدّ بقولهم منهم:

١. عكرمة، ومن المعلوم أنّ عكرمة من الإباضية، فهو رجل منحرف عن جادة الحق، ولم يكن ليتحرّز الكذب على ابن عباس.^١
٢. عروة بن الزبير، ويكفي في عدم حجية قوله عداؤه لعليّ وانحرافه عنه.^٢

ومنهم مقاتل بن سليمان، وهو من المشبّهة، وعن الإمام أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رايان خبيثان؛ جهم معطل، ومقاتل مشبّه. وفي البخاري: لا شيء البتة. قلت: أجمعوا على تركه.^٣

ولما كان هذا الرأي — أعني: اختصاص الآية بنساء النبي (صلى الله عليه وآله) — رأياً قاسياً مخالفاً لرأي جمهور المفسرين، اتخذ الألوسي رأياً وسطاً ليكون جامعاً بين القولين وقال: «والذي يظهر لي: إنّ المراد من أهل البيت من لهم مزيد علاقة به (صلى الله عليه وآله) ونسبة قوية قريبة إليه عليه الصلاة والسلام بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه (صلى الله عليه وآله) في بيت واحد، ويدخل في ذلك أزواجه والأربعة أهل الكساء، وعلي كرم الله وجهه مع ماله من القرابة من

١. لاحظ: ترجمته في ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ - ٩٧؛ سير أعلام النبلاء ٥: ١٨-٢٩.

٢. سير أعلام النبلاء ٤: ٤٢١ - ٤٣٤.

٣. سير أعلام النبلاء ٧: ٢٢٠.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد نشأ في حجره - عليه الصلاة والسلام - فلم يفارقه وعامله كولد صغيراً وصاهره وآخاه كبيراً^١.

يلاحظ عليه: أولاً:

أنّ ما ذكره هو خلاف ما فهمه زيد بن أرقم - ذلك الصحابي - من الآية لما قيل له «من أهل بيته نساؤه»؟! قال: «لا وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها.. إلى آخر ما ذكره^٢.

وثانياً: أنّ تعميم أهل البيت في الآية إلى النساء خلاف ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله). روى الحاكم: عن عطاء بن يسار عن أمّ سلمة - رضي الله عنها - أنّها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي.

قالت أمّ سلمة: يا رسول الله: ما أنا من أهل البيت؟

قال: إنّك على خير، وهؤلاء أهل بيتي. اللهم أهلي أحق.

١. روح المعاني، للسيد محمود الآلوسي البغدادي (المتوفى ١٢٧٠ هـ) ٢٢ : ١٩، في

تفسير آية التطهير. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢. صحيح مسلم ٧ : ١٢٣، باب فضائل علي عليه السلام.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.^١
وقال الترمذي بعد نقل الحديث: هذا حديث حسن صحيح، وهو
أحسن شيء روي في هذا الباب.^٢

وثالثاً: أن ما ذكره يخالف تخصيص النبي الآية بأصحاب الكساء
بصورة مختلفة حتى جعلهم تحت الكساء وجلّ لهم به، حتى يكون عمله
جامعاً ومانعاً للغير. ومع ذلك كيف يصحّ للسيد الألوسي - تعيم الآية؟!
فلاحظ.

وبالجملة: الأحاديث المتضاربة بل المتواترة - إجمالاً - على أن
النبي (صلى الله عليه وآله)، أخبر عن اختصاص الآية بأهل الكساء وحقق
ما يريده بعناوين متنوّعة، كثيرة لا يسعنا نقلها في هذا المقال المطلوب فيه
الإيجاز والاختصار.

هذا إجمال ما يمكن أن يقال في نزول الآية في حق
الخمسة سلام الله عليهم، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب أصحابنا
فلهم بحوث تفصيلية حول الآية.

وأما المقام الثاني: أي دلالة الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فهي

١. المستدرک علی الصحيحین ٣ : ١٤٧.

٢. سنن الترمذي ٥ : ٣٦١ برقم ٣٩٦٣، باب ما جاء في فضل فاطمة عليها السلام.

مبتنية على ثبوت أمرين:

١. أن الرّجس أمر يعمّ المعاصي صغيرها وكبيرها.
٢. أن الإرادة تكوينية لا تشريعية.

أمّا الأمر الأوّل: فقد استعملت هذه اللفظة في الذكر الحكيم ثمان مرّات ووصف بها الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والكافر غير المؤمن بالله، والميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والأوثان، وقول الزور. فالجامع بينها القذارة التي تنتفّر منها النفوس؛ سواء أكانت مادّية كما في مورد اللحوم، أم معنوية كما هو الحال في الكافر وعابد الوثن ووثنته، فالجامع بينهما هي الأعمال القبيحة عرفاً أو شرعاً.

قال العلامة الطباطبائي: الرّجس - بالكسر والسكون - صفة من الرّجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في النفس توجب التجنّب والتنفّر منها، وهي تكون تارة بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير، قال تعالى: ﴿أَوْ لَصَمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾^١ وبحسب باطنه أخرى، وهي الرّجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وأثر العمل السيّئ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٢ وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

١. الأنعام : ١٤٥.

٢. التوبة : ١٢٥.

لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^١.
وأياً ما كان فهو إدراك نفسي وأثر شعوري يحدث من تعلّق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيّئ، وإذهاب الرّجس عبارة عن إزالة كلّ هيئة خبيثة في النفس تضاد حق الاعتقاد والعمل، وعند ذلك يكون إذهاب الرّجس معادلاً للعصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية، تحفظ الإنسان من رجس باطني الاعتقاد وسيّئ العمل^٢، هذا كلّه حول الأمر الأوّل.

وأما الأمر الثاني: أعني كون الإرادة تكوينية لتشريعة.
فإنّ انقسام إرادته سبحانه إلى تكوينية وتشريعية أمر واضح، أمّا الأولى فهي ما تتعلّق بإيجاد الشيء، ومنها قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٣.
وأما الثانية فهي ما إذا تعلقت إرادته بتشريع حكم من الأحكام وبعث الناس إلى العمل به.
فالإرادة التكوينية لا تنفك عن المراد، بخلاف التشريعية فإنّها لغاية

١. الأنعام : ١٢٥.

٢. الميزان في تفسير القرآن ١٦ : ٣٣٠.

٣. يس : ٨٢.

بعث الناس إلى الفعل أو الترك مخيرين بين الطاعة والعصيان.
فنقول: لاشك أن الإرادة المتعلقة بإذهاب الرجس عن أهل البيت
بالخصوص تكوينية، إذ لو كانت تشريعية لما اختصت بطائفة دون طائفة؛
لأن الهدف الأسمى من بعث الأنبياء هو تطهير عامة الناس عن الذنوب
بقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾^١.

وإن شئت قلت: تخصيص تعلق الإرادة بجمع خاص يمنع من تفسير
الإرادة بالإرادة التشريعية التي عمّت الأمة جميعاً.

وبعبارة ثالثة: لو كانت الإرادة تشريعية لما احتاج إلى إبراز العناية
بصور مختلفة الواردة في الآية، فإليك بيان تلك العناية:

أ. ابتداء سبحانه كلامه بلفظ الحصر «إثماً»، ولا معنى له إذا كانت
الإرادة تشريعية، لأنها غير محصورة بأناس مخصوصين.

ب. عيّن تعالى متعلق إرادته بصورة الاختصاص، فقال: «أهل
البيت» أي أخصكم أهل البيت.

ج. قد بين متعلق إرادته بلفظة «عنكم» وقال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ
الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.

د. قد أكدّه أيضاً بالإتيان بمصدره بعد الفعل وقال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً، ليكون أوفى في التأكيد.

هـ. أنه سبحانه أتى بالمصدر نكرة، ليدلّ على الإكبار والإعجاب، أي تطهيراً عظيماً معجباً.

و. أن الآية في مقام المدح والثناء، فلو كانت الإرادة إرادة تشريعية لما ناسب الثناء والمدح.

وعلى الجملة: العناية البارزة في الآية تدلّ بوضوح على أن الإرادة هناك غير الإرادة العامة المتعلقة لكل إنسان حاضر أو باد.

وبذلك نقول: تعلّقت إرادته سبحانه بتنزيههم عن القبيح والعصيان كما تعلّقت إرادته بعصمة الأنبياء عن الذنب والعصيان، وقد ثبت في محله أن العصمة لا تخالف الاختيار، وذلك لأن القدرة والتمكّن على فعل المعصية ثابتان للمعصوم، إلا أن العصمة تصدّه عن ذلك، فهذا يوسف كان قادراً على ارتكاب الفاحشة إلا أن عصمته منعه عن ذلك، وبهذا استحق الثناء والمدح.

شبهتان ضئيلتان

إن السيد محمود آلوسي - مع أنه من الشرفاء - أخذ يناقش دلالة

الآية على عصمة أصحاب الكساء بوجهين ضعيفين لا يليقان بساحته:

الأوّل: أن الآية لا تدلّ على عصمتهم، بل لها دلالة على عدمها. إذ

لا يقال في حقّ من هو طاهر: إني أريد أن أظّهرك، ضرورة امتناع تحصيل الحاصل، غاية ما في الباب أن كون هؤلاء

الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلّق الإرادة بإذهاب رجسهم، يثبت بالآية^١.
يلاحظ عليه:

أولاً: أنّ النبي من أصحاب الكساء والداخل تحت قوله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فلازم ما ذكره من التفسير: أنّ النبي لم يكن متطهراً من الرجس قبل هذه الآية وإثما صار كذلك بعد نزولها، وهو خلاف ما اتفق عليه المسلمون من عصمته بعد البعثة.

وثانياً: أنّ الإذهاب تارة يطلق ويراد به إذهاب الشيء بعد وجوده كما في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجِزَ الشَّيْطَانِ﴾^٢، وأخرى يطلق ويراد حسم أسباب الرجس وإذهاب المقتضي، لا رفعه بعد وجوده، ونعم ما ذكره الزمخشري حيث قال في تفسير الآية: إنّما يريد لئلا يقارف أهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى^٣.

الثاني: لو تعلّقت إرادته التكوينية بعصمتهم، فيتحقق عندها الفعل، فعندئذ فأي حاجة لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله) في حقهم حيث روي

١. روح المعاني ١٩ : ١٨.

٢. الأنفال : ١١.

٣. تفسير الكشاف ٢٣ : ٥٣٨.

أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً،
إِذْ عِنْدُكَ يَكُونُ أَشْبَهُ بِمَحْصُولٍ وَاجِبِ الْمَحْصُولِ.^١

يلاحظ عليه: بأنَّ دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) إنّما هو للاستمرار،
نظير قوله سبحانه:

﴿افْعَلْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٢، فَإِنَّ مَعْنَاهُ طَلِبَ اسْتِمْرَارِ الْهُدَايَةِ مِنْ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَكَذَا دَعَاءُ النَّبِيِّ طَلِبَ اسْتِمْرَارِ الطَّهَارَةِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، إِذْ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ تَتَعَلَّقَ إِرَادَتُهُ سُبْحَانَهُ بِفَتْرَةٍ خَاصَّةٍ دُونَ
عَامَّةِ الْفَتَرَاتِ، فَالنَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) طَلِبَ مِنَ اللَّهِ شُمُولَهَا لِعَامَّةِ
الْفَتَرَاتِ.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَالَا تَصْرِفْ
عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^٣، إِنَّ تِلْكَ الْقُوَّةَ
الْقُدْسِيَّةَ الَّتِي اسْتَعَصَمَ بِهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَمْرٍ تَدْرِيجِي يَفِضُ عَلَيْهِ أَنَا
بَعْدَ أَنْ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الدَّفْعِيِّ الْمَفْرُوعِ عَنْهُ، وَإِلَّا
لَانْقَطَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَلِذَا عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي﴾.

١. روح المعاني ١٩ : ١٠.

٢. الفاتحة: ٦.

٣. يوسف: ٣٣.

و لم يقل: «ولم تصرف عني».^١

وحصيلة الكلام: أنَّ الممكن في وجوده وبقائه قائم بالله سبحانه فهو في حدوثه رهن العلة، وهكذا في بقاءه لأنَّه في حدِّ الذات لا يملك شيئاً فلذلك في كلِّ آن رهن الأفاضة من الله سبحانه إليه، وهذا هو المصحح لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله) لاستمرار تلك الإفاضة. وأظنُّ أنَّ هذه الإشكالات كانت واضحة الجواب عند السيد الآلوسي، ولكن رأيه المسبق في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أوجد تلك الأفكار في ذهنه.

سؤال وإجابة

ربما يقال: إنَّ الآية على فرض دلالتها على العصمة إنما تدلُّ على عصمتهم من العصيان، وأمَّا عصمتهم من الخطأ فالآية غير ناظرة إليه. والجواب: أنَّ بعض المفسِّرين عمَّ الرجس على الفكر الخاطئ في ذهن الإنسان، وبذلك جعل الآية دالَّة على العصمة في كلا الموقفين.^٢ ومع ذلك يمكن الإجابة بالقول بالملازمة بين العصمة من الذنوب والعصمة من الخطأ بالبيان التالي:

إنَّ الهدف الأسمى من وصفهم أهل البيت (عليهم السلام) بالعصمة ليس إلا

١. الميزان في تفسير القرآن ١٣ : ٢٧٠.

٢. نقله الشوكاني في إرشاد الفحول : ١٢٦.

اتَّخَذَ الْأُمَّةَ لَهُمْ أَسْوَةً عَلَى الصَّعِيدِ الْفَرْدِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ، وَمَعْنَى ذَلِكَ كَوْنُهُمْ مَعْصُومِينَ فِي جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانُوا يَخْطِئُونَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَمَا صَحَّ جَعْلُهُمْ أَسْوَةً عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ.
وبعبارة أخرى: إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَةٌ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَعْنَى ذَلِكَ كَوْنُهُمْ مُصِيبِينَ فِي مَجَالِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

الآية الثانية: آية طاعة أولي الأمر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^١

وجه الدلالة: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَطَفَ أُولِي الْأَمْرِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَشْرَكَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ: أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ إِطَاعَةَ الرَّسُولِ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَاقْتَضَى أَنْ يَكُونَ أَوْلُو الْأَمْرِ كَذَلِكَ أَيْضًا فَتَجِبَ إِطَاعَتُهُمْ مُطْلَقًا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَعْصُومٌ قَطْعًا.

وإن شئت فصغه في قالب الكبرى والصغرى، وقل:

أولو الأمر مَنْ وجبت إطاعتهم مطلقاً.

ومن وجبت إطاعتهم مطلقاً فهم معصومون.

ينتج: أولو الأمر معصومون.

وهذا ممّا لا كلام فيه، فقد اعترف بما ذكرنا الفخر الرازي في تفسيره وقال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأتّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً.^١

ثم إنّ بعض المفسّرين حمل «أولي الأمر» على الأمراء والسلاطين، ومن المعلوم أنّ أولئك غير معصومين، بل أكثرهم من الفسقة والفجرة الذين يتعاملون بحقوق الشعوب بالحرمان والعصيان، وبعضهم فسّره بالعلماء من أهل الحلّ والعقد، وهذا أيضاً كالتفسير السابق إذ ليسوا بمعصومين قطعاً.

وأما تفسيرهم بالخلفاء الراشدين فغير تامّ جداً؛ لأنّه يستلزم

١. تفسير الرازي ١٠ : ١٤٤.

اختصاص الآية بفترة خاصة لا تتجاوز الأربعين سنة.

فعلى المفسر المحقق أن يتحرى عن المراد بـ «أولي الأمر» فلامعنى لأن يأمر الله سبحانه بإطاعة أولي الأمر ولكن لم يعرفهم.

والذي يجب أن يقال: إنهم عبارة عن الخلفاء الاثني عشر الذين عرفهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بتعابير مختلفة.

أخرج مسلم في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^١.

إن أحاديث الأئمة الاثني عشر من الروايات الواردة في صحيح البخاري ومسلم بطرق وصور مختلفة، كلها تحكي عن أن النبي ﷺ أخبر عن اثني عشر خليفة من بعده، بهم أنيط عز الإسلام وقوامه، وبما أن المقال لا يسع لنقل هذه الروايات فللطالب أن يرجع إلى الصحيحين.^٢

وقد مرّ أن تفسير أولي الأمر بالخلفاء الراشدين يستلزم اختصاص الآية بفترة معينة ولكن تفسيره بالأئمة الاثني عشر يلزم استمرار وجود أولي الأمر، فإن الإمام الثاني عشر (أعني المهدي ابن الحسن المنتظر عجل الله فرجه) هو حي يرزق سيظهره الله تعالى في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً

١. صحيح مسلم ٦ : ٣، ط. دار الفكر بيروت؛ سنن أبي داود ٢ : ٣٠٩.

٢. صحيح البخاري ٨ : ١٢٧، طبعة دار الفكر، ١٤٠١ هـ.

وعدلاً، كما ورد في المصادر الحديثية للفريقين.

١- روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^١.

٢- أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^٢.

٣- أخرج أبو داود عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^٣.

٤- أخرج الترمذي عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^٤.

إلى هنا تم الكلام في الدليل القرآني على عصمة أهل البيت ﷺ. بقي الكلام فيما ورد في السنة الشريفة من دلائل عصمتهم.

المقام الثاني: عصمة أهل البيت ﷺ على بيان من النبي الأكرم ﷺ. قد ورد في لسان النبي ﷺ التعريف بأهل البيت تارةً وبالعترة ثانياً،

١. مسند أحمد ١ : ٩٩ ، ٣ : ١٧ و ٧٠.

٢. جامع الأصول ١١ : ٤٨ برقم ٧٨١٠.

٣. المصدر نفسه برقم ٧٨١٢.

٤. المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

وبعبارات تدلّ على أنّهم لا يفارقون الحق ولا يميلون إلى الباطل، وقد ورد ذلك المضمون في روايات متعدّدة نخصّ بالذكر منها اثنتين وهما:

١. حديث الثقلين

إنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قرن عترته بالكتاب الكريم وجعل التمسك بهما سبباً لعدم ضلال الأمّة، ومن المعلوم أنّ القرآن لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، فما فيه عين الحق وحق اليقين، فإذاً يكون قرينه الذي لا يفترق عنه، مثله، وهذا ما يعبر عنه بحديث الثقلين لوروده في بعض المتون، وهانحن نذكر الصور المختلفة المتنوّعة من هذا الحديث الذي نادى به النبي (صلى الله عليه وآله) في مواضع مختلفة، ولعلّ الاختلاف في بعض الألفاظ نابع من إيرادها في ظروف متعدّدة، وإليك صور الحديث:

أ. لما رجع من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن فقال:

١. «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين. أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^١.

٢. «يا أيّها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا:

١. أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم، المستدرک ٣ : ١٠٩.

كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»^١.

٣. «إِنِّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي؛ ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٢.

٤. «إِنِّي تارك فيكم الخليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأتّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^٣.

وقد اقتصرنا في نقل المصادر بالأقل القليل من الكثير وإلاّ فمصادر الحديث كثيرة تناهز العشرات، وقد ألف غير واحد من أصحابنا كتباً في أسانيد الحديث وتضافره بل تواتره.

ولكن يجب علينا أن نركّز على ما رامه النبي الأكرم ﷺ من الوصاية بهما، فنقول:

إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد حكم في حديث الثقلين عن وجود التلازم بين عترته أهل بيته وبين الكتاب العزيز وأوصى المسلمين بالتمسّك بهما معاً مصطحبين، ليتجنّبوا الوقوع في الضلالة،

١. أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما في كنز العمال ١ : ٤٤.

٢. أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم ونقله في كنز العمال ١ : ٤٤، برقم ٨٧٤.

٣. أخرجه أحمد في مسنده ٥: ١٨٢/١٨٩ و٣: ١٤ و١٧ و٢٦، طبعة دارصادر، بيروت؛

سنن الترمذي ٥: ٣٢٨؛ فضائل الصحابة للنسائي ١٥؛ مجمع الزوائد ١: ٨٨.

وأشار (صلى الله عليه وآله) بقوله: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» إلى أنّهما بمنزلة التوأمين الخلفيتين عنه (صلى الله عليه وآله)، وهذا يقضي أن يكون أهل البيت (عليهم السلام) مقارنين للكتاب في الوجود والحجّة. وبعبارة أخرى: إنّ ذلك يدلّ على أنّه لا بدّ في كلّ عصر، في جملة أهل البيت، من حجّة معصوم مأمون يقطع على صحّة قوله. ومّا يؤيد ما ذكرنا أنّه ورد في ذيل بعض الصور أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) بعد ما ذكر أنّه مخلف كتاب ربه وعترته أهل بيته، قد أخذ بيد عليّ (عليه السلام) ورفعها وقال: «هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض»،^١ أفيشك في عصمة القرآن مسلم؟! فلا بدّ أن لا يشكّ في عصمة من لا يفارقه.

٢. حديث السفينة

تضافرت الروايات عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنّه شبّه أهل بيته بسفينة نوح، وقال ما هذا لفظه:

«ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».^٢

وفي لفظ آخر: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من

١. الصواعق المحرقة : ١٢٤، طبعة المحمدية بمصر.

٢. مستدرك الحاكم ٢ : ٣٤٣، و ٣ : ١٥١.

ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإِثْمًا مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني اسرائيل من دخله غُفِرَ له»^١.

إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المحدثين ولايسعنا نقل مصادره، ولسماحة الدكتور الرجوع إلى هامش الصفحة ٧٧ من كتاب المراجعات.

يقول السيد شرف الدين العاملي:

وأنت تعلم أنّ المراد بتشبيههم بسفينة نوح، أنّ مَنْ لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، غير أنّ ذاك غرق في الماء وهذا في الجحيم والعياذ بالله.

والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطّة هو أنّ الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والخضوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. وقد جعل انقياد هذه الأمة لأهل نبيّها والاتباع لأئمتهم مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. وهذا وجه الشبه، وقد بيّنه ابن حجر في كلامه — بعد أن أورد الحديث وغيره قال :-

١. مجمع الزوائد للهيثمى ٩ : ١٦٨. ولاحظ: المعجم الكبير، للطبراني ٣ : ٤٦؛

كنز العمال ٢ : ٤٣٥ و ١٢ : ٩٨.

ووجه تشبيههم بالسفينة أن مَنْ أَحَبَّهُمْ وَعَظَّمَهُمْ شُكْرًا لِنِعْمَةِ
مَشْرِفِهِمْ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ
ذَلِكَ غَرِقَ فِي بَحْرِ كُفْرِ النِّعَمِ، وهلك في مفاوز الطغيان... إلى أن قال: وباب
حِطَّة - يعني: ووجه تشبيههم بباب حِطَّة - أن الله تعالى جعل دخول ذلك
الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً
للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودّة أهل البيت سبباً لها.^١

هذا ما سمح به الوقت وجاد به الفكر وقد حرّره للأستاذ الفاضل
الذي لا يسعني إلاّ امتثال أمره، عسى أن يقع موقع القبول وأن لا ينساني
من صالح دعواته؛ في خلواته وأعقاب صلواته.

والحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحاني - قم المقدّسة

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

٧ / محرم الحرام / ١٤٣٤ هـ

﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^١

الأستاذ: محسن الأسدي

هناك العديد من الشعائر في فريضة الحج: مناسك وعلامات وأعمالاً وأقوالاً، وكلّ ما جعل علماً لطاعة الله، أو طريقة في العبادة، أو شعاراً وعلامةً على مناسك الحجّ والعمرة من إحرام وطواف وسعي و...

وفي معاجم اللغة:

الشَّعِيرَةُ: العلامة، أصلُ الإشعار: الإعلام ثم اصطلحَ على استعماله في معنى آخر فقالوا: أشعرَ البدنةَ إذا جعلَ فيها علامةً وهو أن يشُقَّ

جلدها أو يطعنهما في أسنمتها في أحد الجانبين بمبضع أو نحوه وقيل: طعنَ في سنامها الأيمن حتى يظهرَ الدَّمُ ويُعرف أنها هديٌّ... والشَّعِيرَةُ: البدنة مشهورة نزلت منزلة الحقيقة.. البدنة المُهداة لبيت الله تعالى، سميت بذلك؛ لأنه يؤثر فيها بالعلامات. وأنشد أبو عبيدة:

نُقَاتِلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً تَرَاهُمْ * * * شَعَائِرُ قُرْبَانٍ بِهَا يُتَقَرَّبُ

والشَّعِيرَةُ جمعها شعائرُ، هي ما ندب الشرع إليه ودعا إليه وأمر بالقيام به. وشعارُ الحجِّ وشعائره: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله وكلُّ ما جعلَ علماً لطاعةِ الله عزَّ وجلَّ كالوقوفِ، والطوافِ، والسعيِ، والرميِ، والذبحِ، وغير ذلك. ومنه الحديث أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: مر أمتك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإِنَّهَا من شعائر الحج، واحدتها شعيرة..

والمَشْعَرُ: المَعْلَمُ والمُتَعَبَّدُ من مُتَعَبَّدَاتِهِ، والمَشَاعِرُ المعالم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام عليها، ومنه سمي المَشْعَرُ الحرام؛ لأنه مَعْلَمٌ للعبادة. والمِشْعَرُ ولا يكادون يقولونه بغير الألف واللام..

وفي التنزيل العزيز وردت «شَعَائِرُ» ثلاث مرات في الآيات: ١٥٨ من سورة البقرة؛ ٢ من سورة المائدة؛ ٣٢ و٣٦ من سورة الحج. وما ذكر في مصادر التفسير لا يكاد يختلف عما جاءت به اللغة؛ فالشيخ الطبرسي يذكر أن الشعائر أعلام الحج وأعماله جمع شعيرة وهي

واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الأمر، إذا علم به؛ والمشاعر المعالم من ذلك الأشعار الأعلام من جهة الحس. وقيل: الشعيرة والعلامة..

وقال الزجاج في شعائر الله: يعني بها جميع متعبدات الله التي أشعرها الله، أي جعلها أعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف، أو مسعى، أو ذبح، وإنما قيل شعائر لكل علم مما تعبد به؛ لأن قولهم شَعَرْتُ به علمته، فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله تعالى شعائر والمشاعر مواضع المناسك..

وقال الفراء عما جاء في التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: كانت العرب عامة لا يرون الصفا والمروة من الشعائر ولا يطوفون بينهما، فأنزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله، أي لا تستحلوا ترك ذلك وقيل: شعائر الله مناسك الحج...

هذا وقد ذكرت مفردة «الْمَشْعَر» مرة واحدة في الآية ١٩٨ من سورة البقرة: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَسْعَرِ الْحَرَامِ﴾، والمشعر الحرام: المزدلفة. سُميَ المشعرُ الحرام، لأنه معلَّم للعبادة وموضع لها..

إذن، فالشعائر ما جعل علامة على أداء عمل من أعمال الحج والعمرة، وهي المواضع المعظمة مثل المواقيت التي يقع عندها الإحرام، ومنها الكعبة، والمسجد الحرام، والمقام، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام بمزدلفة، ومنى، والجمار.

ويُفَصِّل ابن عاشور أكثر في تقسيمه للشعائر ويجعلها ثلاثاً، وذلك بعد كلامه عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ والتي من معانيها التي ذكرها المفسرون:

أنها مناسك الحج، أي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها.. أنها الصفا والمروة، والهدي من البدن، وغيرها..

فيقول في الآية هذه: وقد كانت الشعائر كلّها معروفة لديهم، فلذلك عدل عن عدّها هنا. وهي أمكنة، وأزمنة، وذوات:

فالصفا، والمروة، والمشعر الحرام، من الأمكنة.

والشهر الحرام من الشعائر الزمانية.

والهدي والقلائد من الشعائر الذوات.

فعطف القرآن المجيد الشهر الحرام والهدي وما بعدهما من شعائر الله عطف الجزئيّ على كليّة للاهتمام به.^١

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾

يقول ابن عاشور: "وتقديم «لكم» على المبتدأ ليتأتى كون المبتدأ نكرة ليفيد تنوينه التعظيم، وتقديم «فيها» على متعلّقه وهو «خير»

١. انظر معاجم اللغة، منها: تاج العروس، ولسان العرب، والمعجم الوسيط: شعّر. وتفسير مجمع البيان للطبرسي؛ وتفسير القرآن لابن كثير؛ وتفسير التحرير والتنوير: الآية: ١٥٨ البقرة، و٢ المائدة، بتصرف بسيط.

للاهتمام بما تجمعه وتحتوي عليه من الفوائد. والخير المترتب عليها، يعني نفعاً في الدنيا وأجراً في الآخرة..

فالخير: النفع، وهو ما يحصل للناس - والكلام أيضاً لابن عاشور - من النفع في الدنيا من انتفاع الفقراء بلحومها وجلودها وجلالها ونعالها وقلائدها. وما يحصل للمُهددين وأهلهم من الشبع من لحمها يوم التحرر، وخير الآخرة من ثواب المُهددين، وثواب الشكر من المعطين لحومها لرَبِّهم الذي أغناهم بها وكلها.

وبعد أن يذكر سيد قطب اختصاص البدن بالذكر لأنها أعظم الهدي، فإن السياق يقرر أن الله أراد بها الخير لهم، فجعل فيها خيراً وهي حَبِيبَةٌ تَرْكَبُ وتَحْلُبُ، وهي ذبيحة تهدي وتطعم!

كيف لا يكون فيها خير؟! وهي نفع في الدنيا كما أنها أجر في العقبى، وكيف لا وقد أمرنا بالأكل منها وأن نطعم القانع والمعتز؟! فالأول وهو الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرّض. وذكر ابن عاشور، وهو يتحدث عن القانع، أن أحسن ما جمع من النظائر ما أنشده الخفاجي:

العَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنَعَ

والحرُّ عَبْدٌ إِنْ قَنَعَ

فاقْنَعْ وَلَا تَقْنَعْ فَمَا

شيء يشين سوى الطمع.

والثاني هو السائل أو المتعرض..

فعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن القانع والمعتز فقال:
القانع الذي يقنع بما أعطي والمعتز الذي يعتري بالأبواب، قال: أما سمعت
قول زهير: عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ * وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاةُ وَالْبَدَلُ.
والإطعام هذا؛ والأكل ذاك، متى يقعان؟

تأتينا الآية لتبين ذلك بقولها:

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَاعَ وَالْمُعْتَرِ﴾

الوجوب: الوقوع.^١ وقعت لنحرها، واطمأنت على الأرض بموتها
واستقرت، عندئذ يبدأ الأكل منها من قبل أصحابها، ويبدأ إطعام غيرهم:
الفقير القانع، والفقير المعتز.

﴿وَكَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾

ولذلك ولغيره سخرها الله تعالى لنا، ذللها لنا..

فجملته «وكذلك سخرناها لكم» استئناف للامتنان بما خلق من
المخلوقات لنفع الناس. والأمانة الدالة على إرادته ذلك أنه سخرها

١. انظر تفسير بحر العلوم، السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) ولمزيد فائدة، انظر ما ذكره
المفسرون، ومنهم الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان من الأقوال في الأكل والإطعام،
وأيضاً في معنى القانع والمعتز.

للناس مع ضعف الإنسان وقوّة تلك الأنعام فيأخذ الرجل الواحد العدد منها ويسوقها منقادة ويؤلمونها بالإشعار ثم بالطعن. ولولا أن الله أودع في طباعها هذا الانقياد لما كانت أعجز من بعض الوحوش التي هي أضعف منها فتتفر من الإنسان ولا تسخر له! وقوله: «كذلك» هو مثل نظائره، أي مثل ذلك التسخير العجيب الذي ترونه كان تسخيرها لكم". انتهى كلام ابن عاشور.^١

يقول الآلوسي:

ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى: «صَوَّافٌ»، «سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ» مع كمال عظمتها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى إنكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة وكفى ما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة. وقال ابن عطية: كما أمرناكم فيها بهذا كله سخرناها لكم ولا يخفى بعده.^٢

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. أي لتشكروا إنعامنا عليكم، فلقد سخرها الله للناس ليشكروه على ما قدر لهم فيها من الخير حيّة وذبيحة!

١. انظر التحرير والتنوير: الآية.

٢. روح المعاني: الآية.

حقاً، إنها لنعمُ ينبغي لنا شكر الله تعالى، فهو من أنعم بها علينا،
عبر التقرب إليه والإخلاص له في الدين، طلباً لرضاه، ورغبة في زيادة
النعم ودوامها، وهو القائل:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

يقول ابن عاشور:

فبعد أن خلقناها مسخرة لكم استجلاباً لأن تشكروا الله بإفراده
بالعبادة. وهذا تعريض بالمشركين إذا وضعوا الشرك موضع الشكر.

ذكرُ وتكبيرُ!

وقد فُرع على ذلك أمران مهمان يتضمنهما موضوع النحر هذا،
وهما:

الأول: ﴿فَاذْكُرُوا أَنَّمْ آلَهُ عَلَيْهِ صَوَافٌ﴾، جزاء أن جعلها الله
خيراً لهم، هو أن يذكروا اسم الله، وهناك نصوص عديدة وردت، تُقرأ
عليها وهم يتوجهون بها إليه تعالى حين نحرها، منها: "بسم الله والله أكبر
اللهم منك ولك"؛ "الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك"،...
وقد تهيأت لذلك بصف أقدامها.

﴿صَوَافٌ﴾، يعني قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها ويدها
اليمنى والأخرى معقولة.. وصافة. وصواف جمع صافة هي المستمرة في
وقوفها على منهاج واحد، فالصف استمرار جسم يلي جسماً على منهاج

واحد. والتسمية إنما تجب عند نحرها دون حال قيامها ، هذا ما ذكره الشيخ الطوسي، وراح يذكر ثلاثة أوجه لقراءتها: صواف بمعنى مصطفة، وعليه القراء. وصوافي، بمعنى خالصة لله وهي قراءة الحسن. و «صوافن» بمعنى معلقة في قيامها، بأزمتها وهي قراءة ابن مسعود، وهو مشتق من صفن الحصان إذا ثنى إحدى يديه حتى قام على ثلاث، ومنه قوله: ﴿... الصَّافِنَاتُ الْجِيَارُ﴾^١. قال الشاعر:

الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا
والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاث، ويثني سنبك الرابعة.^٢
الثاني: ﴿تُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾، فقد هداكم إلى توحيدهِ والاتجاه إليه وإدراك حقيقة الصلة بين الرب والعباد، وحقيقة الصلة بين العمل والاتجاه.. ولتعظموه ثم تشكروه على هدايته إياكم الى معرفته وطريق ثوابه.. كان ذاك وهذا جزاء تسخيرها أن يذكر اسمه وأن يتم تكبيره تعالى، وأن ينطق شيءٌ منا هو الأعظم من لحومها ودمائها، فيصل إليه تعالى، ألا هو:

١. سورة ص : ٣١.

٢. لباب التأويل للخازن؛ وتفسير التبيان، للشيخ الطوسي.

التقوى:

وقد قرن الله تعالى أداؤها وتعظيمها بتقوى القلوب المؤمنة، وجاءت مفردة التقوى بخصوص هذه الشعائر في موضعين من التنزيل العزيز:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^١
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتَّقَوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ يَضْرَهُهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْسِنِينَ﴾^٢

فأي شيء يتقبله الله تعالى من هذه الشعيرة؟!

من المؤكد أن ما كانوا يفعلونه في جاهليتهم أمر مرفوض، وليس له في ميزان السماء شيء يذكر، فقد كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا الهدي استقبلوا الكعبة بالدماء، فنضحوها حول البيت قربة إلى الله، وكان مشركو قريش يلطخون أوثانهم وآلهتهم بدماء الأضحيات على طريقة الشرك المنحرفة الغليظة.. ويبدو أن هذه الآية جاءت ردًا على فعلهم المذكور واعتقادهم الخاطيء..

وعن السيوري: قيل: إن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لله، لطخوا البيت بدمائها، فأراد المسلمون أن يفعلوا كذلك، فنهاهم الله بهذه الآية... ونوجز ما في الروايات: ... كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة

١. الحج : ٣٢.

٢. الحج : ٣٧.

بالدَّمَاءِ، يَنْضَحُونَ بِهَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ. فَأَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَنْ يَنَالَ...﴾.

... كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْضَحُونَ الْبَيْتَ بِلَحُومِ الْإِبِلِ وَدِمَائِهَا. فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَنْضَحَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَنْ يَنَالَ...﴾. ... فَكَانُوا إِذَا ذَبَحُوا نَضَحُوا الدَّمَ عَلَى مَا أَقْبَلَ مِنَ الْبَيْتِ، وَشَرَحُوا اللَّحْمَ، وَجَعَلُوهُ عَلَى الْحِجَارَةِ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْظُمُونَ الْبَيْتَ بِالدَّمِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَعْظُمَهُ.. فَزَلَتْ: ﴿لَنْ يَنَالَ...﴾.

إِذَنْ، لَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ هَذِهِ الشَّعِيرَةَ وَتِلْكَ اللَّحُومَ، وَلَا تِلْكَ الدَّمَاءَ، وَلَنْ يَسْمَحَ بِأَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ، أَوْ تَصْعَدَ وَتَبْلُغَ رِضَاهُ إِلَّا بِتَقْوَى الْقُلُوبِ، فَالْتَقَوَى "امْتَثَالَ أَوْامِرِهِ تَعَالَى وَالِانْتِهَاءَ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَإِخْرَاجَ تِلْكَ الْبَدَنِ مِنْ مَالٍ طَيِّبٍ لَا شَبَهَةَ فِيهِ عَنْ سَخَاءِ نَفْسٍ، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ شَحِيحَةٌ وَمُخَالَفَتُهَا مِنَ التَّقْوَى." تَصْعَدُ إِلَيْهِ كُنَايَةً عَنْ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، الَّتِي تَرْفَعُهَا التَّقْوَى وَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى؛ أَعْمَالاً زَاكِيَةً بِنَوَايَا خَالِصَةٍ، فَيَتَحَقَّقُ الْمَهْدَفُ مِنْهَا، وَيَقَعُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ "الْمُحْسِنُونَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ التَّصَوُّرَ، وَيَحْسِنُونَ الشُّعُورَ، وَيَحْسِنُونَ الْعِبَادَةَ، وَيَحْسِنُونَ الصَّلَاةَ بِاللَّهِ فِي كُلِّ نَشَاطٍ الْحَيَاةِ... وَهَكَذَا لَا يَخْطُو الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ خَطْوَةً،

١. انظر كنز العرفان، كتاب الحج ١ : ٣١٤؛ الدر المنثور، للسيوطي : الآية.

ولا يتحرك في ليله أو نهاره حركة، إلاّ وهو ينظر فيها إلى الله. ويجيش قلبه فيها بتقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه. فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق بها إرادة الله من خلق العباد، وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء!" وقيل: المراد بهم، المخلصون. وقيل: الموحدون. والظاهر أنّ المراد بهم: كل من يصدر منه من الخير ما يصح به إطلاق اسم المحسن عليه، وقيل: الذين يعملون أعمالاً حسنة ولا يسيئون إلى غيرهم...^١

بعد هذه المقدمة، نأتي إلى:

﴿الْبُدْنَ﴾ التي جعلها الله تعالى بنصّ الآية المباركة ٣٦ من سورة الحج، لا فقط من الشعائر، بل هي من شعائره، وأعلام دينه التي شرعها كما ذكرت كتب التفسير والرواية والفقه، ولم يغب عنها تفصيل أحكامها في كتاب الحج؛ وجوب الحج..؛ لنقف عند هذا المخلوق؛ نتعرف على أهميته ودوره في الحياة حتى يحظى بهذه المنزلة، التي أهلته لأن يكون شعيرة من شعائر حجّ التمتع؛ واجباً كان أو مستحباً، يجب على الحاج

١. كنز العرفان في فقه القرآن، للسيوري، كتاب الحج ١: ٣١٤؛ في ظلال القرآن، السيد قطب؛ وتفسير فتح القدير، الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)؛ ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، الآية.

أدائها، وإلا يختلَّ حُجُّه بل لا يكتمل، إن لم تؤدَّ وفق الشروط، ويترتب على التضحية بها خير كثير كما ذكرنا!

البُذْنُ لغةً

من الفعل بَذَنَ الحيوان: سَمَنَهُ وَضَحَّمَهُ بَذْنًا. فهو بادنٌ، وهي بَادِنَةٌ - بَذْنًا، وبُذْنًا، وبُذُونًا: سَمِنَ. و - ضَحَّم. جمعها: بُذْن، وبُذْن ... البَدَنَةُ: ناقةٌ أو بقرة، تُنحر بمكة قُرْبَانًا، وكانوا يسمُّونها لذلك (ج) بُذْنٌ، وبُذْنٌ. وفي حديث النبي ﷺ أنه أُتِيَ ببَدَنَاتٍ خَمْسٍ فَطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ بَأَيْتِهِنَّ..

يَبْدَأُ الْبَدَنَةُ بِالِهَاءِ تَقَعُ عَلَى النَّاَقَةِ وَالْبَقَرَةِ وَالْبَعِيرِ الذَّكَرِ مِمَّا يَجُوزُ فِي الْهُدْيِ وَالْأَضَاحِيِّ وَهِيَ بِالْبُذْنِ أَشْبَهُ، وَلَا تَقَعُ عَلَى الشَّاةِ سُمِّيَتْ بَدَنَةً لِعَظَمَتِهَا وَسِمْنِهَا، وَجَمْعُ الْبَدَنَةِ الْبُذْنُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

﴿وَالْبُذْنُ جَمْعُهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. قال الزجاج: بَدَنَةٌ وَبُذْنٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بَدَنَةً؛ لِأَنَّهَا تَبُذْنُ، أَيْ تَسْمَنُ.. الْبَدَنَةُ الَّتِي تُهْدَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ فِي الْحَجِّ فَلَا تُرَكَّبُ إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ^١ وعند المفسرين:

ما ذكروه ليس بعيداً عما ذكره أهل اللغة مفصلاً في مصادرهم:

١. انظر المعاجم، منها: لسان العرب، والصحاح، والمعجم الوسيط: بَذْنٌ، فلهم كلام طويل اكتفينا منه بهذا.

فالسمين الحلبي يقول: وَسُمِّيَتِ الْبَدَنَةُ بَدَنَةً؛ لَأَنَّهَا تُبَدَنُ، أَي: تُسَمَّنُ..

يقول تعالى ذكره: «وَالْبُدْنُ» وهي جمع بَدَنَةٍ، وقد يقال لواحدها: بَدَنٌ، وإذا قيل: بَدَنٌ احتمل أن يكون جمعاً و واحداً، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد؛ قول الراجز:

عَلَيَّ حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَا

صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نَذُورَا

وَحَلَقَ رَأْسِي وَأَفِيَا مَضْفُورَا

وَبَدَنًا مُدْرَعًا مَوْفُورَا

ويقول الزمخشري: وَالْبُدْنُ: جمعُ بَدَنَةٍ سُمِّيَتْ لِعِظَمِ بَدَنِهَا، وكذلك بَدَنٌ بِالضَمِّ يَبْدُنُ بَدَانَةً، فهو بَادِنٌ، وامرأةٌ بَادِنٌ أَيْضاً وَبَدِينٌ. وَبَدَنَ الرَّجُلُ أَسَنَّ وَضَعَفَ قَالَ حُمَيْدُ الْأَرْقَطِ:

وَكُنْتُ خِلْتُ الشَّيْبَ وَالتَّبْدِينَ وَالْهَمَّ مِمَّا يُذْهِلُ الْقَرِينَا ...

وَمِنْهُ الْمِبْدَانُ: السَّرِيعُ السَّمَنُ

وَإِنِّي لَمِبْدَانٌ إِذَا الْقَوْمُ أَحْمَصُوا وَفِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ شُحُوبَ

وَالْبَدَنَةُ نَاقَةٌ أَوْ بَقَرَةٌ، تُنَحَرُ بِمَكَّةَ قُرْبَانًا، وَكَانُوا يَسْمُونَهَا لِذَلِكَ...
فَالْبَدَنُ سُمِّنَتْ ذَكَرًا كَانَتْ أَوْ أُنْثَى؛ لِتُنَحَرَ أَوْ لِتُنْذَرُ، أَوْ تَكُونَ كِفَارَةً لِبَعْضِ
الْمَنَافِيَاتِ الْحَاصِلَةِ فِي الْحَجِّ..

المفردات للراغب: البدن الجسد لكن البدن يقال اعتباراً بعظم الجثة،
والجسد يقال اعتباراً باللون، ومنه قيل ثوب مجسد، ومنه قيل امرأة بادن
وبدين عظيمة البدن، وسميت البدنة بذلك لسمنها، يقال: بدن إذا سمن،
وبدن كذلك، وقيل بل بدن إذا أسن،...

وعلى ذلك ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تبادروني
بالركوع والسجود فإني قد بدنت»، أي كبرت وأسنت،... وقوله تعالى:
﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، هو جمع البدنة التي تهدي.^١

الإعراب: ﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

الواو عاطفة والبدن مفعول لفعل محذوف فهي منصوبة على
الاشتغال أي وجعلنا البدن، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به ولكم
متعلقان بجعلناها ومن شعائر الله مفعول به ثان لجعلناها التي هي
بمعنى التصيير...^٢

١. تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)؛ تفسير الدر المصون، السمين الحلبي

(ت ٧٥٦)؛ ومفردات الراغب؛ وكذا معجم المصطلحات الفقهية...

٢. إعراب القرآن وبيانه، الدرويش: الآية.

القراءة : ذكروا في قراءتها أقوالاً عديدةً، هذه خلاصتها:

«والبُذْنُ» بضمّ الدال والباء.

«والبُذْنُ» بسكون الدال.

قال الفراء: يقال: بُذْنٌ وبُذْنٌ، والتخفيف أجود وأكثر، لأنّ كلّ جمع كان واحده على «فَعْلَةٍ» ثمّ ضُمَّ أول جمعه، حُفِّفَ، مثل أَكْمَةٍ وأُكْمٍ، وأَجْمَةٍ وأُجْمٍ، وخَشَبَةٍ وخَشَبٍ.

وبالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف. وقرئ بالنصب والرفع كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَرْنَاهُ﴾^١.

وهل تختصُّ بالإبل؟

اختلف القول في ذلك، وإن كان الذي يبدو أنّ كلمة البدن إذا أخذت بمعنى السمنة، فهي تطلق على كل حيوان سَمَنَ، ليكون هدياً كما ذكر أعلاه.. أو أنها فعلاً مختصة بالإبل ذكراً وأنثى، وبعض الحيوانات كالبقرة ألحقت بها، كما نصَّ على هذا الطبري: «والبَدَنُ: هو الضخم من كلّ شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسَّدير: البَدَنُ، لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بَدَنَ تبديناً، فمعنى الكلام: والإبل العظام الأجسام الضخام،...».

١. يس: ٣٩؛ انظر تفسير بحر العلوم، السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي (ت ٦٨٥هـ)؛ تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

الطبرسي: «البدن جمع بدنة وهي الإبل البدنة بالسمن. قال الزجاج: تقول بدنت الإبل أي سمنتها. وقيل: أصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدن بدنا وبدنا إذا ضخم...»^١

وهذا الماوردي يذكر في البدن ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الإبل، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، وهو قول جابر، وعطاء.

والثالث: كل ذات خُفٍّ وحافر من الإبل، والبقر، والغنم، وهو شاذ

حكاه ابن الشجرة، وسميت بدناً لأنها مبدنة في السمن...^٢

ابن الجوزي: وللمفسرين في البدن قولان:

أحدهما: أنها الإبل والبقر، قاله عطاء.

والثاني: الإبل خاصة، حكاه الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقهاء

الأمصار.

قال القاضي أبو يعلى: البدنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة

تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة والبقرة عن

سبعة.^٣

١. انظر جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت ٣١٠هـ)؛ ومجمع البيان في

تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ).

٢. تفسير النكت والعيون، الماوردي (ت ٤٥٠هـ) الآية.

٣. تفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

وبعد أن يذكر السمين الحلبي أن الجمهور على ذلك، أي اختصاصها بالإبل، ... يذكر التالي: «وقيل لا تختصُّ، فقال الليث: البدنةُ بالهاء تقعُ على الناقةِ والبقرةِ والبعيرِ وما يجوز في الهدْي والأضاحي، ولا تقعُ على الشاة. وقال عطاءٌ وغيره: ما أشعر من ناقةٍ أو بقرةٍ. وقال آخرون:

البُدنُ يُراد به العظيمُ السنُّ من الإبلِ والبقرة...»^١.

وقد ذهب الزمخشري بعد أن ذكر أن «والبدن» جمع بدنة، سميت لعظم بدنها، إلى أنها هي الإبل خاصة بدلالة الآية، ولكن لأن رسول الله ﷺ ألحقَ البقرَ بالإبل حين قال: «البدنة عن سبعةٍ، والبقرة عن سبعةٍ».

فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية.

فعبارته الأخيرة واضحة على أنها مختصة بالإبل كما تدل عليه الآية. نعم هناك إلحاقاً للبقر..

وأيضاً البيضاوي يقول: وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة، ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في أجزائها عن سبعة بقوله

١. تفسير الدر المصون، السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ).

عليه الصلاة والسلام: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة»، تناول اسم البدنة لها شرعاً.^١

ابن عاشور:

والبدن: جمع بدنة بالتحريك، وهي البعير العظيم البدن. وهو اسم مأخوذ من البدانة، وهي عظم الجثة والسمن.. وغلب اسم البدنة على البعير المعين للهدي..^٢

كما أن المستفاد من أقوال الشيخ مكارم الشيرازي ذهابه إلى اختصاصها بالجمال والناقة دون غيرهما. حيث يقول: «أنَّ «البدن» هي الإبل البدينة.. وهي الناقة الكبيرة والسمنية...».^٣

الدليل: هذا، وأن الذي ذهب إلى أنها تطلق على غير الإبل، دليله أن البدنة مأخوذة من البدانة وهو الضخامة، والضخامة توجد فيهما جميعاً. وأيضاً فإن البقرة في التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الإبل؛ حتى تجوز البقرة في الضحايا عن سبعة كالإبل. والبدن هي الإبل التي تُهدى إلى الكعبة. والهدي عام في الإبل والبقر والغنم.

١. تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ).

٢. التحرير والتنوير: الآية.

٣. تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل: الآية.

والذي ذهب إلى أنها خاصة بالإبل دون غيرها، دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ فإنَّ الوصف خاص بالإبل. والبقر يضجع ويذبح كالغنم.

ولقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: «من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة». فتفريقه عليه السلام بين البقرة والدِّئنة يدلُّ على أنَّ البقرة لا يقال عليها بدنة.

والثمرة :

ثم إنَّ القرطبي يذكر ثمرة هذا الخلاف وفائدته، فيقول: وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة؛ فهل تجزيه أم لا؟ فعلى مذهب الشافعيّ وعطاء لا تجزيه. وعلى مذهب مالك تجزيه. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء؛ لقوله عليه السلام في حديث الجمعة أعلاه^١.

فمن جميع هذه الأقوال وغيرها التي لم نذكرها للإيجاز، يتضح لنا أن المراد من البدن هي الإبل، نعم ألحق بها غيرها من الأنعام..

١. انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ)، بتصرف وتلخيص.

إذن، فالبدن: الإبل ذكراً وأنثى، لعلها - والله العالم - اختيرت لتكون واحدة لا فقط من الشعائر، بل من الشعائر التي نالت أهمية كبيرة حين جاءت بجعل منه تعالى، وكذا بإضافتها إليه تعالى «والبدن من شعائر الله».

وبالتالي فهي تشكل علماً من أعلام شرعها الله وأضافها إليه، ومما لا شك فيه أن هذه الإضافة وغيرها مما حملته الآيتان تستدعي تعظيماً لها وبركة...

فهذا ابن عاشور يقول: والمعنى أن الله أمر بقربان البدن في الحج من عهد إبراهيم عليه السلام، وجعلها جزاء عما يترخص فيه من أعمال الحج. وأمر بالتطوع بها فوعد عليها بالثواب الجزيل، فنالت بذلك الجعل الإلهي يُمنناً وبركة وحرمة ألحقتها بشعائر الله، وامتنَّ بذلك على الناس بما اقتضته كلمة «لكم»... ثم يقول: وتقديم «البدن» على عامله للاهتمام بها تنويهاً بشأنها. وتقديم «لكم» على المبتدئ ليتأتى كون المبتدئ نكرة ليفيد تنوينه التعظيم، وتقديم «فيها» على متعلقه وهو «خير» للاهتمام بما تجمعه وتحتوي عليه من الفوائد.. والاقتصار على البدن الخاص بالإبل، لأنها أفضل في الهدى لكثرة لحمها، وقد ألحقت بها البقر والغنم بدليل الستة، واسم ذلك هدي.

ويقول أيضاً: ومعنى كونها من شعائر الله: أن الله جعلها معالم تؤذن بالحج وجعل لها حرمة. وهذا وجه تسميتهم وضع العلامة التي يعلم بها

بعير الهدى في جلده إشعاراً، وقد عدّها - والكلام ما زال لابن عاشور -
في جملة الحرمات في قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّرُكَ الْحَرَامَ
وَلَا الرِّسَى﴾ في سورة العقود، المائدة.^١

سؤال: لماذا البدن (الإبل) من شعائر الله؟!

وللإجابة ، يمكن القول - والله العالم - لأنها:

أولاً: تعدُّ من طيباتهم؛ و القرآن الكريم يدعو بل يأمر أن يكون
الإنفاق من الطيبات كما في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾.^٢

وأن يكون أكلنا أيضاً منها كما في الآية: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ﴾.^٣

وحق يتحقق الحصول على البرّ حين يكون الإنفاق مما نحب
ونرضى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.^٤

ثانياً: وقد سمّيت بدنة إشارة إلى ضرورة أن تكون بدينة سمينة
وافرة اللحم، سالمة، ولا بُدَّ أن تراعى فيها هذه الصفات عند اختيارها

١. المائدة : ٢؛ تفسير التحرير والتنوير: الآيتان.

٢. البقرة : ٢٦٧.

٣. طه : ٨١ .

٤. آل عمران : ٩٢.

للّهْدِي الذي يقدم لله تعالى، فتكون أكثر نفعاً من غيرها فيأكل منها الحاج نفسه والقانع والمعتز... ولأنها كذلك فهي التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وتقع موقعها الذي سنت لأجله، منافع في الدنيا وثواباً في الآخرة.

ثالثاً: لِمَلَّا نَكُونُ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا

يَكْرَهُونَ...﴾^١ بأن يقدموا لله تعالى ما رذل أو خبث أو هزل، ويمنوا به على الله سبحانه وتعالى وهو الغني والمنعم علينا بأعظم النعم.

وحق يتبين لنا أنها لم تكن مما يكرهون، وأنها ليست مما رذل، بل هي من طيبات ما يملكون، وهي فعلاً مما يحبون، وهي فعلاً مما يُنال بها البرُّ، إن صدقت النوايا وخلصت القربات... وبالتالي فهي مؤهلة لئن تكون من شعائر الله بحقٍّ في أعظم فريضة سنوية وهي الحج؛ لا بدّ أن يستدعينا ذلك - إذا نظرنا إلى أن المقصود بالبدن هي الإبل، أو أنها مختصة بها: جماها ونوقها، ذكورها وأناثها - الوقوف على حياة هذا الحيوان، وعلى ما يتصف به من خصائص وقابليات ومنافع كثيرة، من خلال موقعه في التنزيل العزيز، ومن خلال ما يشكله هذا المخلوق من أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وفي عوالم ومفاصل مسيرته، ومعرفة ما قدمه لعالم البشر من خدمات كبيرة وفوائد جمّة، وما دوّنته المصادر عن مكانته في حياتهم، وعمّا احتله فيما خلفوه من تراث أدبي رائع...

أَسْمَاؤها وخصائصها :

فإضافةً إلى «البُدن» وقد أشرنا إليها، وإلى اختصاصها بالإبل، فإنّ هذه الأخيرة التي سنبداً بها، لها أسماء كثيرة، نكتفي منها بما ذكره التنزيل العزيز ثلاث عشرة مرة:

* الْأَنْعَام

لعلّ هذا الاسم ورد اثنتين وثلاثين مرة في ثلاثين آية، نجد فيها الارتباط الوثيق بينها والإنسان وحياته، فهي الجزء المهم في غذائه ووسائل عيشه وتنقلاته.. حتى أشار رسول الله ﷺ - كما نسب إليه ذلك - إلى أنه: «إذا أحبّ الله عبداً، رزقه من بهيمة الأنعام»، لما في اقتنائها من اكتفاء وعزّة.. وقد احتلّ مخلوق مقالتنا هذه المرتبة الأولى في هذه الآيات، نكتفي منها بالآية ٥ - ٧ من سورة النحل:

* ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْفَيْهِ إِلَّا بَسْوَةً الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ففي معاجم اللغة: ... والنَّعَمُ: المال السائم؛ وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل، والجمع أنعام، وأناعيم؛ واحدته نَعَم. والنَّعَم أربعة أنواع: الإبل والبقر والغنم (والغنم تشمل: الضأن والمعز).. وهي ذوات الأخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر.. ونُص على أنواع الأنعام الأربعة

مجمعة في الآيات: ١٤٢-١٤٤ من السورة التي سميت باسمها (سورة الأنعام).

فهي بالتالي من النعمة، التي أنعمها الله تعالى على جميع مخلوقاته، والتي تشكل واحداً من أهم الأسباب، التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش ويبني ويعمر حياته بدونها، ويقدم ما فيه خير له في آخرته.. والأنعام التي ذكرها القرآن المجيد في هذا المقطع، إما أنها هي الإبل، أو هي واحدة من جمع ضمها والبقر والضأن والمعز.

وهناك عدد ممن تيسر لي من المفسرين، يؤكد أن أكثر ما تقع على الإبل، أو أن التَّعَمَ هنا الإبل خاصة. أو أن أشهر الأنعام عند العرب الإبل، ولذلك يغلب أن يطلق لفظ الأنعام عندهم على الإبل..

وقال الجوهري:

والتَّعَمَ واحد الأنعام وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل...^١ وقد راحت هذه الآيات تبين ما تقدمه هذه المخلوقات من منافع كبيرة لنا، ففيها «دِفْءٌ» ما يُستدْفَأُ من وبر وصوف وشعر، وبها يدفع البرد.

«وَمَنَافِعُ» من نسل وركوب وحمل..

١. انظر الطبرسي، في مجمع البيان؛ والزمخشري، في الكشاف؛ والقرطبي، في الجامع؛ وابن عاشور، في التحرير والتنوير.

«وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» من لحومها، ويُشرب من ألبانها..

ولم تترك الآية ما يسببه رواحها ومجيؤها من حسن منظر وزينة، ويترك ذلك متعةً في النفوس حين تُرد إلى مراحلها حيث تأوي إليه ليلاً، وكذا حين ترسل بالغداة إلى مراعيها رافعة رأسها، فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال...
يقول سيد قطب:

وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح. جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة رائعة صحيحة سمينية. وأهل الريف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم أكثر مما يدركه أهل المدينة.

وفي الخيل والبغال والحمير تلبية للضرورة في الركوب. وتلبية لحاسة الجمال في الزينة: «لتركبوها وزينة». وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة. فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب؛ بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان^١!

١. في ظلال القرآن : الآيات.

كما أنَّ الآيةَ تتحدث عن منافع أخرى تتمثل بأنها تحمل ما ثقل من الأحمال، أي أمتعتكم «إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس»، أي وتحمل الإبل وبعض البقر أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفة ومشقة تلحق أنفسكم، فكيف تبلغونه مع الأحمال لولا أنَّ الله تعالى سخر هذه الأنعام لكم حتى حملت أثقالكم إلى أين شئتم؛ وقيل: إنَّ الشق معناه الشطر والنصف، فيكون المراد بأن يذهب شطر قوتكم أي نصف قوة الأنفس.

وقيل: معناه تحمل أثقالكم إلى مكة، لأنها من بلاد الفلوات؛ عن ابن عباس وعكرمة كما في التفسير. «إنَّ ربكم لرؤوف»، أي ذو رأفة. «رحيم»، أي ذو رحمة؛ ولذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداءً منه..!

* الإِبِلُ :

أَبِلَتِ الْإِبِلُ - أَبَلًا ، وَأُبُولًا: كَثُرَتْ.. و- تَوَحَّشَتْ. وَأَبِلَتْ وَتَأَبَّلَتْ الْإِبِلُ: اسْتَغْنَتْ بِالنَّبَاتِ الرَّطْبِ عَنِ الْمَاءِ.

وَأَبِلَ فُلَانٌ: كَثُرَتْ إِبِلُهُ. وَأَبِلَ فُلَانٌ إِبَالَةً: أَحْسَنَ رِعَايَةَ الْإِبِلِ فَهُوَ أَبِلٌ. وَأَبِلَ فُلَانٌ: كَثُرَتْ إِبِلُهُ. وَأَبِلَ فُلَانٌ الْإِبِلَ وَتَأَبَّلَهَا: اقْتَنَاهَا وَ- سَمَّيْنَهَا... الْإِبِلُ: الْجَمَالُ وَالنُّوقُ: لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّ أَسْمَاءَ

الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازمٌ. والجمع آبالٌ ويقال: إبلان، للقطيعين...^١
هذا لغةٌ، وأما قرآنيًّا فمن المعلوم أن الله تعالى ذكر الكثير من مخلوقاته في كتابه العزيز، والتي منها:

الإنسان والنبات والحيوان، ولا يخلو ذكرها من قصة وهدف وفائدة، وبما أن الحيوانات تعدُّ واحدةً من أمم أبداعها البارئ القادر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^٢

فلها طبيعتها الخاصة وأسرارها وأخبارها، وإن كنا لا نعلم منها إلا قليلاً بحكم مقدرتنا وفي حدود مداركنا، ولا يعلم حقيقتها وبدايتها ونشأتها ونهايتها إلا الذي خلقها فسبحان الله أحسن الخالقين!

فقد ورد هذا الاسم «الإبل» في موضعين من التنزيل العزيز، وهما قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ... وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ...﴾^٣

فهذه الآية تتحدث عن جهل العرب فيما حرموا من الأنعام، وراحوا ينسبون فعلتهم هذه إلى الله تعالى، فحملت هذه الآية إنكاراً

١. المعجم الوسيط؛ الصحاح في اللغة : أبل..

٢. الأنعام : ٣٨.

٣. الأنعام : ١٤٣ - ١٤٤.

وتقريعاً وتوبيخاً لهم ولزعمهم هذا، حيث لم يستندوا في تحريمهم إلا إلى الكذب البحت والافتراء...^١

* ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٢.

ونقف عند هذه الآية؛ لنعرف أن هذا المخلوق البدن أو الإبل جملًا كان أو ناقه، احتلَّ المجال الأوسع، الذي يبين لنا مكانته العجيبة، فهو آية من آيات الله تعالى، التي أمرنا بالنظر إليها والتفكير بها؛ لتدلنا على قدرته وعظمته سبحانه وتوحيده، ووقوع الآخرة... جاء ذلك، وقد حدثنا التنزيل العزيز عن الإبل مقترنةً بخلق السماء والجبال والأرض في الآيات: ١٧-٢٠ من سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى أَسْمَاءٍ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى أَلْبَاجِلِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

وهو أمر يستلفت النظر، ويبعث على التعجب، ويثير الفكر، حين تستوقفنا؛ هذه الآية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...﴾، لتكون محل الكلام، فهي تعدُّ واحدة من آيات راح التنزيل العزيز يطلب فيها من الناس التأمل في مخلوقاته والتفكير فيها؛ وكان منها هذا المخلوق الذي احتلَّ ذكره المرتبة الأولى بالتأمل قبل السماء والجبال والأرض؛ ليكون

١. انظر قصة التحريم هذه في التفاسير.

٢. الغاشية : ١٧.

كلُّ من النظر هذا والتأمل في هذه المخلوقات مدخلاً إلى الإيمان الخالص بقدرة الخالق وبديع صنعه. وبمقارنته بكلِّ هذه المخلوقات خاصة برفع السماء دلالة على ما يتمتع به من ارتفاع وعلوٍّ وإبداع عجيب... جاءت الآية مسوقة وما بعدها لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه.. ومبتدئاً ذلك باستفهام تقرير وتوبيخ، أينكرون أمر البعث، ويستبعدون وقوعه؟! أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم، وأكبر ما يشاهدونه من المخلوقات «كَيْفَ خُلِقَتْ» على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها، ومزيد قوتها، وبديع أوصافها...؟!^١

يقول ابن عاشور: والهمزة للاستفهام الإنكاري إنكاراً عليهم إهمال النظر في الحال إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته. والنظر: نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق المنظور، وتعديته بحرف (إلى) تنبيه على إمعان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق، فإن قولهم نظر إلى كذا أشد في توجيه النظر من نظر كذا، لما في (إلى) من معنى الانتهاء حتى كأنَّ النظر انتهى عند المرور بـ: (إلى) انتهاءً تمكن واستقرارٍ كما قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ الضُّوفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾^٢

١. تفسير فتح القدير، الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ). وانظر «الإبل في تراثنا» لسلامة

يوسف رحمة، مجلة الكويت، العدد: ٥ : ١٩٨٦م.

٢. الأحزاب : ١٩.

وقوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.^١

ولزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال قُيِّدَ فعل «ينظرون» بالكيفيات المعدودة في قوله: «كيف خلقت»، «كيف رُفِعَتْ»، «كيف نصبت»، «كيف سُطِحَتْ»، أي لم ينظروا إلى دقائق هيئات خَلَقَهَا. وجملة: «كيف خلقت» بدل اشتمال من الإبل، والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، وهو فعل «ينظرون» لآ حرف الجر، فإنَّ حرف الجر آلة لتعديّة الفعل إلى مفعوله، فالفعل إن احتاج إلى حرف الجر في التعديّة إلى المفعول لا يحتاج إليه في العمل في البدل، وشتان بين ما يقتضيه إعمال المتبوع وما يقتضيه إعمال التابع، فكلُّ على ما يقتضيه معناه وموقعه، فكيف منصوب على الحال بالفعل الذي يليه.

والمعنى والتقدير: أفلا ينظرون إلى الإبلِ هَيْئَةً خَلَقَهَا.

وحول الأمور المذكورة في الآيات الأربع، واقتران الإبل بثلاثة منها يقول: وقد عُدَّتْ أشياء أربعة هي من النَّاظِرِينَ عن كُتْبٍ لا تغيب عن أنظارهم، وعُطِفَ بعضها على بعض، فكان اشتراكها في مرآهم جهة جامعة بينها بالنسبة إليهم، فإنهم المقصودون بهذا الإنكار والتوبيخ، فالذي حَسَّنَ اقتران الإبل مع السماء، والجبال، والأرض في الذكر هنا، هو أنها

تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة، والحجاز، ونجد، وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع، فالإبل أموالهم ورواحلهم، ومنها عيشهم ولباسهم ونسج بيوتهم وهي حمالة أثقالهم، وقد خلقها الله خلقاً عجيباً بقوة قوائمها ويُسرُّ بُروكها لتيسير حمل الأمتعة عليها، وجعل أعناقها طويلة قوية ليتمكنها النهوض بما عليها من الأثقال بعد تحميلها أو بعد استراحتها في المنازل والمبارك، وجعل في بطونها أمعاء تحتزن الطعام والماء بحيث تصبر على العطش إلى عشرة أيام في السير في المفاوز مما يهلك فيما دونه غيرها من الحيوان.

وكم قد جرى ذكر الرواحل وصفاتها وحمدها في شعر العرب ولا تكاد تخلو قصيدة من طوالم عن وصف الرواحل ومزاياها. وناهيك بما في المعلقات وما في قصيدة كعب بن زهير...^١

ليكون هذا باباً يلججه الناس للإيمان بأنَّ لهذا المخلوق العجيب في مقوماته وصفاته وقدراته - وسيأتينا بعضها - خالقاً قادراً حكيماً، وقد كان للإبل نصيب بل النصيب الأول فيها، حين انطلق السؤال «أَفَلَا...»، فخصَّها الله تعالى بأن جعل النظر إليها، والتفكر في كيفية خلقها، أسبق من النظر في كيفية رفع السموات بلا عمد، فلا يناها شيء، وفي كيفية نصب الجبال؛ أن تكون راسخة فلا تميد ولا تميل، وفي تسطيح الأرض؛ حين

١. تفسير التحرير والتنوير : الآيات .

بسطة ومدت ومهدت! وأيضاً في هذا تذكير لهم بصنع الله تعالى حين ظهر عجبهم وتكذيبهم لما في هذه السورة من نعت الله عز وجل، لما في الجنة، حتى جعل قتادة كما في تفسير الخازن عجبهم سبب نزولها، فيقول: لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها، قالوا: كيف نصعدوها؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية!

أُسْئَلَةُ :

أولاً: لماذا هذه الأربعة: «السماء كيف رفعت»، «الجبال كيف نصبت»، «الأرض كيف سطحت»؟!

فالقوم كانوا أصحاب البوادي لا يرون شيئاً إلا السماء والأرض والجبال والجبال... فأمرهم بالنظر في هذه الأشياء... فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده؛ من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق، المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما روي عن أنس أنه قال: «كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع.

فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنه أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟

قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»؛ قال: فبالذي خلق السماء والأرض، ونصب هذه الجبال آله أرسلك؟ قال: «نعم»؛ قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق»؛ قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»؛ قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدق»؛ قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»؛ قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق»؛ قال:

ثم ولي فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً، ولا أنقص منهن شيئاً.

فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة».^١

ثانياً: لماذا خصّت الإبل بالنظر أولاً؟!

لعل ذلك يعود - والله العالم - إلى أن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكانت عيشاً من عيشهم، فهي بينهم لا يفارقونها، فهم أكثر احتكاكاً بها دون غيرها، فعلاقتهم بها إما مساوية للخيول أو تفوقها بقدر، وبالتالي لا يستدعي النظر إليها تعباً، والتدبر فيها لا يكلفهم جهداً، وتلمس

١. تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت ٤٦٥ هـ)؛ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ).

عجائبها وغرائبها لا يتطلب إلا تركيزاً فيها وإدماً ولو حيناً من الوقت، فيدلم أنها لخلق عجيب وتركيب غريب في غاية القوة والشدة والعظمة وال ضخامة، ومع ذلك تراه وقد ذلل الصغير، وانقاد للقائد الضعيف، تلين للحمل الثقيل، حين يبركه، ويحمل عليه ثم يقوم وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع، فلا يحمل على شيء منها إلا وهو قائم...

فهذا الزجاج يقول: نبههم على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده، وينيحه، وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقل حملة، وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره، فأراهم عظيماً من خلقه ليدلّ بذلك على توحيده...^١

وأيضاً عن سبب تقديمها في النظر، يقول الخازن (ت ٧٢٥هـ) في

تفسيره:

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...﴾، قال: أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة، عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكرهم الله صنعه، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...﴾، وإنما بدأ بالإبل:

لأنها من أنفس أموال العرب، ولهم فيها منافع كثيرة! والمعنى إن الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لأهل الجنة ما صنع.

١. تفسير فتح القدير، الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

ثمَّ يقول: وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات:

فقال مقاتل: لأنَّ العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهد الفيل إلاَّ النادر منهم.

وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وقد كانت باركة...

إضافةً إلى ذلك؛ فهي تؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، الذي يخرجهُ الله من ضروعها من بين فرث ودم؛ ليكون لبناً خالصاً سائغاً للشاربين...

وللشيخ مكارم جواب أيضاً في: لم يختص ذكر «الإبل» قبل غيره؟ جاء بعد أن اتخذ في تفسيره لهذا المقطع من السورة عنوان: الإبل.. من آيات خلق الله... للمفسرين حديث طويل في ذلك، لكنَّ الواضح إنَّ الآيات في أوَّل نزولها كانت تخاطب أهل مكّة قبل غيرهم، والإبل أهم شيء في حياة أهل مكّة في ذلك الزمان، فهي معهم ليل نهار وتنجز لهم ضروب الأعمال، وتدر عليهم الفوائد الكثيرة، أضف إلى ذلك أن لهذا الحيوان خصائص عجيبة قد تفرّد بها عن بقية الحيوانات، ويعتبر بحق آية من آيات خلق الله الباهرة. ثمَّ راح الشيخ يذكر خصائص الإبل، نوجز ما ذكره:

لو نظرنا إلى موارد الاستفادة من الحيوانات الأليفة، فسنرى أنَّ قسماً منها لا يستفاد إلاَّ من لحومها، والقسم الآخر يستفاد من ألبانها

على الأغلب، وقسم لا يستفاد منه إلا في الركوب، وقسم قد تخصص في حمل ونقل الأثقال، ولكن الإبل تقدم كل هذه الخدمات (اللحم، اللبن، الركوب والحمل). قدرة حمل وتحمل الإبل أكثر بكثير من بقية الحيوانات الأهلية، تبرك فتوضع الأثقال عليها ثم تنهض بها، وهذا ما لا تستطيع فعله بقية الحيوانات الأهلية. فهي مطيعة وسهلة الانقياد، فطفل صغير يمكنه أن يأخذ بزمام مجموعة إبل حيث يريد.

تتحمل العطش بين السبعة إلى عشرة أيام. وقابليتها مذهلة على تحمل الجوع. تشبع بالقليل من الشوك والنبات.

يطلق عليها (سفينة الصحراء) لقابليتها على طي مسافات طويلة في اليوم، فلا تعرقل حركتها ظروف الصحراء وصعوبة الأرض والمنخفضات الرملية، وهذا ما لا نجد في أي حيوان آخر. لعينها وأذنها وأنفها قدرة كبيرة على مقاومة العواصف الرملية... ويختم قوله: إن ما يتمتع به هذا الحيوان من خصائص تدفع الإنسان لأن يلتفت إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى. وها هو القرآن ينادي بكل وضوح: يا أيها الضالون في وادي الغفلة ألا تفكرون في كيفية خلق الإبل؛ لتعرفوا الحق وتخرجوا من ضلالكم؟! ولا بد من التذكير، بأن «النظر» الوارد في الآية، يراد به النظر الذي يصحبه تأمل ودراسة...^١

١. تفسير الأمثل، للشيخ مكارم الشيرازي، سورة الغاشية، بتلخيص.

سؤال آخر :

كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال، ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الإبل قبل السماء والأرض والجبال؟ يجيب الخازن: لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته، وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعها، وكانت الإبل من أعظم شيء عند العرب فينظرون إليها ليلاً ونهاراً، ويصاحبونها ظعناً وأسفاراً ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها؛ ولهذا بدأ بها ولأنها من أعجب الحيوانات عندهم.^١

وعن سعيد بن جبير قال: لقيت شريحاً القاضي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت. فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم؛ فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم، ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله: إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين، وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً في أشعارهم، فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز.^٢

١. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (ت ٧٢٥هـ).

٢. انظر تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

ولكن، ما علاقة الربط بين الإبل والسماء والجبال والأرض، حتى تذكرها الآيات بهذا التوالي؟

وعن هذا السؤال، وبعد أن يذكر قول الفخر الرازي في ذلك: إنَّ القرآن نزل على لغة العرب، وكانوا يسافرون كثيراً لأنَّ بلدتهم بلدة خالية من الزراعة، وكانت أسفارهم في أكثر الأمر على الإبل، فكانوا كثيراً ما يسировن عليها في المهامة والقفار مستوحشين، منفردين عن النَّاس، ومن شأن الإنسان إذا انفرد أن يقبل على التفكير في الأشياء، لأنه ليس معه مَنْ يحادثه، وليس هناك شيء يشغل به سمعه وبصره، وإذا كان كذلك لم يكن له بدٌّ من أن يشغل باله بالفكرة، فإذا فكر في ذلك وقع بصره أول الأمر على الجمل الذي ركبه، فيرى منظراً عجبياً، وإذا نظر إلى فوق لم ير غير السماء، وإذا نظر يميناً وشمالاً لم ير غير الجبال، وإذا نظر إلى ما تحت لم ير غير الأرض، فكأنَّه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانعزال عن الغير حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر، ثمَّ إنه في وقت الخلوة في المفازة البعيدة لا يرى شيئاً سوى هذه الأشياء، فلا جرم جمع الله بينها في هذه الآية...

يقول الشيخ مكارم: وإذا ما ابتعدنا المحيط العربي القديم وما كان فيه، وتوسعنا في مجال تأملنا ليشمل كلَّ محيط بشرية، لتوصلنا إلى أنَّ هذه الأشياء الأربع تدخل في حياة الإنسان بشكل رئيسي، حيث من السماء مصدر النور والأمطار والهواء، والأرض مصدر نموِّ أنواع النباتات

وما يتغذى به، وكذا الجبال، فبالإضافة لكونها رمز الثبات والعلو ففيها مخازن المياه والمواد المعدنية بألوانها المتنوعة، وما الإبل إلا نموذج شاخص متكامل لذلك الحيوان الأهلي الذي يقدم مختلف الخدمات للإنسان. وعليه، فقد تجمعت في هذه الأشياء الأربع كل مستلزمات «الزراعة» و«الصناعة» و«الثروة الحيوانية»، وحرىّ بالإنسان والحال هذه أن يتأمل في هذه النعم المعطاءة، كي يندفع بشكل طبيعي لشكر المنعم سبحانه وتعالى، وبلا شك فإن شكر المنعم سيدعوه لمعرفة خالق النعم أكثر فأكثر...^١

إذن، فهو مع قوته وقدرته وضخامته، نجده وقد سخره الله تعالى لبني آدم، ينقاد لضعيفهم صبيّاً كان هذا الضعيف أو شيخاً كبير السنّ، منجذباً للجميع، وفيّاً لهم صبوراً لا يملّ وإن حملوا عليه أثقالهم وقد كثرت، حتى وصفتها الآية بأنها: ﴿...حُمُولَةٌ...﴾^٢، لا يئن ولا يشكو، وكأنه يخالف الإنسان الذي هو قليل الصبر كثير الشكوى...^٣

١. تفسير الأمثل، للشيخ مكارم الشيرازي، سورة الغاشية.

٢. الأنعام : ١٤٢.

٣. انظر تفسير القرآن الكريم، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)؛ تفسير فتح الكبير، الشوكاني، سورة الغاشية، بتصرف.

أليس الفيل أعظم من الإبل في الأعجوبة؟! هذا سؤال ذكرته بعض كتب التفسير، وكان جوابه: أما الفيل فإنَّ العرب بعيدة العهد به، ثمَّ هو لاخير فيه، لأنَّه لا يركب على ظهره، ولا يؤكل لحمه، ولا يحلب دره، والإبل أعزَّ مال للعرب، وأنفسه تأكل النوى وألقت وغيره، وتخرج اللبن، ومن منافع الإبل أنَّها مع عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف حتى أنَّ الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، مع عظمها في نفسها؛ (ويحكى أنَّ فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرَّها وهي تتبعها حتى دخلت المحرَّ فجرَّت الزمام فبركت الناقة فجرَّت فقربت فمها من جحر الفأر!).

وإنَّها لأفضل من غيرها!

فقد ذكروا أنَّها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء، وذلك أنَّ جميع الحيوانات إنَّما تقتنى إما للزينة أو للركوب، أو للحمل، أو للبن، أو لأجل اللحم، ولا توجد جميع هذه الخصال إلاَّ في الإبل، فإنَّها زينة، وهي سفن البرِّ تركب فيقطع عليها المفاوز البعيدة، وتحمل الثقيل، وتحلب الكثير، ويأكل من لحمها الجَمَّ الغفير، وتصبر على العطش عدة أيام، ومنها أن يحمل عليها، وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات، وأنَّها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات، ... وعن خصائصها أيضاً يقول القشيري: وفي الإبل خصائص تدل على كمال قدرته وإنعامه جل شأنه؛ منها: ما في إمكانيهم من الانتفاع

بظهورها للحمل والركوب، ثم بنسائها، ثم بلحمها ولبنها ووبرها... ثم من سهولة تسخيرها لهم، حتى ليستطيع الصبي أن يأخذ بزمامها، فتنجس وراءه. والإبل تصبر على مقاساة العطش في الأسفار الطويلة، وهي تقوى على أن تحمل فوق ظهورها الكثير من الحمولات... ثم حرأنها إذا حقدت، واسترواحها إلى صوت من يحدوها عند الإعياء والتعب، ثم ما يُعلل المرء بما يناط بها من برّها.

ولماذا يأمر عزوجل بالتأمل في خلقتها؟!
هذا وأن الحيوان الذي يُقتنى، جعله الله تعالى أصنافاً شتى:
فتارة يقتنى ليؤكل لحمه.

وتارة ليشرب لبنه.

وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار.

وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد.

وتارة ليكون له به زينة وجمال.

وهذه المنافع بأسرها - كما يذكر الرازي - حاصلة في الإبل، وقد أبان الله عزوجل عن ذلك بقوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾^١

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيضُونَ مِنْهَا وَحِينَ تَسْرَهُونَ * وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا فِيهِ إِلَّا بَسِيْرَ الْأَنْفُسِ﴾^١

ثمَّ يقول: وإنَّ شيئاً من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال، فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب. هذا أولاً.

وأما ثانيها - والكلام مازال للرازي - فإنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة؛ لأنها: إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير.

وإن جعلت أكلة أطعمت وأشبعت الكثير.

وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر؛ وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير، والصبر على العطش، والاجترأء من العلوفات بما لا يجتري حيوان آخر.

وإن جعلت حملة استغلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها.

ولا يكتفي الرازي بذلك كله، حيث يقول: ومنها أنَّ هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعاً في قلب العرب، ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل

الإنسان إبلاً، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير؛ لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^١.

ومنها أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير، ومبانية لغيرها أيضاً في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم. ثم يذكر ما شاهده بنفسه عن نباهة هذا المخلوق:

أني كنت مع جماعة في مفازة، فضللنا الطريق، فقدموا جملاً وتبعوه، فكان ذلك الجمل ينعطف من تل إلى تل ومن جانب إلى جانب، والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل، فتعجبنا من قوة تخيل ذلك الحيوان، أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذي عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه.

فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقها وتركيبها، ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه، ثم

إنَّ العرب من أعرِف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها.

ويختتم كل هذا بقوله: فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقها! ومن عجائبها وخصائصها أيضاً:

هناك عجائب عظيمة في خصائصها وغوامضها وأسرارها، راح علماء الأحياء يكشفون كثيراً منها، تدل هي الأخرى على عظمة خالقها ومبدعها، نذكر ما تيسر لنا منها بإيجاز:

جسمها ثقيل، عنقها طويل، يجعل رأسها مرتفعاً، يساعدها على النهوض وهي محملة بالأثقال، يرتكز ثقلها على كلكها حين تبرك أو تنأخ، و بمقدور الحمل البالغ أن يحمل ٢٠٠ كغم على ظهره لمدة تتراوح بين ٥ و ٨ ساعات، ولها قوائم مرتفعة تُبعد جسمها عن الرمال. وسيقانها الطويلة وخفها العريض يساعدها بالسير على الرمال. وبمساعدة سيقانها الطويلة تنزع الأغصان والأوراق من أعلى الشجر. وبفضل رقبتها الطويلة تلتقط الأعشاب المبتعدة عن الأرض. على مفاصل أرجلها وسائل جلدية تعتمد عليها، وتقيها خشونة الرمال وحرارتها، وإذا ما هبت العواصف

١. تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت ٤٦٥هـ)؛ تفسير مفاتيح الغيب للرازي الآية: ١٧ من سورة الغاشية. بتصرف.

الرملية تحمي عينيها من ذرات الرمال بجفونها ورموشها وبجاذبيها وبأهدابها، كما تمنع عنهما شدة الضوء ووهج الشمس الحارقة. تستطيع غلق أنفها، فخياشيمها مشقوقة تتحكم فيها عضلات تغلقها لمنع دخول أي شيء من رمال تذروها الرياح، وأذناها صغيرتان يحيطهما الشعر الذي يمنع هو الآخر ذرات الرمال تلك.. العليا من شفيتها مشقوقة وحساسيتها شديدة تساعد في تحمل أي ألم يسببه أكلها للأعشاب الصحراوية الشوكية المتوفرة على ماء كثير، سقف حلقها مزود بثنايا كثيرة ما يجعل فمها رطباً على الدوام، فتمر الأشواك دون أن تدمى فمها. خُفّها اسفنجي لئِن يغلفه جلد غليظ ذو وسادة عريضة لينة تتسع عندما تدوس بها الأرض، تستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة، وهو ما يصعب على غيرها من الدواب. جلدها خال من الغدد العرقية، جسمها يكتسى بالوبر يحفظانها من البرودة و الحرارة، تتحمل درجة حرارة ٧٠، فيما الجمال ذات السنمين تتحمل برودة ٢٥ درجة تحت الصفر، لا تتنفس من الفم، فلا تلهث مهما اشتد الحرّ أو استبد بها العطش، وهي بذلك تتجنب تبخر الماء.. سنامها يتكون من أنسجة دهنية تشكّل غذاء احتياطياً كبيراً يفوق أي حيوان آخر، تستفيد منها الإبل بتحويله إلى ماء وطاقة وثاني أكسيد الكربون. ولهذا تستطيع أن تقضي حوالي شهر و نصف بدون ماء تشربه. و لكن آثار العطش الشديد تصيبها بالهزال و تفقدها الكثير من وزنها. معدتها ذات أربعة أوجه وجهازها الهضمي قوي، تهضم أي شيء بجانب

الغذاء. تشرب من الماء ما يقارب ثلث جسمها في ١٠ دقائق. وقد يصل هذا المقدار إلى ١٣٠ لتراً... وهذا يعني أنَّ الحمل الظمآن يكون أقدر على تحمل القَيْظ من الحمل الريان. وباستطاعته أن يقطع ما بين ٢٥ إلى ٣٠ كم يومياً.. وأما حليبيها فكثير، وإن ما تسهم به النوق في مواسم الجفاف والقحط يعدُّ الأكثر من غيرها.. وهو غني بالبروتينات والأملاح المعدنية خاصة الفوسفور والحديد والبوتاسيوم والمنجنيز، إضافةً إلى كمية فائقة من بعض الفيتامينات، وقليل من سكر الحليب والدهن المشبع والكالسيوم والحديد والكوْلِسترول. ويستخدم في معالجة بعض الأمراض...

في أبوالها شفاء !

وما ذكر من روايات عند الفريقين تدعو إلى شرب أبوالها، حتى أن صحيح البخاري يعنون باب أبوال الإبل والدواب والغنم، وكذا ابن ماجة والترمذي في سننهما، وغيرهم.

وعند الإمامية: ... «أبوال الإبل خير من ألبانها، ويجعل الله عزَّ وجلَّ الشفاء في ألبانها خاصة». ففي سندها بكر بن صالح، قالوا فيه: ضعيف جداً كثير التفرد بالغرائب...

لعلَّه يدل على أنه كان طبيباً قديماً ودواءً معروفاً عند أهل البوادي، وليس هذا غريباً، فكلُّ الأمم عندها وسائل علاج؛ كانت تستعملها في التداوي من بعض ما يصيبها من أمراض، وبول مأكول اللحم كالإبل واحد منها...

يقول الشيخ البحراني: والأصحاب في هذا المقام لم يذكروا من الأبوال التي دلت النصوص على جواز شربها من مأكول اللحم إلا أبوال الإبل خاصة...^١

الإبل وقصة القداح والفداء !

قال ابن إسحاق: وكان عبدالمطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توفي بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني. ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة، وكان هبل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة...

وكان عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب. قدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل فعلى من حمله وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به في القداح، فإن خرج قدح (نعم) عملوا به وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه

١. انظر كتاب الحقائق، للبحراني ١٨ : ٧٦ .

(منكم) وقدح فيه (ملصق) وقدح فيه (من غيركم) وقدح فيه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به. وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا لصاحب القداح: اضرب يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه. ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطاً، وإن خرج عليه (من غيركم) كان حليفاً وإن خرج عليه (ملصق) كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف، وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به وإن خرج (لا) أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

عبدالمطلب يحتكم إلى القداح

فقال عبدالمطلب لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، وكان عبدالله بن عبدالمطلب أصغر بني أبيه كان هو والزيبر وأبوطالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.
قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم.

خروج القداح على عبدالله

قال ابن إسحاق: وكان عبدالله - فيما يزعمون - أحب ولد عبدالمطلب إليه، فكان عبدالمطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى. وهو أبو رسول الله ﷺ. فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبدالمطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبدالله!

عبدالمطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له، فأخذه عبدالمطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه. لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا.

وقال له المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة وكان عبدالله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه.

وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز فإن به عرافة لها تابع فسלהا ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته ما أشارت به عرافة الحجاز على عبدالمطلب فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بخير. فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقصّ عليها عبدالمطلب خبره وخبر ابنه

وما أراد به ونذره فيه؛ فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبدالمطلب يدعو الله ثم غدوا عليها؛ فقالت لهم: قد جاءني الخبر كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها، وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

نجاة عبدالله من الذبح!

فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدالمطلب يدعو الله ثم قربوا عبدالله وعشراً من الإبل وعبدالمطلب قائم عند هبل يدعو الله عزّوجلّ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل عشرين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله عزّوجلّ ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل أربعين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل خمسين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله عزّوجلّ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت

الإبل سبعين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ثمانين وقام عبدالمطلب يدعو الله عزَّوجلَّ ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل تسعين؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل مائة؛ وقام عبدالمطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبدالمطلب. فرعموا أنَّ عبدالمطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبدالله وعلى الإبل وقام عبدالمطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ثم عادوا الثانية وعبدالمطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثالثة وعبدالمطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع..

وقال الماوردي: ... ثم قربت الإبل وهي مائة من جملة إبل عبدالمطلب، فنحرت كلها فداء لعبد الله، وتركزت في مواضعها لا يصد عنها أحد يتناولها من دب ودرج، فجرت السنّة في الدية بمائة من الإبل إلى يومنا هذا، وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً، فكان عبد الله يعرف بالذبيح، ولذلك قال النبي ﷺ :

«أنا ابن الذبيحين» - يعني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب.

وذكر أيضاً أن عبدالمطلب حين أنهى رضاء ربّه في فداء ابنه ارتجز

قائلاً:

دعوت ربي مخلصاً وجهراً * يا رب لا تنحر بني نحراً
وفاد بالمال تجد لي وفراً * أعطيك من كل سوام عشراً
عفواً ولا تشمت عيوناً حزراً * بالواضح الوجه المغشى بدرأ
فالحمد لله الأجل شكراً * فلست والبيت المغطى سترأ
مبدلاً نعمة ربي كفرأ * ما دمت حياً أو أزور القبرأ.

ما قيل فيها :

وقد نسب إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «الإبل عز لأهلها والغنم
بركة والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة».

«لا تسبوا الإبل؛ فإنها من نفس الله تعالى». أي مما يوسع الله تعالى
به على الناس.

واهتماماً منه ﷺ ومحافظة عليها، نسب إليه أنه أوصى بها قائلاً:
«إذا سافرت في الخصب؛ فأعطوا الإبل حَضَّها من الأرض، وإذا
سافرت في الجذب؛ فأسرعوا عليها السير».
«لا تسبوا الإبل، فإنَّ فيها رقواء الدم ومهر الكريمة».

١. السيرة النبوية، لابن هشام ١: ١٥٣ - ١٥٤؛ أعلام النبوة، للماوردي
(ت ٤٥٠ هجرية): ١٩٧ - ١٩٨.

تعطى في الديات، فتحقن بها الدماء، وتمنع من أن يراق دم القاتل.
وهو حديث عند ثعلب والجوهري.

قال الصغاني: وليس هو بحديث، إنما هو قول العرب يجرونه مجرى الأمثال. وأصله من قول أكتم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء، فقال فيها: ولا تضع رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة، ورقوء الدم، وبألبانها يتحف الكبير، ويغذى الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت.

وفي شروح الفصيح أنه قول قيس بن عاصم المنقري في وصية ولده.^١

أكتم بن صيفي يوصي العرب بالإبل: لاتضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإنها مهر الكريمة، ورقو الدم، بألبانها يتحف الكبير، ويغذي الصغير.

«أكرموا الإبل؛ فإنها: مهر الكريمة، ورقوء الدم، وسفن البر».

فيما وصفها العرب بقولهم:

«إذا حملت ثقلت، وإذا أبعدت، وإذا نخرت أشبعت، وإذا حلبت روت.

١. انظر موقع المكتبة الشاملة؛ هامش إسفار الفصيح، للهروي (ت ٤٣٣هـ) ١: ٤٨٧، مع المصادر. ومنها: الفاخر: ٢٦٢؛ ومجمع الأمثال ٣: ٩٦؛ والقاموس (رقاً) ٥٢.

وقالت العرب: «من أعطي مائة من الغنم فقد أعطي القنى ومن أعطي مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطي مائة من الإبل فقد أعطي المني».

«أكرموا الإبل إلا في ثلاث: بيت يبنى، أو دم يرقى، أو ضيف يقرى».

* الناقة:

نَوَقَ الحيوانَ راضَهُ وَذَلَّلَهُ. يقال: نَوَقَ البعير. نَوَقَ النَّاقَةَ: عَلَّمَهَا المشيَ. استنوقَ الجملُ: صار كالناقة في ذلِّها، ويقال لمن ذلَّ بعد عزٍّ: «استنوقَ الجملُ»، النَّاقَةُ الْأُنْثَى مِنَ الْإِبِلِ، والجمع: نَاقٌ، وَنَوَقٌ،...

وفي التنزيل العزيز:

ذاك في اللغة، وأما عن موقعها في القرآن الكريم، فلم يتحدث عنها في سبعة مواضع إلا أنها «آية» لثمود قوم صالح:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^١.
فكانت معجزة: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

وكانت بيّنة واضحة: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾^١.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^٢.

وكانت امتحاناً لهم وابتلاء:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوكَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ﴾^٣.

فبعد أن أشار إليها بعينها، أضافها إليه سبحانه تفضيلاً وتخصيصاً نحو بيت الله، وقيل: إنما أضافها إليه؛ لأنها خلقها بلا واسطة؛ أو لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها، وقيل: إنما أضافها إليه لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى.. وجعلها دلالة على توحيده وصدق نبيه صالح لقومه ثمود...

﴿قَالَ لَهُ نَاقَةَ لَرَبِّا نَرَبُّ وَلَكُم مَرَبُّ يَوْمِ مَعْلُوم﴾^٤.

وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم.. ﴿وَيَا قَوْمِ لَهُ نَاقَةُ اللَّهِ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾^٥.

١. الإسراء : ٥٩ .

٢. الشمس : ١٣ .

٣. القمر : ٢٧ .

٤. الشعراء : ١٥٥ .

٥. هود : ٦٤ .

وكانت النتيجة: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ...﴾^١.

ناقته ﷺ !

ونحن نتحدث عن الناقة لا بدّ لنا من الإشارة إلى ناقة الرسول ﷺ التي هاجر عليها إلى المدينة، وحين استقبله الأنصار حرص كل قوم منهم أن يكون نزول رسول الله ﷺ عنده...، وتسابقوا في هذا حتى راحت أصواتهم تنادي يود كل منهم أن يستضيفه في بيته ويشدّ ناقته إليه:

يا رسول الله ههنا .. إلينا يا رسول الله ..

إلا أنهم فوجئوا بقوله ﷺ لهم:

«خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ .. دَعُوهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ .. فَإِنَّمَا أَنزَلَ

حَيْثُ أَنزَلَنِي اللَّهُ».

وخيم عليهم السكون والانبهار، وشدّت أبصارهم إليها يرقبون حركتها، وهي تسير حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت، فرجعت، فبركت في موضعها الأول فنزل ﷺ عنها، على مقربة من باب أبي أيوب الأنصاري، الذي بادر رضوان الله عنه إلى رحله فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»!

١. تفسير مجمع البيان، للطبرسي؛ وغيره: الأعراف : ٧٧. بتصرف.

وكان مكان المسجد مربداً لغلامين يتيمين وهما: سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً. وذلك في دار بني النجار...^١

وفي خبر للحاكم في مستدركه:

فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهنّ يقلن:

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبونني؟! فقالوا: أي والله يا رسول الله! فقال: وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم! ورسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنىها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائنها فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ، وسأل عن المربد لمن هو؟ هذا، وقد ذكرت لها أسماء أخرى في التنزيل العزيز، وقع الاختلاف في أنها خاصة بها أو مع انضمام غيرها إليها، وهي:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَهِيمَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثَرُوا لَكُمْ يُفْقِلُونَ﴾^٢

١. انظر البداية والنهاية، لابن كثير، الجزء الثالث وغيره .

٢. المائدة : ١٠٣ .

حين ابتدعت أوهامهم أنواعاً: بحيرة وسائبة ووصيلة وحام، وجعلوها من المحرمات عليهم بشروط، إن تحققت، ولا أدري، فلعلهم يعدون فعلهم هذا وفاءً لها وتكريماً أو زهداً بها، أو كما قد يظهر للآخرين، إلا أنه خلاف ما جعله الله تعالى وحكم به، فهو اعتداء على حقه تعالى، والله لا يحب المعتدين، وبالتالي فإنهم بعملهم هذا: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

ابن عاشور:

وفي تسمية ما فعله الكفار من هذه الأشياء افتراء وكذباً ونفي أن يكون الله أمر به ما يدل على أن تلك الأحداث لا تمت إلى مرضاة الله تعالى بسبب من جهتين:

إحداهما: أنها تنتسب إلى الآلهة والأصنام، وذلك إشراك وكفر عظيم.

الثانية: أن ما يجعل منها لله تعالى مثل السائبة هو عمل ضرره أكثر من نفعه، لأن في تسييب الحيوان إضرار به إذ ربما لا يجد مرعى ولا مأوى، وربما عدت عليه السباع، وفيه تعطيل منفعته حتى يموت حتف أنفه. وما يحصل من درّ بعضها للضيف وابن السبيل إنما هو منفعة ضئيلة في جانب المفاسد الحافّة به.^١

١. التحرير والتنوير: الآية .

العشار : قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾^١.

بهيمة الأنعام : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُهَلَّتْ
لَكُمْ بَرِيَّةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^٢.

﴿لِيَسْرِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَى مَا رَزَقْتُمْ مِنْ بَرِيَّةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِمْؤُوا الْبُلَاطِ
الْفَقِيرَ﴾^٣. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْتُمْ
مِنْ بَرِيَّةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^٤.

الغير : قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَزَّاهُمْ بِجَزَائِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ
أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^٥. ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ
الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْغَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^٦.

١. التكوير : ٤ .

٢. المائدة : ١ .

٣. الحج : ٢٨ .

٤. الحج : ٣٤ .

٥. يوسف : ٧٠ .

٦. يوسف : ٨٢ .

﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِبْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾^١

الهميم :

قال تعالى: ﴿فَسَارِبُونَ شُرَبَ الرَّيِّمِ﴾^٢

خدمات ومنافع !

فحياتها التاريخية قد سجلت أدواراً عديدة نافعة في حياة الإنسان، فكانت تقضي له ما يريده من ركوب وحمل وتنقل في المفاوز والقفار، متحملةً هجير الصحراء ولفحها، وتوفير غذاء من لبن ولحم، وجلب ماء من الآبار، ولبس من وبر، ولا ننسى أن به تحلُّ مشاكل عظمى حين يكون في الإبل مورداً للديات، ومهوراً للنساء، وطعاماً لموائد كبيرة في مناسبات الزواج والأضياف، وقد استخدم للفداء كما في قصة عبد المطلب المشهورة حين فدى عبدالله والد رسول الله ﷺ بمئة من الإبل... ما ذكرنا. لهذا فإنَّ المتتبع يجد ارتباطاً وثيقاً بين هذا المخلوق الفريد في خصائصه وسلوكه وإنسان الجزيرة العربية، فرضته بيئته وطبيعته، التي تركت للإبل كما للخيول أن تحتلَّ منزلة واضحة في حياته ومعيشته وسكنه

١. يوسف : ٩٤ .

٢. الواقعة : ٥٥ .

وترحاله، فتلك الصحاري المترامية أطرافها ليس لهم وسيلة للوصول إليها وتسهيل التواصل فيها إلاّ بواسطة هذا الحيوان، فاعتمادهم عليه كبير، حتى غدت الجمل والناقة شيئاً لا يستغنى عنه، فعليها ركوبهم ونقل أمتعتهم، وبها يرحلون ويقطعون الفيافي والوديان وإن بعدت، ومن أوبارها يلبسون، وعلى لحومها يقتاتون، ومن ألبانها يشربون... فهي مصدر عيشهم وسعادتهم وغناهم في صحراء شحيحة الرزق، قليلة العطاء، وفيافٍ شاسعة مجدبة مما جعل العلاقة بينها وبينهم علاقة حميمة، وصلت حدّ الافتتان بها ومحلّ مباهاة بينهم فيها يتكاثرون وبخصائصها يتباهون وبقدراتها يتفاخرون، وبالتالي فهم لا يستغنون عنها، حتى راحو يتحملون مشاق الأسفار البعيدة بحثاً عن الإبل الأصيلّة ذات الخصائص والمميزات التي يبتغونها، فيقدمون إزاءها أغلى الأثمان، أو ينيخون للزمول الأصيلّة التي مدحها العرب وذاع صيتها، فبرزت سلالات أصيلة وعريقة من الإبل توافرت فيها مميزات وصفات محمودة صاروا مفتونين بها حتى غدت لا فقط محلّ مباهاتهم في قصائدهم حين يصفونها، بل احتلّت قصصها وأخبارها ومحاسنها ندواتهم ومجالسهم ودواوين شعرهم ومعلقاتهم.

فلا غرابة أنهم يعدونها أثمن ما يملكون، وبها لا يفرطون، وفي الدفاع عنها يستبسلون، وإذا ما وقعت غارة عليها يستنجد بعضهم ببعض، ويستغيث بالآخرين لإنقاذها.

ومما يذكر بهذا الخصوص بكاء سيد بني مازن، مخارق بن شهاب حين أتاه محرز بن المكعبر العنبري الشاعر فقال: إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها؟ فقال: وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة؟ فلما ولى عنه محرز محزوناً بكى مخارق حتى بلّ لحيته، فقالت له ابنته: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغته؟ والله لئن هجاني ليفضحني قوله، ولئن كف عني ليقتلني شكره! ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه إبلة! وهكذا بسببها هم يختلفون بل وأحياناً يتنازعون، ومن أجل الاستيلاء عليها يتقاتلون، وقد كانت الناقة سبباً لحرب البسوس، طحتهم طيلة أربعين سنة أو بضع وعشرين سنة، وكذا داحس والغبراء فهما اسمان لفرسين كانا سبب هذه المعارك..

في ديوان الشعر :

ترنم الشعراء العرب في وصف الإبل ترغماً يدل على مدى ارتباطها بحياتهم حيث لا تكاد تخلو قصائد الشعراء العرب من ذكر الإبل وذكرت الإبل في معلقاتهم كمعلقة النابغة الذبياني، وطرفة بن العبد، والأعشى، وحسان بن ثابت الأنصاري، وغيرهم من الشعراء - : وحتى ملئت بهذا دواوين شعرهم ونواديهم؛ يصفونها ويروون قصصها، ويترنمون في وصفها ترغماً يدل على شدة علاقتها بهم، وحبهم لها، حتى أن ما ذكروه شعراً ووصفاً وأخباراً عنها لا تجده عند أي أمة من الأمم، فلم يلقَ حيوان ذلك عند تلك الشعوب كما يلقي عند عرب البادية والجزيرة، فقلما تجد

قصيدة أو معلقة تخلو من وصف لها أو تشبيه حيوانات غيرها بها أو تفاخر بها...

هذا وقد قرأت فيما كتب أن الشعر في الناقة نال مساحة واسعة في ديوان الشعر العربي في الجاهلية وفي الإسلام، خاصة عند أهل البوادي والقفار... فقد كانت بالنسبة إلى إنسانها ملجأً أميناً وأنيساً مخلصاً ورفيقاً أليفاً، بل وخليلاً وفيّاً، يقي صاحبه الكثير من المصاعب والهموم، ويخفف عنه وحشة تلك الصحاري، وما يستشعره من الوحدة، وهو يجوبها ليالي وأياماً قد تطول، نجد هذا جلياً كلما أمعنا النظر في العلاقة بين الشاعر الجاهلي وناقته، كما أن المتتبع لألوان الشعر هذه، يلاحظ صوراً تعبيرية كثيرة للناقة...

فلقد كانوا بحق عاشقين لها، وكما كانت وفيّة لهم كانوا أوفياء لها ولمكانتها الرفيعة التي كانت تتمتع بها في نفوسهم، إلى درجة لا تكاد تخلو معلقة أو قصيدة لأحدهم إلا وتجده ويصف فيها الناقة بجانب تغزله بالمرأة، حتى يتنافس نصيب كل منهما من الأبيات الشعرية، مرة يكون نصيب المرأة من أبيات الغزل مساوياً لنصيب الناقة من الوصف، وأخرى يكون نصيب الناقة هو الأكثر، حتى جاءت المعلقة في الجاهلية - وهي العقود النفيسة المعلقة على أستار الكعبة، والتي أطلق عليه المذاهب؛ بسبب كتابتها بماء الذهب كما يذكر، وقد عدت أعذب ما قالته العرب - فحظيت الناقة منها ومن الشعر العربي عموماً مكاناً متميزاً...

حتى ذُكر أن معلقة لبيد بن ربيعة العامري، وفيها تسعة وثمانون بيتاً، احتل وصف الناقة فيها ثلاثة وثلاثين بيتاً، فيما الغزل كان له واحد وعشرون بيتاً. ومعلقة النابغة الذبياني، وكان فيها خمسون بيتاً، لكل من وصف الناقة والغزل ثلاثة وعشرون بيتاً... وقيل: إنها تتألف من ستين بيتاً، يتغزل منها في ثلاثة وعشرين ويصف الناقة في ثلاثة وعشرين.

النابغة الذبياني يقول:

مقرنة بالعبس والأدم * عليها الحبور محقيات المراحل

مضت إلى عذافة صموت * مذكرة نخل عن الكلال

العبس: الإبل البيض. الأدم: الإبل التي شاب بياضها صفرة. العذافة: الناقة العظيمة الشديدة. الصموت: التي لا تشكو من تعب. مذكر: تشبه في خلقتها خلقة الجمل.

وهذا نُصِبُ الأصغر، ويُكنى أبو الحجناء، وهو والد الحجناء، الشاعرة، يقال: إن شعره سبعون ورقة، قد أسرف في وصف سرعتها:

هي الرِّيحُ إِلَّا خَلَقَهَا غَيْرُ أَثَمَا * تَبَيْتُ غَوَادِي الرِّيحِ حَيْثُ تَقِيلُ

فيما طرفة بن العبد في معلقته، يصف الناقة وصفاً إجمالياً من حيث قوتها وسرعتها وضخامتها، كما تناول يديها بالوصف، وأن رأسها عظيم سامق قوي كسندان الحداد، وعنقها كسكان السفينة يدفعها ويبطئ بها

ويسرع، أما خدّها فصقيل كقرطاس، ووصف عينيها فجعلهما مرأتين في
بريقهما ولمعانهما.. فقد راح يجمع صفات خَلَقَهَا وسُرْعَتَهَا، جاء منها:

وَإِنِّي لَأُمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ * بَعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي

أُمُونٍ كَالْوِاحِ الْإِرَانِ نَسَائُهَا * عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجَدٍ

نُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتُ * وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ

ولم يغفل عن وصف فخذيها ومرفقيها و... :

لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ التَّحْضُ فِيهِمَا * كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدٍ

وَطَيٍّ مَحَالٍ كَالْحِنِيِّ خُلُوفُهُ * وَأَجْرِيَّةٌ لَزْتُ بِدَائِي مُنْضَدٍ

كَأَنَّ كِنَاسِي ضَالَّةً يَكْنُفَانِهَا * وَأَطْرَقَسِي تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدٍ

لَهَا مِرْقَقَانِ أَفْتَلَانٍ كَأَنَّمَا * تَمُرُّ بِسَلْمَى دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا * لَتُكْتَنَفَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ

صُهَابِيَّةَ الْعُثْنُونِ مُوْجِدَةَ الْقَرَا * بَعِيدَةً وَخَدِ الرَّجُلِ مَوَارِدَ الْيَدِ

أُمِرْتُ يَدَاهَا فَتَلَ شَزْرٍ وَأَجْنَحَتْ * لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسَدَّدٍ

جُنُوحٌ دُفَاقٌ عِنْدَلٌ ثُمَّ أَفْرَغَتْ * لَهَا كَتِفَاهَا فِي مُعَالِي مُصْعَدٍ

وَيَصِفُ عُنُقَهَا، ورأسها، ووجهها، وعينيها، وأذنيها،... فيقول:

وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ

كُسُكَّانٍ بُوصِيٍّ بِدِجْلَةٍ مُصْعِدٍ

وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا * وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مِيزِدٍ

وَوَجْهٌ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٌ * كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدَّهُ لَمْ يُحَرِّدِ

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْتَنَّا * بِكَهْفِي حِجَاغِي صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

طَحُورَانِ عَوَّارِ الْقَذَى فَتَرَاهُمَا * كَمَكْحُولَتِي مَدْعُورَةٍ أُمَّ فِرْقَدِ

وَصَادِقَنَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى * لِرَكْزِ خَفِيٍّ أَوْلَصَوْتٍ مُنْدَدِ

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا * كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدِ

وَيَصِفُ طَوْعَهَا وَحُسْنَ قِيَادَهَا فيقول:

وَإِنْ شِئْتُ سَامِيٍّ وَأَسِطَ الْكُورِ رَأْسُهَا * وَعَامَتُ بَضْبَعِيهَا نَجَاءَ الْخَفِيدِ

وَيَصِفُ إِسْرَاعَهَا وَنَشَاطَهَا فيقول:

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمْتُ * وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ

فذالتُ كما ذالتْ وكيدةٌ مجلسٍ * تُري رَبِّهَا أذْيالَ مِرْطٍ مُمدِّدٍ
وقال الأعشى في معلقته في وصف الناقة والصحراء:

خوف حيرانه شملال * وعسر أدماء حادره العيون
من سراه الهجان جليها العض * ورعى الحمى وطول الحال
لم تعطف على حوار ولم يقطع * عبيد عروقتها من خكال
عنتريس تعدو إذا مسها السوط * كعدو المصلصل الجوال

وقال الأعشى أيضاً في معلقته:

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها * تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل
وهذا امرؤ القيس في وصف ناقته وما تمتاز به من جودة اللحم والشحم:

ويوم عقرتُ للعذارى مطيتي
فيا عَجَباً من كورها المتَحَمِّل
فظلَّ العذارى يرتمينَ بلحمها
وشحمٍ كهذاب الدمقس المفتل
ويوم دخلتُ الخدرِ خدرٍ عنيزة
فقلتُ لك الويلات إنك مُرجلي
تقولُ وقد مالَ الغَبِيطُ بنا معاً
عقرتُ بعيري يامراً القيس فأنزل

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ
وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعُ
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مَحُولِ

ومما قاله عنترة في الإبل :

وللرعيان في لقح ثمان * تحادثهن صرا أو غرارا
أقام على خسيستهن حق * لقحن ونتج الآخر العشارا
ومنجوب له منهن صرع * يميل إذا عدلت به الشوارا
أقل عليك ضرا من قريح * إذا أصحابه ذمروه سارا

ويقول بعد أن أثقل الإبل بالأحمال مع شيبوب الذي يحذو لها:

تسير الهويثا وشيبوب حادي
وأرجع والنوق موقورة
وترقد أعين أهل الوداد
وتسهر لي أعين الحاسدين.

وهكذا استمرت الناقة رفيقة لا فقط لشعراء العصر الجاهلي، بل لشعراء صدر الإسلام.

فقد ورد ذكر الإبل في شعر كل من حسان بن ثابت حيث قال:

وأني لمزجاء المطي على الوجي * وإني لتراك الفراش الممهد
وأعمل ذات اللوث حتى أردھا * إذا حل عنها رحلھا لم تقيّد
أكلفھا إذا تدلج الليل كله * تروح إلى باب ابن سلمى وتعتدي

وقال أيضاً:

مما يرون بها من الفتر * والعيس قد رفضت أزمته
مما أضر بها من الضمر * وعلت مساوئها محاسنها
لفتاله بنجائب صعر * كنا إذا ركد النهار لنا
يعفين دون النص والزجر * عوج، نواج، يعتلين بنا
ينفخن في حلق من الصفر * مستقبلات كل هاجرة
وهكذا شعراء آخرون لا تراهم يمدحون ملكاً أو شخصية إلاّ
ووصفوها بجانب مدحه، منهم الأعشى وقد ذكروا أنه كان نصرانياً يزور
الحيرة كما كان يزور أسقف نجران، وعرف بأنه كان ينادم هوزة بن علي
الحنفي، صاحب اليمامة، وكان نصرانياً على ما يقال، له أشعار كثيرة في
مدح «هوزة»، منها قصيدته التي جاء فيها ذكر الناقة:

إلى هوزة الوهاب أهديت مدحتي

أرجى نوالاً فاضلاً من عطائكا

تجانف عن جل اليمامة ناقتي

ومن قصدت من أهلها لسوائكا.^١

وقد ذكرها الشاعر الكبير المتنبي في ديوانه حين يقول:

لا أبغض العيس لكني وقيت بها
قلبي من الحزن أو جسمي من السقم
طرقت من مصر أيديها بأرجلها
حتى مرقت بنا من جوش والعلم
نبرى بهن نعام الدو مسرجة
تعارض الجدل والمرخاة باللجم

ويقول أيضاً :

أرأيت همة ناقتي في ناقة
تقلت يداً سرحاً وخفأً مجمرا
تركت دخان الرمث في أوطانها
طلباً لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه وليس مسكاً أفرا
فأنتك دامية الأطل كأنما

١. انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي ١٨ : ١٣٦.

حذيت قوائمها العقيق الحمرا

وأما أبو العلاء المعري فيقول:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

والماء فوق ظهورها محمول

وهكذا فإنّ الباحث عما ذكر من الأشعار في هذا الحيوان، يلاحظ لا فقط الصور التعبيرية له، بل يجده وكأنه الملجأ الأمين لهم، الذي تستقر عنده نفوسهم وتتفاعل معه عواطفهم وأحاسيسهم، فتنتلق قصائدهم لتحكي لنا ذلك، ولتعبّر عن مباهاتهم وتفاخرهم به... نكتفي بما ذكرناه من أمثلة شعرية لهم..

وختاماً فقد ذكر هذا المخلوق - إضافةً إلى ما جاء عنه في التنزيل العزيز والتفاسير - العديد من المصادر اللغوية، والحديثية، والتاريخية، والاجتماعية، والأدبية، وكذا العلمية، وُلفت فيه الكثير بين كتب ومقالات، تناولت كلها هذا الحيوان وقابلياته وخدماته وأنواعه...

وأهميته عند العرب في غذائهم وحلّهم وترحالهم، ودوره في بيئتهم الزراعية، والرعوية، والصحراوية، ومنافعه في حياتهم المالية والتجارية، وما حملته أشعارهم من صور وصفية حسية ومعنوية، وتفاخر وتكاثر به، تدل على مدى حبّهم له وتعلقهم به..

وقد اعتمدتُ في هذه المقالة على ما تيسر لي منها، ولخصتُ شيئاً

مما ذكروه، وكان منها:

معاجم اللغة، كلسان العرب، لابن منظور؛ والمعجم الوسيط،
لإبراهيم مصطفى ومن معه؛ الإبل في تراثنا، للدكتور سلامة يوسف في
مجلة الكويت، العدد : ٥ لسنة ١٩٨٦م؛ - الناقة في الشعر الجاهلي
لعبد الغنى زيتوني، المجلة العربية، رمضان ١٤١١هـ؛ والمعلقات السبع
أو العشر؛ كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، للشمشاطي؛ والإبل بعض
معجزات العلي القدير، لرمضان عبد العال، مجلة الفيصل : ٣٨١؛ ومقالة
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، لمنير مصطفى البشعان، المجلة العربية
: ٢٩٧؛ ومقالة الإبل في القرآن والأدب العربي، العصر الجاهلي نموذجاً،
للدكتور يحيى معروف؛ وغيرها الكثير.

حديث الغدير

مقاربة ودراسة لطرقه وسنده ودلالاته عند علماء أهل السنة

(نقد لابن حزم وابن تيمية)

الدكتور يحيى عبد الحسن الدوخي

تمهيد: أهمية حديث الغدير

إنَّ أهمية حديث الغدير نابعة من اهتمام المولى جلَّ وعلا به،
وهذا ما نفهمه من استنطاقنا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنْ

النَّاسِ^١. وهذه الآية الكريمة شهد كثير من المفسرين بنزولها في علي عليه السلام فهو مصداقها الجلي والواضح.

فقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره، بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال:

«نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في علي بن أبي طالب»^٢.

وقد التزم ابن أبي حاتم في مقدّمة تفسيره بإخراج أصح الأخبار إسناداً، حيث قال:

«فتحريت إخراج ذلك بأصح الأخبار إسناداً وأثبتها متناً»^٣.

وابن تيمية قد أقرّ واعترف بأنّ تفسير ابن أبي حاتم متضمن للمنقولات التي يعتمد عليها، قال: «باتفاق أهل النقل من أئمة أهل التفسير، الذين ينقلونها بالأسانيد المعروفة كتفسير ابن جريج، وسعيد بن أبي عروبة... وابن أبي حاتم، وغيرهم من العلماء الأكابر الذين لهم في

١. المائدة: ٦٧.

٢. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم ٤ : ١١٢٧، تحقيق: أسعد محمد خطيب، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا.

٣. المصدر نفسه ١ : ١٤.

الإسلام لسان صدق، وتفاسيرهم متضمنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير»^١.

وكذلك نجد اهتمام رسول الله ﷺ وكبار الصحابة والعلماء به، بحيث نجد أن الرواة لهذا الحديث من الصحابة بلغ أكثر من مائة وعشرين صحابياً وصحابة، ولعلنا لا نجد في السنة النبوية الشريفة كلها حديثاً آخر روته هذه الكثرة من الصحابة، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ لم يقل هذا الحديث في بيته، أو في مسجده، أو في قلة من الصحابة، بل أعلن هذه الصرخة المدوية في جمع من المسلمين لم تسعهم المدينة كلها، فكأن صحراء المدينة مملوءة بهذا العدد الضخم، فكان هذا الجمع أكبر تظاهرة إسلامية شهدها التاريخ على عهد النبوة.

ولكن مع كثرة هذه الرواة والطرق لهذا الحديث جاء من يشكك به، بل ويضعفه وهذا ما نجده في كلمات ابن حزم الظاهري وابن تيمية، لذا ستكون مقاربتنا ودراستنا لهذا الحديث من خلال النقاط التالية:

١- نقل كلام ابن حزم وابن تيمية في تضعيف حديث الغدير.

٢- السبب المعقول لهذا الحديث.

٣- رواية حديث الغدير.

١. ابن تيمية، منهاج السنة ٧ : ١٧٨-١٧٩، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر:

مؤسسة قرطبة، ط ١-١٤٠٦هـ.

- ٤- علماء السنة يصرحون بكثرة طرق حديث الغدير.
- ٥- طرق الحديث وتواتره.
- ٦- دلالات حديث الغدير على إمامة علي عليه السلام المطلقة.
- ٧- دفع شبهة الدهلوي والتفتازاني اللذين قالا بأن المولى لا تأتي بمعنى الأولي.
- ٨- قرائن وشواهد على ولاية علي عليه السلام .
- ٩- خلاصة ونتيجة البحث.

ابن حزم وابن تيمية يضعفون حديث الغدير
قال ابن حزم: «وأما من كنت مولاه فعليٌّ مولاه فلا يصح من طريق الثقات أصلاً»^١.
وقال ابن تيمية: «وأما من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه أهل العلم وتنازع الناس في صحته، وأما قوله: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث»^٢.
هذا ما تفوه به بعض من يدعي العلم، فابن حزم ادعى أن هذا الحديث لا يصح من طريق الثقات.

١. نقله ابن تيمية عن ابن حزم، منهاج السنة ٧: ٣٢٠، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

٢. المصدر نفسه ٧: ٣١٩.

وأما ابن تيمية فقال: ليس هو في الصحاح وتنازع الناس في صحته وقولهم وال من والاه.. كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث. إذن لنرى أهل المعرفة بالحديث ماذا يقولون. وقبل ذلك نذكر سبب هذا الحديث والذي يتناسب وطبيعة الأحداث الجارية آنذاك، ونوثق عدد الحضور لهذه الواقعة العظيمة.

السبب المعقول لهذا الحديث

هناك من ذكر سبباً لورود هذا الحديث، وهو ما روي عن بريدة أنه قال: «مررت مع عليٍّ إلى اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت علياً فتنقصته... فقال: أأست أولى بالمؤمنين...»^١.

ولكن هذا السبب لا يمكن لعاقل أن يصدق به؛ فهل يعقل أن رسول الله ﷺ يقيم هذه الاحتفالية العظيمة التي قلَّ نظيرها في ذلك الوقت ليقول لهم أن بريدة قد آذى علياً، عند ذاك أراد الرسول أن يدفع عن عليٍّ هذا الحيف الذي وقع عليه فجاء هذا الحديث بهذه الصيغة. أليس من حق هذا العدد الهائل والذي يقدر بمائة وعشرين ألفاً - كما وصفه سبط ابن الجوزي - أن يعترضوا على رسول الله ﷺ على وقوفهم لهذا السبب؛ لأنه يمكن أن يقولوا له: لماذا هذه المقدمات الصعبة

١. ابن كثير، السيرة النبوية ٤ : ٤١٥ .

فبالإمكان أن تقول لنا ذلك في المدينة. أليس من السذاجة وبساطة العقول أن يطرح بعض المؤرخين هذا السبب؟!

إنَّ السبب الرئيس والمهم والذي يتلاءم ويتواءم مع طرح هذه المسألة المهمة في الإسلام - بحيث نجد رسول الله ﷺ تحمّل هذا العناء وجمع عدداً لا يستهان به من المسلمين في صحراء قاحلة - هو تنفيذ لأمر المولى جلّ وعلا المتمثل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فمن تأمل وتدبّر في قوله تعالى: «فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ» ثم أمعن النظر في قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» يجزم بأنّ هذا هو السبب الأساسي في هذه الواقعة ألا وهو تنصيب عليّ للولاية والإمامة.

قال الفخر الرازي - وتقدم قول أبي حاتم الرازي في تفسيره - بعد طرحه للآراء حول سبب نزول هذه الآية: «العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فلقبه عمر رضي الله عنه، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي، ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي»^١.

١. الفخر الرازي، التفسير الكبير ١٢ : ٤٢، دارالكتب العلمية، ١٤٢١ هـ - بيروت.

وكلّ ما ذكر من الأسباب الأخرى لا يمكن أن تستقيم إلّا مع هذا الرأي؛ لأننا لو نظرنا في سياق هذه الآية: «وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» فهو ينبأ عن أمر خطير وفي غاية الأهمية، فهو مساوق لانعدام الرسالة برمتها..

ومن المعلوم أنّ رسول الله ﷺ كان على دراية كاملة أنّ هذه الحجة هي آخر أيام حياته، ولابد أن يضع الأمة على بينة من أمرها، فهو يعلم ما سيقع في أواخر حياته، لذا جاء هذا الأمر الإلهي الذي لا مناص من التبليغ به.

قال الثعلبي في أسباب نزول هذه الآية:

«وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه بلغّ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ ﷺ يد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم ذكر عن البراء، قال:

«لما نزلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع كنا بغدير خم، فنادى: إنّ الصلاة جامعة وكسح رسول الله عليه الصلاة والسلام تحت شجرتين وأخذ بيد علي، فقال: أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أأستأوى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقبيه عمر، فقال:

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»^١.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال:
«كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»^٢.
وقال العيني في عمدة القاري: «ذكر الواحدي... عن أبي سعيد قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يوم غدير خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال مقاتل قوله»^٣.
إذن هناك أمر بتتويج علي عليه السلام لمنصب خبير ومهم ألا وهو منصب الولاية.

عدد الحضور لواقعة (غدير خم)
ولا بأس أن نذكر عدد الحضور لهذا الحدث التاريخي والمفصلي في تاريخ أمتنا الإسلامية؛ لكي ندفع ما توهم من ذكر أسباب عقيمة يرفضها المنطق وواقع الأحداث.

١. أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي ٤: ٩٢، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ.

٢. السيوطي، الدر المنثور ٢: ٢٩٨؛ والشوكاني، فتح القدير ٢: ٦٠، بيروت.

٣. العيني، عمدة القاري ١٨: ٢٠٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

قال أبو يعلى في مسنده عن جابر: «نظرت بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي مد بصري والناس مشاة وركبان»^١.

وقال ابن سعد في الطبقات:

«فأجمع صلى الله عليه وسلم الخروج إلى الحج وأذن الناس بذلك فقدم المدينة بشر كثير يأتون برسول الله ﷺ في حجته»^٢.

وهذا الكلام مأخوذ من حديث لجابر فيما أخرجه مسلم في صحيحه: «إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير... حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك»^٣.

إذن كان العدد في تلك التظاهرة لا يعد ولا يحصى، وهذه الحقيقة أكدها سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص في كلامه على حديث الغدير، قال:

«اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة

١. أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٤ : ٢٤، دار المأمون للتراث، ١٤١٢هـ .

٢. الطبقات الكبرى : ٢ ١٧٢، دار صادر - بيروت.

٣. مسلم النيسابوري: صحيح مسلم ٤ : ٣٩، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، دار الفكر - بيروت.

وعشرين ألفاً، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث، نص صلى الله عليه وآله على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة^١.

رواة حديث الغدير

إنَّ رِوَاةَ حَدِيثِ الْغَدِيرِ بَلَّغَ عَدَدًا لَا يَسْتَهَانُ بِهِ، وَأَكْتَفَى بِنَقْلِ مَشَاهِيرِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ عِبْرَ الْقُرُونِ الْمَخْتَلِفَةِ:

رواه أحمد بن حنبل، وابن ماجه، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى الموصلي، والطبري، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم النيسابوري، وابن عبد البر، والخطيب البغدادي وأبو نعيم الأصبهاني، والبيهقي، والبغوي، وابن عساکر، والضياء المقدسي صاحب المختارة، والذهبي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وابن حجر المكي وغيرهم من الحفاظ الكبار لم نذكرهم لأننا نروم الاختصار.

علماء السنة يصرحون بكثرة طرق حديث الغدير

وأما طرق حديث الغدير فلا عدّها ولا حصر، بحيث نجد تصريح علماء أهل السنة بهذا الكم الهائل من الطرق التي قد دهشت بعضهم وأبهرته

لكثرتها، وننقل في هذا الصدد عبارات بعض منهم:

١. سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ٣٧، مؤسسة أهل البيت عليه السلام - بيروت.

١- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ):

«رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فأندهشت له ولكثرة تلك الطرق»^١.

وقال أيضاً عند ترجمته للطبري:

«قلت: جمع طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء، رأيت شطره، فبهمني سعة رواياته، وجزمت بوقوع ذلك»^٢.

وقال أيضاً:

«واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة، فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر»^٣.

وقال أيضاً: «.. وأما حديث (من كنت مولاه) فله طرق جيدة، وقد أفردت ذلك أيضاً»^٤.

٢- ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ):

قال عند ترجمته للطبري:

١. الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢ : ٧١٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢٧٧، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٩٧، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

٤. الذهبي، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٤٢ - ١٠٤٣.

«أبو جعفر بن جرير الطبري... وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين».^١

٣- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ):

قال: «وأما حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدھا صحاح وحسان».^٢
لذا نجد أن الشيخ الأميني في موسوعته الغدير ذكر بعض تلك الطرق، قائلاً:

«وقد رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول، عن الأمير محمد اليميني أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر: أن له مائة وخمسين طريقاً».^٣ وقال في موضع آخر:

-
١. ابن كثير، البداية والنهاية ١١ : ١٦٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
 ٢. ابن حجر، فتح الباري ٧ : ٦١، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢.
 ٣. لاحظ: كتاب الغدير، الأميني ١ : ٤١ - ١٤٤.

«وقال العلوي الهدّار في القول الفصل، كان الحافظ أبو العلاء العطار
الهمداني يقول: أروي هذا الحديث بمائتين وخمسين طريقاً».^١
طرق حديث الغدير :

١ - عن علي بن أبي طالب (ص) صححه ابن حجر العسقلاني)
أخرجه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية: «وقال إسحاق
أخبرنا أبو عامر العقدي، عن كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن علي،
عن أبيه، عن علي (رضي الله عنه) قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم
حضر الشجرة بجم، ثم خرج آخذاً بيد علي رضي الله عنه، قال: أستم
تشهدون أن الله تبارك وتعالى ربكم؟ قالوا: بلى، قال (صلى الله عليه
وسلم): أستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله
تعالى ورسوله أولياؤكم؟ فقالوا: بلى، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه
فإنّ هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله
تعالى سببه بيده، وسببه بأيديكم، وأهل بيتي» ثم قال: «هذا إسناد
صحيح».^٢

١. المصدر نفسه ١ : ١٥٨.

٢. ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية ١٦ : ١٤٢، دار العاصمة - السعودية، ط ١،
١٤١٩ هـ .

٢- عن أبي الطفيل (صححه الهيثمي والألباني)

أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي الطفيل: «قال: جمع علي رضي الله تعالى عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس، وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا: حين أخذ بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ذلك له»^١.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه البزار وأحمد ورجاله رجال الصحيح، غير فطر بن خليفة وهو ثقة»^٢.

وقال الألباني في سلسلته الصحيحة: «أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه، وابن أبي عاصم والطبراني والضياء في المختارة وإسناده صحيح على شرط البخاري»^٣.

١. أحمد بن حنبل، المسند ٤ : ٣٧٠، الناشر: دار صادر - بيروت.

٢. الهيثمي، مجمع الزوائد ٩ : ١٣٠.

٣. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٣١.

وكذلك رواه الترمذي في سننه بسنده عن النبي ﷺ، قال: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه» قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»^١.

وصححه الألباني، قال:

«أخرجه الترمذي، قال: حديث حسن صحيح، قلت: وإسناده صحيح على شرط الشيخين»^٢.

٣ - عن سعد بن أبي وقاص (صححه الألباني)

رواه ابن ماجة في سننه، عن سعد بن أبي وقاص، قال: «قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً، فقال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا الرجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعليُّ مولاه»^٣.

قال الألباني: «صحيح»^٤.

١. الترمذي، سنن الترمذي ٥ : ٦٣٣، ح ٣٧١٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٣١ - ٣٣٢، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض .

٣. ابن ماجة، السنن ١ : ٤٥، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الألباني، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٤. المصدر نفسه .

٤ - عن البراء بن عازب (صححه الألباني)

رواه ابن ماجة في سننه، عن البراء بن عازب، قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه»^١.
قال الألباني: «صحيح»^٢.

٥ - عن زيد بن أرقم (صححه الحاكم وتابعه الذهبي)

روى الحاكم في المستدرک على الصحيحين عن زيد بن أرقم، قال: «خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهينا إلى غدير خم، فأمر بروح، فكسح في يوم، ما أتى علينا يوم كان أشد حرّاً منه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إنه لم يبعث نبي قط إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده كتاب الله عزّوجلّ، ثم قام فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: يا أيها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟

١. ابن ماجة، السنن ١ : ٤٣ .

٢. المصدر نفسه .

قالوا: الله ورسوله أعلم، ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه».

قال الحاكم:

«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وتابعه الذهبي في التلخيص، بقوله: «صحيح»^١.

٦ - عن رياح بن الحرث (صححه الهيثمي والألباني)

رواه أحمد في مسنده بسند عن رياح بن الحرث، قال:

«جاء رهط إلى عليٍّ بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال:

كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدیر

خم يقول: (من كنت مولاه فإن هذا مولاه) قال رياح: فلما مضوا تبعتهم،

فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري»^٢.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «ورجال أحمد ثقات»^٣ وقال الألباني:

«وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات»^٤.

١. الحاكم النيسابوري، المستدرک، مع تلخیص الذهبي ٣ : ٦١٣، الناشر: دار

الکتب العلمیة - بیروت، ط ١ - ١٤١١هـ .

٢. أحمد بن حنبل، المسند ١٧ : ٣٦، ح ٢٣٤٥٣، دار الحديث - القاهرة.

٣. الهيثمي، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٤ .

٤. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٤٠ .

أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، حدثنا علي بن سعيد الرملي، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب، فقال: أأست ولي المؤمنين، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة.^١

ترجمة سند الرواية

وسند هذه الرواية صحيح ورواتها ثقات نوجز ترجمتهم بما يلي:

- ١- ابن بشران من شيوخ الخطيب البغدادي، وقال عنه: «كتب عنه وكان سماعه صحيحاً».^٢ وهذه قرينة على وثاقته عند الخطيب.
- ٢- علي بن عمر الحافظ، فهو الدار قطني صاحب السنن المشهور قال عنه الخطيب:

١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤ - ٢٨٥، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢. المصدر نفسه ١٠ : ١٤ .

«كان الدار قطني فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء الرجال، مع الصدق والثقة».^١

٣- حبشون الخلال، وثقه الخطيب، قال: «كان ثقة يسكن باب البصرة».^٢

٤- علي بن سعيد الرملي، فهو ابن أبي حملة، وثقه الذهبي، قال: «ما علمت به بأساً، ولا رأيت أحداً الآن تكلم فيه، وهو صالح الأمر، ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته».^٣

٥- ضمرة بن ربيعة، الفلسطيني أبو عبد الله الرملي. روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

وثقه أحمد بن حنبل، قال: «من الثقات المأمونين، رجل صالح، صالح الحديث، لم يكن بالشام رجل يشبهه».^٤

١. الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦: ٤٥٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ.

٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨: ٢٨٥.

٣. الذهبي، ميزان الاعتدال ٣: ١٢٥، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٤. أحمد بن حنبل، العلل ٢: ٣٦٦، الناشر: دار الخاني - الرياض، ط ١، سنة الطبع

٦ - عبد الله بن شاذب، وثقه ابن حجر العسقلاني، قال: «سكن البصرة والشام، صدوق عابد».^١

٧ - مطر الوراق، وثقه الذهبي، قال: «الإمام الزاهد الصادق، أبو رجاء بن طهمان الخراساني، نزيل البصرة، مولى علباء بن أحمري، كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك».^٢

وقال أيضاً: «فمطر من رجال مسلم، حسن الحديث».^٣

٨ - شهر بن حوشب، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. قال العجلي في معرفة الثقات:

«شهر بن حوشب شامي، تابعي، ثقة».^٤

وقال الذهبي:

«قال حرب الكرماني: قلت لأحمد بن حنبل: شهر بن حوشب، فوثّقه، وقال ما أحسن حديثه، وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: شهر ليس

١. ابن حجر، تقريب التهذيب ١: ٥٠١، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ.

٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥: ٤٥٢.

٣. الذهبي، ميزان الاعتدال ٦: ٤٤٥، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م.

٤. العجلي، معرفة الثقات: ٤٦٢، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

به بأس. قال الترمذي: قال محمد، يعني البخاري: شهر حسن الحديث، وقوي أمره.^١

إذن فالحديث صحيح ومعتبر، وفيه تصريح واضح، بعد أن تحدث به رسول الله ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.^٢
فبولاية علي عليه السلام أكمل الدين بنص هذه الآية الكريمة.

تواتر حديث الغدير وصحته
أما من ذكر تواتر هذا الحديث، فإليك جملة من الأعلام الذين قالوا بتواتره:

١ - الذهبي المشهور بتشدهد وتعصبه، قال: «الحديث في أعلى درجات الصحة وهو من الأحاديث المتواترة».^٣

٢ - ابن حجر المكي
قال في الصواعق المحرقة: «إنه حديث صحيح لا مريية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، فطره كثيرة جداً

١. الذهبي، تاريخ الإسلام ٦ : ٣٨٧، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.

٢. المائدة : ٣.

٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨ : ٣٣٥، الناشر - مؤسسة الرسالة - بيروت.

ومن ثمّ رواه ستة عشر صحابياً... ولا التفات لمن قدح في صحته»^١.

٣ - ابن كثير الدمشقي قال: «قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: الحديث متواتر، أتيقن أنّ رسول الله قاله»^٢.

٤ - زين الدين المناوي الشافعي نقلاً عن السيرفي قال: «حديث متواتر»^٣.

٥ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي قال:

«وهو متواتر رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته، فلا التفات إلى من قدح في صحته»^٤.

٦ - الفقيه ضياء الدين المقلبي قال: «إن لم يكن معلوماً فما في الدين معلوم»^٥. وهو بذلك يشير إلى أنه في أعلى مراتب الصحة ووضوحه كالشمس في رابعة النهار.

١. ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة ١ : ١٠٦ - ١٠٧، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢. ابن كثير، البداية والنهاية ٥ : ٢٣٣، حوادث سنة (١٠هـ).

٣. المناوي، فيض القدير ٦ : ٢٨٢، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤. الزرقاني، شرح المواهب اللدنية ٧ : ١٣.

٥. الأميني، الغدير ١ : ٣١٤، عن كتابه هداية العقول إلى غاية السؤل، الناشر: دار

الكتاب العربي - بيروت، ط - ١٣٩٧هـ.

إلى غير ذلك من الأقوال التي أشارت إلى تواتره وأنه في أعلى مراتب الصحة.

دلالة حديث الغدير على إمامة علي عليه السلام

بعد أن أخذ الرسول ﷺ منهم الإقرار، وأشهدهم على أنه أولى بهم من أنفسهم، كما في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^١ فالنبي الأكرم ﷺ أشهدهم على أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما لهم الولاية عليه، فأخذ الإقرار على هذا المعنى، ثم فرّع هذه الولاية بقوله:

«من كنت وليه فعلي وليه» أو في بعض الألفاظ «فعلي مولاه» أو «فمن كنت أميره... فعلي أميره» وبذلك أثبت رسول الله ﷺ لعلي ما ثبت له من الأولوية بالناس أي من أنفسهم، وهم بايعوه على هذا وسلموا له بذلك وهنأوا علياً، كما ورد عن عمر: «بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَمُ دِينَكُمْ﴾^٢ كما تقدم في رواية الخطيب عن أبي هريرة.

أما محور الاستدلال فهو في معنى كلمة (مولى) في هذا الحديث الشريف، فذهبت المدرسة الأخرى إلى أن معناه هو (الصاحب أو الناصر)

١. الأحزاب : ٦ .

٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤، دار الكتب العلمية، ط ١٤١٧ هـ.

أما مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقالوا: إنَّ معنى المولى هو (الأولى) وهو الأصح.

دفع شبهة الدهلوي والتفتازاني

قال عبد العزيز الدهلوي صاحب كتاب التحفة الاثنا عشرية: إنَّ أول ما في هذا الاستدلال هو: أن أهل العربية قاطبة ينكرون أن يكون (المولى) قد جاء بمعنى (الأولى).^١ وقال التفتازاني: «بأن المراد بالمولى هو الناصر والمحِب».^٢

اللغة وأهلها لا ينكرون أن يكون المولى بمعنى الأولى

أما أهل اللغة الذين أنكرهم الدهلوي بأجمعهم، اعترفوا بعكس ما يدعيه، نذكر منهم على سبيل المثال: ١- الزجاج، أبو إسحاق (ت ٣١١ هـ). ٢- الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ). ٣- أبو عبيدة، معمر بن المثنى اللغوي (ت ٢١٠ هـ). ٤- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحوي (ت ٢١٥ هـ).^٣

١. التفتازاني، شرح المقاصد ٢ : ٢٩٠ .

٢. المصدر نفسه .

٣. ذكر السيد النقوي في خلاصة عبقات الأنوار: «إن استعمال (المولى) بمعنى (الأولى) في الكتاب والسنة وأشعار العرب شائع، وقد صرح بذلك ونص عليه جمع كبير من أئمة اللغة والأدب والتفسير»؛ ثم ذكر طائفة، طائفة من هؤلاء بدليل واضح وبرهان قاطع؛ راجع ٨ : ١٥ .

ذكر الفخر الرازي في تفسير آية: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^١
قال: «والثاني قال الكلبي: يعني أولى بكم، وهو قول الزجاج والفراء وأبي
عبدة»^٢.

وكذلك قال الفخر الرازي أيضاً: «في قوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾»^٣ معناه: هي أولى بكم. وذكر هذا أيضاً الأخفش..
واستشهدوا بيت لبيد...»^٤.

فالكلبي المفسر يعترف بأنّ الزجاج والفراء وأبا عبدة قالوا بهذا
المعنى، هو قد استقى منهم واعتمد عليهم وفسر الآية به طبقاً لما قالوه؛
وكذلك فسرها الأخفش، وهو من أئمة العربية وشيوخها. وهؤلاء لهم من
الخبرة ما لا يضاهيهم غيرهم، فكلما تمّ لا بدّ أن نحملها على الصدق.

ترجمة الزجاج:

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «وشيخ العربية أبو إسحاق إبراهيم
بن السري الزجاج البغدادي»^٥.

١. الحديد : ١٥.

٢. الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٩ : ١٩٨، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣. الحديد : ١٥.

٤. الغدير ١: ٣٥٩، نقلاً عن نهاية العقول في الكلام ودراية الأصول - مخطوط .

٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٨٢ .

وقال الخطيب البغدادي: «إبراهيم بن السرى بن سهل، أبو إسحاق النحوي الزجاج، صاحب كتاب (معاني القرآن)، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب».^١

ترجمة الفراء :

وأما الفراء، فقال الخطيب البغدادي عنه: «وكان ثقة إماماً. ويحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت العربية؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم».^٢

ترجمة أبي عبيدة :

قال الذهبي: «الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي، عالم بجميع العلوم من أبي عبيدة».

وذكره ابن المبارك فصَحَّ رواياته.. وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني ذكر أبا عبيدة، فأحسن ذكره، وصحح روايته، وقال:

١. الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٩ : ١٩٨، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤ : ١٥٤.

«كان لا يحكي عن العرب إلاّ الشيء الصحيح»^١.

ترجمة الأخفش:

قال ابن خلكان: «أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط. أحد نحاة البصرة... من أئمة العربية، وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلاّ وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه»^٢.

وقال اليافعي، في حوادث سنة (٢١٥ هـ): «وفيهما توفي الأخفش الأوسط إمام العربية...»^٣.

إذن أئمة العربية وشيوخها لا ينكرون هذا المعنى وأنّ المولى هو الأولى.

البخاري في صحيحه يفسر المولى بالأوّل:

ولعلّ البخاري قد استفاد هذا المعنى من أعلام أهل اللغة، فجاء تفسيره لها في صحيحه عند تفسير سورة الحديد، قال:

١. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩ : ٤٤٦ .

٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٠ .

٣. اليافعي، مرآة الجنان ٢ : ٦١. الناشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ط،

«مولاكم أولى بكم»^١.

قال ابن حجر العسقلاني :

«قوله [أي البخاري] مولاكم أولى بكم: قال الفراء في قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، يعني أولى بكم، وكذا قال أبو عبيدة، وفي بعض نسخ البخاري هو أولى بكم، وكذا هو في كلام أبي عبيدة»^٢. فأكد ابن حجر أن البخاري فسرهما بالأولى، ولا نحتاج إلى جوابه الذي قال فيه: «يصح على إرادة المكان..»، لأن البخاري اتكأ على أقوال اللغويين وهي حجة في هذا المعنى بلا تأويل.

المفسرون يحذون أهل اللغة في تفسير المولى بـ (الأولى) :

لقد أجمع المفسرون على تفسير كلمة المولى بالأولى في تفسير سورة الحديد ، نذكر بعض منهم:

١- الكلبي (ت ١٤٦ هـ) :

قال أبو حيان الأندلسي: وقال الكلبي: «أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة. وقيل: مالكننا وسيدنا، فلهذا يتصرف كيف شاء. فيجب

١. البخاري، صحيح البخاري ٦ : ٥٧ .

٢. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٤ : ٤٨٢ .

الرضا بما يصدر من جهته، وقال: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين لا مولى لهم، فهو مولانا الذي يتولانا ونتولاه»^١.

٢- الطبري (ت ٣١٠ هـ) قال: وقوله: «هي مولاكم»، يقول: النار أولى بكم.^٢

٣- أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ) قال:

«هي مولاكم» يعني هي أولى بكم بما أسلفتم من الذنوب.^٣

٤- ابن زمين (ت ٣٩٩ هـ) قال:

«وقيل: «هي مولاكم» هي أولى بكم لما أسلفتم، وهو الذي أراد يحيى أيضاً.^٤

٥- السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) قال: وقوله «هي مولاكم» أي: النار أولى بكم.^٥

١. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥: ٥٣، دار الكتب العلمية - بيروت .

٢. الطبري، تفسير الطبري ٢٧ : ٢٩٦ .

٣. ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير ٤ : ٣٣٢ .

٤. ابن زمين، تفسير ابن زمين ٥١ : الناشر: الفاروق الحديثة - مصر، القاهرة .

٥. السمعاني، تفسير السمعاني ٥ : ٣٧١، الناشر: دار الوطن - الرياض .

٦- ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) قال: قوله عزَّ وجلَّ: «هي مولاكم» قال أبو عبيدة، أي: أولى بكم.^١

٧- ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) قال: «وقوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيا بكم وبئس المصير».^٢
من خلال ما تقدم من كلمات أهل اللغة وكلمات المفسرين، فإن كلمة المولى يمكن أن تُفسر بالأولى، والبخاري قد استفاد هذا المعنى أيضاً وفسرها طبقاً لأهل اللغة.

الشيخ الأميني لا يستغرب عدم وقوفهم على مفردات اللغة
الشيخ الأميني رحمه الله بعد أن ناقش هذا الأمر — في موسوعته
المشهورة بالغدير — وصل إلى نتيجة مفادها:
أنهم بعيدون عن أجواء مفردات اللغة العربية وكيفية تفسيرها، لذا
لا يستغرب أن تحمل الألفاظ على غير معناها الحقيقي والصحيح، قال:
«أنا لا ألوم القوم على عدم وقوفهم على كلمات أهل اللغة
واستعمالات العرب لألفاظها، فإنهم بعداء عن الفن، بعداء عن العربية،
فمن رازي إلى أيجي. ومن هندي إلى كابلي ومن دهلوي إلى...
وأين هؤلاء من العرب الأتقاح؟

١. ابن الجوزي، زاد المسير ٧ : ٣٠٤، الناشر: دار الفكر - بيروت .

٢. أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي ٣ : ٣٨٤، الناشر: دار الفكر - بيروت.

وأين هم من العربية؟

نعم - حن قدح ليس منها - وإذا اختلط الحابل بالنابل طفق يحكم في لغة العرب من ليس منها في حل ولا مرتحل^١.

الشواهد التي تدل على أن المراد من كلمة المولى هي الإمامة أضف إلى ذلك أن هناك قرائن وشواهد اكتنفت الحديث تؤكد على إمامة علي عليه السلام وخلافته، ونذكر في هذا الصدد سبعة شواهد تدل على هذه الحقيقة.

الشاهد الأول: المقارنة والتوالي في الحديث

هناك تقارن في كلمات رسول الله ﷺ ولا يمكن التفكيك والتصرف فيه، فعندما قال: «ألست أولى بكم من أنفسكم» قالوا: بلى، ثم قال مباشرة: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..»، فماذا يتبادر إلى الذهن من نطق هذين النصين؟ وما هي الفائدة من هذا التقارن والتوالي؟ أليس هو إعطاء علي عليه السلام هذا المقام الإلهي، ألا وهو الإمامة؟ ومراده ﷺ واضح؛ أن كل من يكون رسول الله أولى به من نفسه، فكذلك الأمر ينطبق تماماً على علي عليه السلام وهو أن يكون أولى به من نفسه، وهذا الأمر في غاية الوضوح.

١. الأميني، الغدير ١ : ٣٥٧.

الشاهد الثاني: تهنئة الخليفة عمر

لذا جاء قول الخليفة عمر بالتهنئة له مباشرة بعد تنصيبه لهذا المقام الرفيع. وهذا ما نجده في الحديث المشهور والصحيح.^١ عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب، فقال: أأست ولي المؤمنين، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.^٢

وإقرار الخليفة عمر لا ينجسم مع معنى النصر أو عدم العداوة مطلقاً؛ لأنه لو دققنا بكلمات الخليفة عندما قال: «أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»، يعني هنيئاً لك يا علي أصبحت أولى بنا جميعاً أنا وجميع المسلمين على حد سواء. أما لو فسرنا الحديث بالمحبة والنصرة، فينتفي موضوع التهنئة؛ لأنَّ علياً من أول الأمر هو ناصر لرسول الله ﷺ فلم يضاف رسول الله ﷺ شيئاً جديداً يستحق عليه التهنئة.

١. الرواية كما تقدم في البحوث السابقة كل رواياتها ثقات .

٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤ - ٢٨٥، الناشر: دار الكتب العلمية -

بيروت .

الشاهد الثالث: آية إكمال الدين لا تنسجم مع النصرة والمحبة في الحديث المروي بسند صحيح عن أبي هريرة،^١ - والذي تقدم سابقاً - وبعد تهنئة الخليفة عمر له نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^٢، فإكمال الدين لا ينسجم مع القول بالمحبة والنصرة وعدم العداوة، بل لابد من الإكمال بشخص يمثل الدين وهو الوصي والإمام من بعده صلى الله عليه وآله وهو أمر لا يخفى على أهل البصائر.

الشاهد الرابع: الصحابي حسان بن ثابت ينطق بهذه الحقيقة حسان بن ثابت صحابي وشاعر رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو معلوم ولا يحتاج أن نرجع إلى تراجم الرجال، وقد نطق بهذه الشهادة صراحةً؛ وذلك لما فهمه من معنى الحديث، وأن المولى في حديث الغدير تعني الإمامة والقيادة بل والهداية، وحسان الشاعر هو الخبير والفصيح بمفردات اللغة، لذلك لم يتوان في الجهر بهذا المعنى، حينما قال:

«قَالَ لَهُ قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنِّي * رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ * فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صَدَقَ مَوَالِيَا
هَنَّاكَ دَعَا اللَّهَ وَالِ وَلِيَّهُ * وَكَنْ بِالَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيَا»^٣.

١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤ - ٢٨٥ .

٢. المائدة : ٣ .

٣. السيوطي ، الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار : ١٩ .

الشاهد الخامس: الصحابي قيس بن سعد بن عبادة يشهد بهذه الحقيقة قال في قصيدته المشهورة:

وعلي إمامنا وإمام * لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه * فهذا مولاه خطب جليل.^١

الشاهد السادس: الأخطل يستشهد بكلمة المولى لعبد الملك بن مروان قال الشيخ المفيد: «ومما يدل على ما ذكرناه قول الأخطل - وهو رجل نصراني لا يتحيز إلى فرقة من فرق الإسلام، ولا يتهم بالعصية للشيعنة ولا يطعن عليه في العلم باللسان - في قصيدته التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان، فقد علمت الكافة عداوته لأمر المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام:

فأصبحت مولاهما من الناس كلهم * وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا
فمدحه بالإمامة، ورياسة الجماعة، واقتصر في العبارة على ذلك، وأنه أولى به من الناس كافة على لفظة (مولى)، لإفادتها في اللغة ومعرفة أهلها بأنها عبارة عنه، ودالة على معناه، وهذا بين لا خفاء فيه على منصف، ولا ارتياب فيه».^٢

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص : ٣٣. الناشر: مكتبة نينوى الحديثة - طهران.

٢. المفيد، أقسام المولى : ٤٠، الناشر: دار المفيد للطباعة - بيروت .

الشاهد السابع : الإمام علي عليه السلام يشهد لنفسه بالولاية

قال ابن طلحة الشافعي: قد ذكر (عليه السلام) ذلك، وأشار إليه في أبيات قالها، نقلها عنه الثقات، ورواها النقلة الأثبات ما كتبه الأمير (عليه السلام) في أشعاره لمعاوية حيث قال:

وأوجب لي ولايته عليكم * رسول الله يوم غدير خم^١.

ووضح ما يروم إليه الإمام علي عليه السلام فإنه يحتج على معاوية، ويذكره بذلك اليوم الذي نصبه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولياً وإماماً على جميع المسلمين. وعلي عليه السلام هو إمام الصادقين فلا بد من حمل كلامه ومراده على ما أبانه وأفصح عنه، ولا يمكن أن نتعدى إلى غيره من المعاني.

السيد شرف الدين يحكم العقل مع الشيخ البشري

مما تقدم من تلك الشواهد والقرائن لا نستغرب عندما واجه السيد شرف الدين مناظره الشيخ سليم البشري بالحق الذي لا مناص منه، حيث قال له: «لو سألكم عن هذا كله تجيبونه بأن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله إنما أراد بيان نصرته للمسلمين، وصداقته لهم ليس إلا، ما أراكم ترتضون هذا الجواب، ولا أتوهم أنكم ترون مضمونه جائزاً على ربّ الأرباب، ولا على سيد الحكماء، وخاتم الرسل والأنبياء، وأنتم أجل

١. محمد بن طلحة الشافعي، مطالب السؤول : ٦٢. الزرندي الحنفي؛ نظم درر السمطين : ٩٧ ؛ مخطوطات مكتبة الامام علي عليه السلام العامة، ط ١، ١٣٧٧ هـ .

من أن تجوزوا عليه أن يصرف همه كلها، وعزائمه بأسرها إلى تبين شيء بين لا يحتاج إلى بيان، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان. ولا شك أنكم تنزهون أفعاله وأقواله عن أن تزدرى بها العقلاء، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء، بل لا ريب في أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِجَانُونَ﴾^١.

فيهتم بتوضيح الواضحات، وتبين ما هو بحكم البديهيات، ويقدم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية، لا ربط له بها ولا دخل لها فيه، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً^٢.

حصص الحق الذي لا محيص عنه

ثم جاء كلام الشيخ سليم البشري رحمه الله تعالى شيخ الجامع الأزهر على الفور: «قد حصص الحق بما أشرت إليه من القرائن، فانكشف قناع الشك عن محيا اليقين، ولم تبق لنا وقفة في أن المراد من الولي والمولى في

١. التكوير : ١٩ - ٢٢ .

٢. عبد الحسين شرف الدين، المراجعات : ٢٧٧، المراجعة رقم: ٥٨ .

حديث الغدير إنما هو الأولى، ولو كان المراد الناصر، أو نحوه ما سأل سائل بعذاب واقع، فرأيكم في المولى ثابت مسلم»^١.

إذن تبين مما تقدم من الشواهد التي ذكرناها بطلان من قال: إن معنى المولى هو صاحب النصير، والمعنى الصحيح هو بمعنى الأولى بكم، وفي كل شؤونكم، وأنه يجب على المسلمين الإقرار والطاعة له، على حد طاعة رسول الله ﷺ بلا فرق في ذلك.

خلاصة ونتيجة البحث:

من خلال ما تقدم اتضح ما يلي: ١- إن السبب المعقول لهذا الحديث وهو التبليغ بولاية علي عليه السلام على جميع المسلمين. وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾، والولاية الحاكمة المطلقة في جميع شؤونهم السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها.

٢- إن حديث الغدير له طرق كثيرة، بحيث صرح علماء هذا الفن بأن هناك مجلدات نقلت هذه الطرق وهناك من اندهش لكثرتها.

٣- نقلنا بعض تلك الطرق وذكرنا من اعترف بصحتها وصححنا بعضها على مباني الجرح والتعديل.

- ٤- أنَّ حديث الغدير متواتر وصحيح، وهذا ما اعترف به كبار علماء أهل السنة كالذهبي، وابن حجر، وابن كثير، والمنائوي، وغيرهم.
- ٥- دفع شبهة الدهلوي الذي أنكر على علماء اللغة قولهم أنَّ المولى تأتي بمعنى الأولى، وكذلك شبهة التفتازاني الذي قال بأنَّ المولى في هذا الحديث معناها هو الناصر والمحب.
- ٦- وبهذا اتضح فساد قول ابن حزم وابن تيمية؛ لأنَّ من رواه كلهم ثقات والحديث متواتر كما تقدم.
- والحمد لله رب العالمين

فضائل الحرمين الشريفين

في تراث أهل البيت عليهم السلام (٧)

محمد علي المقدادي

تمهيد:

بفضل من الله سبحانه وتعالى نواصل ما ذكرناه في الأعداد (٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢) من هذه المجلة حول ما يتعلق بفضائل حرمي مكة والمدينة، اللذين احتلت فضائلهما وأحكامهما وآدابهما مساحةً واسعةً في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية،

وبالذات فيما وصل إلينا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي تتميز بأنها الأفضل والأصح؛ لأنها تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز، اللذين هما مصدرا العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبوي المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي»^١.

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٢.

وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللاتقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق : ٢٣٨؛ بحار الأنوار ٢٩ : ٣٤٠؛ مسند الرضا عليه السلام، داود بن سليمان الغازي : ٢٠٣.

٢. أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلّى الله عليه وآله للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف ١: ٤٧؛ كتاب الإسلام والإيمان. ٣: ٣٤٨ كتاب الفضائل، وغيره من المصادر.

المسلم روحياً وأخلاقياً واجتماعياً... ولما سنّ لهما وخاصةً للحرم المكي بمواقفته المتعدّدة من شرائع ومناسك وآداب بين ما يجب على المسلم أدائه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجدته فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذن لها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به هذه البلاد يوم أن بثّ فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون... وما زال وسيبقى هذا المنسك يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى يأذن الله تعالى بنهاية دار الابتلاء والتكاليف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب؟!

فقداسة الحرمين الشريفين «مكة المكرمة و المدينة المنورة» وما لهما من وظائف جليلة، أمرٌ أجمع عليه أهل التوحيد، مما جعلهما محلّ اهتمام أحاديث كثيرة ومواقف جليلة لأهل البيت عليهم السلام، وهم الأدري بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسلمين في البناء الإيماني لهم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنوي الحاشد من آثار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، على المستوى الفقهي والروحي

والخلقي... ونحن هنا نقتبس ما يتيسر لنا منه، وبما يتعلق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.



١٥ - منى:

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا انتهيت إلى منى فقل: «اللهم هذه منى وهي مما مننت بها علينا من المناسك فأسألك أن تمن علينا بما مننت به على

أنبيائك، فإنما أنا عبدك وفي قبضتك». «ثم تصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، والإمام يصلي بها الظهر لا يسعه إلا ذلك، و موسع عليك أن تصلي بغيرها إن لم تقدر، ثم تدركهم بعرفات، قال: وحدّ منى العقبة إلى وادي محسر»^١.

٢- حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية ابن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن جبرئيل أتى إبراهيم عليه السلام فقال: تن يا إبراهيم فكانت تسمى منى فسمّاها الناس منى»^٢.

٣- حدثنا علي بن أحمد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن العباس قال: حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان، أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه العلة التي من أجلها سميت منى منى: «إن جبرئيل عليه السلام قال: هناك يا إبراهيم تن على ربك ما شئت؛ فتمنى إبراهيم في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداء له فأعطى مناه»^٣.

١. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٤٦١.

٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢ : ٤٣٥ - ٤٣٦.

٣. المصدر نفسه.

٤- أحمد، عن بعض أصحابه، عن الحسن بن يوسف، عن زكريا بن محمد، عن مسعود الطائي، عن عبد الحميد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا اجتمع الناس بمبنى نادى مناد: أيها الجمع لو تعلمون بمن أحللتكم لأيقنتم بالمغفرة بعد الخلف، ثم يقول الله تبارك وتعالى: إن عبداً إذا أوسعت عليه في رزقه لم يفد إلي في كل أربع لمحروم».^١

٥- علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة فقالوا: يا آدم برّ حجك، أما إنه قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجه بألفي عام».^٢

٦- قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال أبي عبد الله عليه السلام: قال علي عليه السلام: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بديل ابن ورقاء الخزاعي على جمل أورق أيام منى، فقال: تنادي في الناس: ألا لا تصوموا، فإنها أيام أكل وشرب».^٣

٧- علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن منصور بن العباس، عن صالح اللفائقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة إلى منى، ثم دحاها من منى إلى عرفات، ثم دحاها من

١. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١ : ٦٦.

٢. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ١٩٤.

٣. قرب الإسناد، الحميري القمي: ١٩؛ رواه الصدوق في الفقيه ٢ : ٣٠٢؛ معاني الأخبار: ٣٠٠؛ الشهيد الأول في أربعينه : ٣٧؛ بحار الأنوار ٩٦ : ٢٦٤.

عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة»^١.

٨ - عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد القلانسي، عن علي بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أَهْبَطَ إلى الأرض أَهْبَطَ على الصفا، ولذلك سمي الصفا، لأنَّ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَبَطَ عليه ففُتِحَ للجبل اسم من اسم آدم يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. وَأَهْبَطَ حواء على المروة وإنما سميت المروة مروة لأنَّ المرأة هَبَطَتْ عليها ففُتِحَ للجبل اسم من اسم المرأة، وهما جبلان عن يمين الكعبة وشمالها، فقال آدم حين فرق بينه وبين حواء ما فرق بيني وبين زوجتي إلا وقد حرمت علي فاعتزلها وكان يأتيها بالنهار فيتحدث إليها، فإذا كان الليلة خشي أن تغلبه نفسه علي فاعتزلها وكان يأتيها بالنهار فيتحدث إليها، فإذا كان الليلة خشي أن تغلبه نفسه عليها رجع فبات على الصفا، ولذلك سميت النساء، لأنه لم يكن لآدم انس غيرها، فمكث آدم بذلك ما شاء الله أن يمكث لا يكلمه الله ولا يرسل إليه رسولا والرب سبحانه يباهي بصره الملائكة فلما بلغ الوقت الذي يريد الله عزَّ وجلَّ أن يتوب على آدم فيه أرسل إليه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم

١. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ١٨٩.

الصابر لبليته، التائب عن خطيئته، إن الله عزّ وجلّ بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد الله أن يتوب عليك بها، فأخذ جبرئيل عليه السلام بيد آدم عليه السلام حتى أتى به مكان البيت، فنزل غمام من السماء فأظل مكان البيت؛ فقال جبرئيل عليه السلام: يا آدم خط برجلك حيث أظل الغمام فإنه قبلة لك ولآخر عقبك من ولدك، فخطّ آدم برجله حيث أظل الغمام، ثم انطلق به إلى منى، فأراه مسجد منى، فخطّ برجله، ومدّ خطة المسجد الحرام بعد ما خطّ مكان البيت، ثم انطلق به من منى إلى عرفات...»^١.

٩- وعنه، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن بعض أصحابنا قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد: يا منى قد جاء أهلك فاتسعي في فجاجك واترعي في مثابك ومناد ينادي: لو تدرون بمن حللتهم لأيقنتم بالخلف بعد المغفرة»^٢.

١٠- علي، عن أبيه؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد: لو تعلمون بفناء من حللتهم لأيقنتم بالخلف بعد المغفرة»^٣.

١. المصدر نفسه ٤ : ١٩١ - ١٩٢.

٢. المصدر نفسه ٤ : ٢٥٦.

٣. المصدر نفسه ٤ : ٢٥٦ - ٢٥٧.

١١- حدثنا محمد بن الحسن رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن عبدوس بن أبي عبيدة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «أول من ركب الخيل إسماعيل وكانت وحشية لا تتركب، فسخرها الله تعالى على إسماعيل من جبل منى، وإنما سميت الخيل العراب لأن أول من ركبها إسماعيل»^١.

١٢- حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن سليمان الرازي قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال: حدثنا محمد بن سنان عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمر عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل فقال له: السلام عليك يا آدم الصابر على بليته التائب عن خطيئته إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت فنزلت عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل: خطّ برجلك حيث أظلك هذا الغمام.

ثم انطلق به حتى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى فخطه وخطّ المسجد الحرام بعد ما خطّ مكان البيت ثم انطلق به إلى عرفات فأقامه

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢ : ٣٩٣.

على العرفة وقال له: إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرات ففعل ذلك آدم ولذلك سمي العرفة، لأنَّ آدم عليه السلام اعترف عليه بذنبه فجعل ذلك سنة في ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم ويسألون الله عزَّ وجلَّ التوبة كما سألها أبوهم آدم.

ثم أمره جبرئيل عليه السلام فأفاض عن عرفات فمر على الجبال السبعة فأمره أن يكبر على كل جبل أربع تكبيرات ففعل ذلك آدم ثم انتهى به إلى جمع ثلث الليل فجمع فيها بين صلاة المغرب وبين صلاة العشاء الآخرة، فلذلك سمي جمعاً لأنَّ آدم جمع فيها بين صلاتين فوقعت العتمة في تلك الليلة ثلث الليل في ذلك الموضع، ثم أمره أن يتبطح في بطحاء جمع، فاتبطح حتى انفجر الصبح ثم أمره أن يصعد على الجبل جبل جمع، وأمره إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه سبع مرات ويسأل الله تعالى التوبة والمغفرة سبع مرات ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل وأما جعل اعترافين ليكون سنة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجه فأفاض آدم من جمع إلى منى فبلغ منى ضحى فأمره أن يصلي ركعتين في مسجد منى.

ثم أمره أن يقرب إلى الله تعالى قرباناً ليتقبل الله منه، ويعلم أنَّ الله قد تاب عليه ويكون سنة في ولده القربان، فقرب آدم عليه السلام قرباناً فقبل الله منه قربانه وأرسل الله عز وجل نارا من السماء فقبضت قربان آدم فقال له جبرئيل: إنَّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذا علمك المناسك التي

تاب عليك بها وقبل قربانك فاحلق رأسك تواضعاً لله تعالى إذ قبل قربانك، فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى، ثم أخذ جبرئيل بيد آدم فانطلق به إلى البيت فعرض له إبليس عند الجمرة العقبة فقال له: يا آدم أين تريد؟ قال جبرئيل: يا آدم ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصة تكبيرة ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل، فذهب إبليس ثم أخذ جبرئيل بيده في اليوم الثاني فانطلق به إلى الجمرة الأولى فعرض له إبليس، فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصة تكبيرة ففعل آدم ذلك فذهب إبليس، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فقال له: يا آدم أين تريد؟

فقال جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصة ففعل ذلك آدم فذهب إبليس ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصة تكبيرة؛ ففعل ذلك آدم فذهب إبليس ثم فعل ذلك به في اليوم الثالث والرابع فذهب إبليس. فقال له جبرئيل: انك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً، ثم انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرات، ففعل ذلك آدم. فقال له جبرئيل: إن الله تبارك وتعالى قد غفر لك وقبل توبتك وحلت لك زوجتك»^١.

١٣- وروي أنها «سميت منى لأن إبراهيم عليه السلام تقي هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فدية له»^١.

١٤ - وروي أنها «أيام أكل وشرب وبعال»^٢.

١٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن المفضل ابن صالح، عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي مكة أيام منى بعد فراغه من زيارة البيت فيطوف بالبيت تطوعاً، فقال: «المقام بمنى أفضل وأحب إلي»^٣.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صل في مسجد الحيف وهو مسجد منى وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده عند المنارة التي في وسط المسجد وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من

١. من لا يحضره الفقيه، ٢ : ١٩٧؛ رواه في العلل مسنداً عن محمد بن سنان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام وكذا في العيون ٢ : ٩٠، قاله في جواب مسائل ابن سنان.

٢. المصدر نفسه ٢ : ١٩٨؛ وفي معاني الأخبار : ٣٠٠ بإسناده عن عمرو بن جميع، عن الصادق عن أبيه عليه السلام قال: «بعث رسول الله ﷺ يديل بن ورقاء على جمل فأمره أن ينادي في الناس أيام منى أن لا تصوم هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وبعال». والبعال: النكاح وملاعبة الرجل أهله.

٣. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٥١٥.

ذلك فقال: فتحرَّ^١ ذلك، فإن استطعت أن يكون مصلاك فيه فافعل، فإنه قد صلَّى فيه ألف نبي، وإنما سَمِّي الخيف، لأنه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عنه يسمى خيفاً^٢.

١٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلَّ ستَّ ركعات في مسجد منى في أصل الصومعة»^٣.

١٨- قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: «من قرأ ﴿إنا أنزلناه . . .﴾ في حرم الله عزَّ وجل ألف مرة، كتب الله عزَّ وجل له أجر كلِّ حجة أو عمرة كانت أو تكون. ومن قرأها في موقف عرفة مائة مرة، كان له أجر المجاهدين إلى يوم القيامة. ومن قرأها في مسجد منى سبعين مرة، كان له أجر كلِّ صدقة تصدق بها أو يتصدق بها إلى يوم القيامة. ومن قرأها في جوف الكعبة، كان له أجور الصديقين والشهداء إلى يوم القيامة. ومن قرأها في مسجد المدينة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله إحدى وعشرين مرة، كان له أجور أهل الجنة إلى يوم القيامة وكتب له مثل أجر النبيين»^٤.

١. التحري: الطلب والقصد.

٢. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٥١٩.

٣. المصدر نفسه. والصومعة: العمارة التي عند المنارة.

٤. فضائل الأشهر الثلاثة، الشيخ الصدوق : ١١٨.



HAJJ.IR

Photo:F.Mahmoudi

- ١٩- وعن معاوية بن عمار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «على الإمام أن يصلي الظهر يوم التروية بمسجد الخيف، ويصلي الظهر يوم النفرة في مسجد الحرام».^١
- ٢٠- ... منها قول الباقر عليه السلام - «بعد أن ذكر أنه صلى في مسجد الخيف سبعمئة نبي».^٢ - : «وإنَّ ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وأنَّ آدم لفي حرم الله».

١. ذخيرة المعاد (ط.ق)، المحقق السبزواري ١ : ٦٥٠، ق ٣.

٢. جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن ١٤ : ١٠٢.

٢١- قال أبو جعفر عليه السلام في خبر الثمالي: «من صلى في مسجد الخيف بنى مائة ركعة قبل أن يخرج منه عدلت عبادة سبعين عاماً، ومن سبح لله فيه مائة تسبيحة كتب له كأجر عتق رقبة، ومن هلك الله فيه مائة تهليلة عدلت أجر إحياء نسمة، ومن حمد الله فيه مائة تحميدة عدلت أجر خراج العراقين يتصدق به في سبيل الله عز وجل»^١.

وأصل الصومعة (عند المنارة في وسطه، وفوقها إلى جهة القبلة بنحو من ثلاثين ذراعاً، وعن يمينها وشمالها كذلك، فإنه مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله)^٢.

٢٢- وقال الصادق عليه السلام في حسن ابن عمار: «صل في مسجد الخيف وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله على عهده عند المنارة التي في وسط المسجد، وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً، وعن يمينها، وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك. قال: فتحرك ذلك فإن استطعت أن يكون مصلاك فيه فافعل، فإنه قد صلى فيه ألف نبي»^٣.

٢٣- حدثنا الحسين بن علي بن أحمد الصايغ رحمه الله، قال: حدثنا الحسين بن الحجال، عن سعد بن عبد الله قال: حدثني محمد بن الحسن الهمداني، قال: سألت ذا النون المصري، قلت: يا أبا الفيض! لم صير

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

الموقف بالمشعر ولم يصير بالحرم؟ قال: حدثني من سأل الصادق عليه السلام ذلك فقال: «لأنَّ الكعبة بيت الله والحرم حجابها والمشعر بابها فلما أن قصده الزائرون وقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة، فلما نظر إلى طول تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونها، أمرهم بالزيارة على طهارة. قال: فقلت: فلم كره الصيام في أيام التشريق؟ فقال: لأنَّ القوم زوار الله، وهم (أضيافه) وفي ضيافته، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من زاره وأضافه. قلت: فالرجل يتعلق بأستار الكعبة ما يعني بذلك؟ قال: مثل ذلك مثل الرجل يكون بينه وبين الرجل جناية، فيتعلق بثوبه يستخذي له رجاء أن يهب له جرمه»^١.

٢٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن محمد بن مسلم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَانْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾. قال: التكبير في أيام التشريق من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من يوم الثالث وفي الأمصار عشر صلوات، فإذا نفر بعد الأولى أمسك أهل الأمصار ومن أقام بمنى فصلى بها الظهر والعصر فليكبر»^٢.

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢ : ٤٤٣؛ من لا يحضره الفقيه ٢ : ١٩٧-١٩٨.

٢. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٥١٦.



٢٥- حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: التكبير في أيام التشريق في دبر الصلوات؟ فقال: «التكبير مبنى في دبر خمسة عشر صلاة وفي سائر الأمصار في دبر عشر صلوات وأول التكبير في دبر صلاة الظهر يوم النحر يقول فيه: "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام". وإنما جعل في سائر الأمصار في

دبر عشر صلوات لأنه إذا نفر الناس في نفر الأول أمسك أهل الأمصار عن التكبير وكبر أهل منى ما داموا بمنى إلى نفر الأخير»^١.

٢٦- أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، ومحمد بن الحسين، وعلي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام التكبير أيام التشريق في دبر الصلاة؟ قال: «التكبير بمنى في دبر خمس عشر صلاة من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الغداة فقال: تقول فيه: "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله، أكبر الله، أكبر على ما هدانا، والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا" وإنما جعل في سائر الأمصار في دبر عشر صلوات التكبير لأنه إذا نفر الناس في نفر الأول أمسك أهل الأمصار عن التكبير وكبر أهل منى ما داموا بمنى إلى نفر الأخير»^٢.

٢٧- حدثنا أبي، ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قالوا: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «أتدري لم جعلت أيام منى ثلاثاً؟ قال: قلت: لأي شيء جعلت فداك، ولماذا؟ قال لي: من أدرك شيئاً منها أدرك الحج».

١. المصدر نفسه.

٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢: ٤٤٧ - ٤٤٨.

قال محمد بن علي بن الحسين - مصنف هذا الكتاب- : جاء هذا الحديث هكذا، فأوردته في هذا الموضع لما فيه من ذكر العلة وتفرد بروايته إبراهيم بن هاشم وأخرجه في نوادره والذي أفق به واعتمده في هذا المعنى ما حدثنا به شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام.^١

٢٨- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن المفضل ابن صالح، عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي مكة أيام منى بعد فراغه من زيارة البيت فيطوف بالبيت تطوعاً، فقال: المقام بمنى أفضل وأحب إليّ.^٢

٢٩- ثواب رمى الجمار؛ عنه، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حرير، عن أبي عبد الله عليه السلام في رمي الجمار قال: «له بكل حصاة يرمي بها يحط عنه كبيرة موبقة».^٣

٣٠- أبي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن العمري الخراساني، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال:

١. المصدر نفسه ٢ : ٤٥٠ - ٤٥١.

٢. الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٤٩٨ - ٤٩٩.

٣. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١ : ٦٧.

سألته عن رمي الجمار، لِمَ جُعِلَ؟ قال: «لأنَّ إبليس اللعين كان يتراءى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار، فرجمه إبراهيم، فجرت السنة بذلك»^١.

٣١- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن مشي الخناط، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الحصى التي يرمي بها الجمار، فقال: «تؤخذ من جمع وتؤخذ بعد ذلك من منى»^٢.

٣٢- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم البجلي، عن أبي خديجة قال: «رأيت أبا عبد الله عليه السلام وهو ينحر بدنته معقولة يدها اليسرى، ثم يقوم من جانب يدها اليمنى ويقول: "بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبله مني؛" ثم يطعن في لبتها ثم يخرج السكين بيده فإذا وجبت قطع موضع الذبح بيده»^٣.

٣٣- عنه (علي بن إبراهيم)، عن أبيه، عن القاسم بن إسحاق، عن عباد الدواجني، عن حفص بن سعيد، عن بشير بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إشهدني ذبح ذبيحتك، فإنَّ أول قطرة منها يكفر الله بها كلَّ ذنب عليك، وكلَّ خطيئة عليك، فسمعه بعض المسلمين

١. مسائل علي بن جعفر؛ ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٢٧٠.

٢. الكافي ٤ : ٤٧٧.

٣. الكافي ٤ : ٤٩٨.

فقال: يا رسول الله هذا لأهل بيتك خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: إن الله وعدني في عترتي أن لا يطعم النار أحداً منهم وهذا للناس عامة»^١.

٣٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان وابن أبي عمير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا اشتريت هديك فاستقبل به القبلة وانحره أو أذبحه وقل: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك، بسم الله والله أكبر، اللهم تقبل مني" ثم أمر السكين ولا تنزعها حتى تموت»^٢.

٣٥- حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا عبد الله ابن العباس العلوي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله، عن أبيه، عن خاله زيد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نهيتكم عن ثلاث، نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، ونهيتكم عن إخراج لحوم الأضاحي من منى بعد ثلاث ألا فكلوا وادخروا، ...»»^٣.

١. المصدر نفسه ٤ : ٥١٥.

٢. المصدر نفسه ٤ : ٤٩٨.

٣. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٢ : ٤٣٩.

- ٣٦- عنه (علي بن إبراهيم)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن عبد الله، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال علي بن الحسين عليه السلام في حديث له: إذا ذبح الحاج كان فداه من النار».^١
- ٣٧- أحمد بن محمد بن عيسى في كتابه عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل اشترى شاة لمتعته فسرقت منه أو هلكت فقال: «إن كان أوثقها في رحله فضاعت فقد أجزأت عنه».^٢
- ٣٨- وروى محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عن رجل اشترى أضحية فماتت أو سرقت قبل أن يذبحها قال: «لا بأس وإن أبدلها فهو أفضل وإن لم يشتر فليس عليه شيء».^٣
- ٣٩- محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يزور البيت قبل أن يخلق قال: «لا ينبغي إلا أن يكون ناسياً، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه أناس يوم النحر فقال بعضهم: يا رسول الله خلقت

١. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١ : ٦٧.

٢. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٥ : ٢١٧.

٣. المصدر نفسه.

قبل أن أذبح؟ وقال بعضهم: حلقت قبل أن أرمي؛ فلم يتركوا شيئاً كان ينبغي لهم أن يؤخروه إلاّ قدموه فقال صلى الله عليه وآله: «لا حرج»^١.

٤٠- روى محمد بن موسى بن القاسم، عن النخعي، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذبحت أو نحرته فكل وأطعم كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُنْتَرِبَ﴾، فقال: القانع الذي يقنع بما أعطيته، والمعتز الذي يعتريك، والسائل الذي يسألك في يديه، والبائس الفقير»^٢.

٤١- والذي رواه محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام جعلت فداك إن رجلاً من أصحابنا رمى الجمرة يوم النحر وحلق قبل أن يذبح فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوم النحر أتاه طوائف من المسلمين فقالوا: يا رسول الله ذبحنا من قبل أن نرمي وحلقنا من قبل أن نذبح فلم يبق شيء مما ينبغي أن يقدموه إلاّ أخروه ولا شيء مما ينبغي أن يؤخروه إلاّ قدموه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا حرج، لا حرج»^٣.

١. المصدر نفسه ٥ : ٢٢٢-٢٢٣.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه ٥ : ٢٣٦.

- ٤٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال في قول الله عزَّوجلَّ: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ الآية، قال: «التفت: الرمي»^١.
- ٤٣- وعن علي عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما رمى جمرة العقبة يوم النحر أتى إلى المنحر بنى، فقال:
- هذا المنحر، وكل منى منحر، ونحر هديه صلى الله عليه وآله ونحر الناس في رحالهم بنى»^٢.
- ٤٤- روينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله نحر هديه بنى وقال: هذا المنحر، ومنى كلها منحر. وأمر الناس فنحروا فذبحوا ذبائحهم رحالهم بنى»^٣.
- ٤٥- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أخذ الناس مواطنهم بنى نادى مناد من قبل الله عزَّوجلَّ: إن أردتم أن أرضى فقد رضيت»^٤.
- ٤٦- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ علة رمي الجمرات أن إبراهيم عليه السلام تراءى له إبليس عندها، فأمره جبرائيل برميهِ بسبع حصيات، وأن يكبر مع كلِّ حصاة، ففعل وجرت بذلك السنة»^٥.

١. مستدرک الوسائل، الميرزا النوري ١٠ : ١٥١.

٢. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١ : ٣٢٤.

٣. المصدر نفسه.

٤. الحج والعمرة في الكتاب والسنة، محمد الري شهري - : ٢٢٩-٢٣١.

٥. المصدر نفسه.

٤٧- قال الإمام علي عليه السلام: «إنَّ الجمار إنما رميت لأنَّ جبرئيل عليه السلام حين أرى إبراهيم عليه السلام المشاعر برز له إبليس، فأمره جبرئيل أن يرميه، فرماه بسبع حصيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض، فأمسك. ثم برز له عند الثانية فرماه بسبع حصيات آخر، فدخل تحت الأرض في موضع الثانية. ثم برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات، فدخل في موضعها»^١.

٤٨- قال الإمام علي عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم النحر، وهو يقول: «هذا يوم الشج والعج، والشج: ما تهريقون فيه من الدماء، فمن صدقت نيته كانت أول قطرة له كفارة لكل ذنب. والعج: الدعاء، فعجوا إلى الله، فوالذي نفس محمد بيده لا ينصرف من هذا الموضع أحد إلا مغفورا له، إلا صاحب كبيرة مصراً عليها لا يحدث نفسه بالإقلاع عنها»^٢.

٤٩- قال الإمام الصادق عليه السلام: «استغفر رسول الله صلى الله عليه وآله للمحلقين ثلاث مرات»^٣.

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه : ٢٣٥.

٣. المصدر نفسه : ٢٣٧ - ٢٣٨.

٥٠- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أمر الخلاق أن يضع موسى على قرنه الأيمن، ثم أمره أن يحلق، وسمى هو وقال: اللهم أعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة»^١. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ العبد المؤمن... إذا حلق رأسه لم يسقط شعره إلّا جعل الله له بها نوراً يوم القيامة»^٢.

٥١- سليمان بن مهران: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: ... كيف صار الحلق عليه "أي على الصلوة" واجباً دون من قد حج؟ قال: «ليصير بذلك موسماً بسمّة الآمنين، ألا تسمع الله تعالى يقول: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ نَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُلْقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾؟!»^٣.

٥٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمن إذا حلق رأسه بمنى ثم دفنه جاء يوم القيامة وكل شعرة لها لسان مطلق تلي باسم صاحبها»^٤.

٥٣- وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ فَرَائِضُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، قال: «كان المشركون يفخرون بمنى أيام التشريق بأبائهم، ويذكرون

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

٤. المصدر نفسه.

أسلافهم، وما كان لهم من الشرف، فأمر الله (تعالى المسلمين) أن يذكروه مكان ذلك»^١.

٥٤- وعن جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: «إذا زرت البيت فارجع إلى منى ولا تبيت أيام التشريق إلاّ بمنى، ومن تعد المبيت عن منى ليالي منى فعليه لكل ليلة دم، وإن جهل أو نسي فلا شيء عليه، ويستغفر الله»^٢.

٥٥- الحسين بن سعيد، عن صفوان وفضالة، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تبت أيام التشريق إلاّ بمنى، فإن بت في غيرها فعليك دم، فإن خرجت أول الليل فلا ينتصف الليل إلاّ وأنت في منى إلاّ أن يكون شغلك نسك أو قد خرجت من مكة، وإن خرجت بعد نصف الليل فلا يضرك أن تصبح في غيرها»^٣.

٥٦- وعن الصدوق عليه السلام روي (في الحاج إذا نفر من منى إلى مكة) أنه: «يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه»^٤.

١. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١ : ٣٣١.

٢. مستدرک الوسائل ١٠ : ١٤٩.

٣. الاستبصار، الشيخ الطوسي ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٤.

٤. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١ : ٣٣١.

٥٧- ... عن الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أفاض الرجل من منى وضع ملك يده بين كتفيه ثم قال له: استأنف»^١.

مِيقَاتُ الْحَجِّ : ٤٢ - ١٤٣٦ هـ



١. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١ : ٦٦.

الملك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية

نظرة إلى تأسيس الدولة السعودية ومواقف الحكومة الإيرانية

خلال السنوات ١٣٤٣ - ١٣٥٠ هـ (١٩٢٤ - ١٩٣٢ م)

الدكتور رسول جعفریان - جامعة طهران

المقدمة:

كان الإيرانيون ينظرون بحذر وتحفظ إلى الأحداث، التي وقعت في بلاد نجد والحجاز وإلى التحوّلات السياسية، التي حصلت أثناء سقوط الخلافة العثمانية، وخاصة على مدى السنوات من عام ١٣٤٣-١٣٤٤ هـ؛ (١٩٢٤-١٩٢٦ م)، وذلك لأسباب عدّة وهي:

السبب الأول:

قضية الحج؛ إذ كانت جموع غفيرة من الإيرانيين تتوجه في كل سنة إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج. وبما أن الوصول إلى الحرمين الشريفين اللذين يقعان في بلاد الحجاز يكون عن طريق اجتياز بلاد نجد، لذلك فقط ارتبطت قضية الحج بهذه المنطقة.

السبب الثاني:

كان تأسيس الدولة السعودية وخاصة ما تمخض عن سيطرة نجد على بقية المناطق، قد خلق نوعاً من الاختلاف المذهبي، وأوجد لدى الإيرانيين توجساً على خلفيات أحداث سابقة تتمثل في الأعمال، التي وقعت في سنوات العقدين الأول والثاني من القرن الثالث عشر للهجرة، وخاصة الهجمات التي وقعت على بعض المدن العراقية ومنها مدينة كربلاء في عام ١٢١٦هـ. كان انعكاس تلك الأخبار في النصوص التاريخية الإيرانية يومذاك، قد أعاد إلى أذهانهم وقائع تلك السنوات، وجعلهم ينظرون إلى هذه الأحداث بعين التوجس.

السبب الثالث:

الأخبار التي أخذت تنتشر في العالم الإسلامي حول الأحداث المتعلقة بالسيطرة على مدن مكة، حيث كانت تلك الأخبار تستحوذ على اهتمام المسلمين لمدة من الزمن. فالأخبار التي كانت تنتشر في العالم حول هدم

البقاع المشرقة في مكة وكذلك قصف المدينة المنورة بالمدافع، قد أثرت في نفوس المسلمين في مختلف البلدان ومنها مصر، والهند، وإيران، وأفغانستان.

ومن جانب آخر كان يجري في إيران يومذاك تحوّل سياسي بارز، غداً سبباً في بقاء اتخاذ القرارات في طهران، وكان ذلك التحوّل هو سقوط الحكم القاجاري، ومجيء الحكم البهلوي، وذلك في عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م).

ومع ذلك فقد كانت قضية التغيرات، التي وقعت في بلاد الحجاز على درجة من الأهمية بحيث أنّ النقاشات حولها كانت تدور على صعيد الحكومة وعلى صعيد المجلس النيابي، وحتى بين أفراد الشعب.

وأما بالنسبة إلى العلاقات السياسية والدبلوماسية بين إيران وبلاد نجد فقد كانت هناك ثلاثة أمور جوهرية في هذا المجال، وهي: مصر، ودمشق، وجدة. ويُعزى تعدد هذه المراكز إلى أنّ إيران بشكل عام كان لها سفير مفوض في مصر، وكانت بلاد الشام تقع ضمن إطار صلاحياته ومسؤولياته. وفي دمشق كان لإيران قنصل عام وكان يتولّى أيضاً مسؤولية مكتب جدة، وهو المكتب الذي كان يعمل بشكل مؤقت وتزداد نشاطاته في موسم الحج.

وفي ضوء هذه السلسلة المترابطة، فقد كانت التقارير السياسية حول الأوضاع والتحوّلات في تلك البلاد، تُرسل إلى دمشق ثم إلى مصر عن

طريق القنصل الإيراني المقيم في جدة ثم ترسل إلى إيران عن هذا الطريق. وعلى هذا المنوال، بالإضافة إلى مكتب جدة، كان القنصل الإيراني في دمشق، والسفير الإيراني في مصر يبديان رأيهما في هذا المجال.

استيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن على مكة، وأول مواقف إيران كان آل سعود يحكمون في منطقة نجد منذ أمد، وكانت لهم دولة في نجد امتدت حتى إلى العقود الأولى من القرن الثالث عشر للهجرة. وأثناء ذلك زالت النزاعات التي كانت تدور بينهم وبين الدولة العثمانية، إلا أن قوتهم القبلية ونفوذهم في تلك المنطقة، استمر طيلة هذه المدة. في الوقت الذي كانت فيه قوة الدولة العثمانية تميل نحو الأفول، ورغم أن دولة الأشراف في الحجاز كانت في حالة استقلال وصعود، إلا أن دولة نجد استعادت قوتها وأخذت شوكتها تتنامى من جديد. كانت زعامة هذه الحركة تتركز في هذه المرحلة بيد عبد العزيز بن عبد الرحمن، الذي كان يترأس قبائل نجد في ذلك الوقت.

وعلى صعيد آخر، كان ضعف سلطة الدولة العثمانية على الحجاز قد دفع بالشريف حسين - الذي كانت أسرته تحكم في مكة لما ينوف على ألف سنة - إلى إعلان الاستقلال عن الدولة العثمانية وحاول تكريس كل قواه لتثبيت أركان حكمه الذي كان يُشار إليه أحياناً بتسمية الخلافة.

في عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) كان هناك شخص ممثل لإيران يقيم في جدة اسمه منتخب الدولة، وقد اجتمع في ذلك الوقت في لقاء مع الشريف

حسين، وكانت قضية الخلافة مطروحة على بساط البحث يومذاك. وقد بعث هذا الشخص تقريراً إلى إيران حول ما دار في ذلك اللقاء. ويتضح من هذا التقرير أنّ الشريف حسين كان يأمل الحصول على دعم الحكومة الإيرانية. وقد أكد له منتخب الدولة نيابة عن الحكومة الإيرانية ما يلي: «فيما يخص أمر الخلافة أودّ أن أبينّ لسموّك أنّ الحكومة الإيرانية تشعر بالارتياح والرضا لعودة الحق إلى مقرّه، وأن يُعاد أمر الخلافة مرّة أخرى إلى هذه الأسرة الجليلة التي تُعتبر الخلافة إرثاً من حقّها، كما أنّ إيران تعبّر عن بالغ سرورها لأن تكون إدارة الحرمين الشريفين تحت أوامر سعادتكم، كما أنّ الحكومة الإيرانية ليس لديها أي اعتراض أو مخالفة لقضية الخلافة، ولكن بما أنّ هذه القضية دينية وتمس معتقدات الناس؛ لذلك فهي لا تستطيع التدخل وإبداء رأيها في هذا المجال»^١.

كانت حكومة مكة عازمة على إرسال مندوب عنها إلى إيران. وكان ذلك الشخص هو الشيخ فؤاد الخطيب، الذي كان يتولى مهمّة إدارة شؤون السياسة الخارجية في دولة الشرفاء، إلّا أنّ سفر هذا المندوب لم يتحقق ويبدو أنّ السبب يعود إلى تأزم الأوضاع في الحجاز.

١. تقرير مؤرّخ في الأول من برج الأسد من عام ١٣٠٣ [حسب التقويم الشمسي الإيراني، ويصادف لعام ١٩٢٤ حسب التقويم الميلادي]، الرقم ٣٠، محفوظات وثائق وزارة الخارجية لعام ١٩٢٤م، الحاوية ٦٥، الاضبارة ١٦.

كانت قوات حكومة نجد تواصل تقدّمها. وفي الثامن من جمادى الأولى من عام ١٣٤٣هـ (٥ ديسمبر ١٩٢٤م) سيطرت على مكّة. في ذلك الوقت لازالت جدّة والمدينة المنورة خاضعة لسلطة الشريف علي بن الشريف حسين.

وأما أخبار المعارك التي كانت تدور بين هذين الفريقين بالإضافة إلى الأخبار التي كانت تصل من مكّة إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي فقد أثارت موجة من الغضب في إيران ضد حكومة نجد، واتّهمت إيران - استناداً إلى الأخبار التي تُنشر في الصحف وتصل عن طريق البرقيات - هذه القوات بطمس الكثير من الآثار والمعالم الدينية في مكّة، وعند محاصرتها للمدينة المنورة ضربت قبة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدمعية.

في تلك البرهة، كان الشريف علي يسعى إلى نيل دعم الحكومة الإيرانية، وجرت في تلك الأثناء عدّة مكاتبات عن طريق فؤاد الخطيب ورئيس الحزب الوطني في الحجاز، مع غفار خان جلال السلطنة سفير إيران في مصر. والتقارير المتعلقة بهذه الأحداث محفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الإيرانية.^١

١. راجع كتاب: أسناد روابط سياسي إيران و سعودي [= وثائق العلاقات السياسية الإيرانية السعودية] (علي محقق، طهران، ٢٠٠٠م) ص ١٨-٢٨.

في ذلك الوقت حيث لازالت جدّة و المدينة المنورة تحت سيطرة الشريف علي، في حين أصبحت مكّة تحت سيطرة سلطان نجد، قررت الحكومة الإيرانية إرسال مندوبين أحدهما الميرزا حبيب الله هويدا، والآخر هو جلال السلطنة غفار، إلى الحجاز لغرض الاطلاع على مجريات الأمور عن كثب. وقد قدّم حبيب الله هويدا تقريراً تفصيلياً عن هذا اللقاء، وشرح فيه الظروف السياسية والعسكرية لكل واحدة من هاتين المنطقتين. فبعد زيارة مكّة، قد توجّها إلى المدينة المنورة برفقة معتمدين من قبل السلطان عبد العزيز. وعند مشارف المدينة المنورة أوصلتهما قوات إمارة نجد وسلّمتهما إلى قوات الشريف علي.

يبدو أنّ أحد أهداف تلك الزيارة هو الاطلاع على حقيقة ما أشيع، وهل من الصحيح أنّ قوات حكومة نجد قد دمّرت الآثار التاريخية في مكّة أم لا؟ وعند الهجوم على المدينة المنورة هل ضربوا قبة المسجد النبوي ﷺ بالمدفعية أم لا؟ كتب الميرزا حبيب الله حول ما حصل من تخريب لموضع ولادة النبي ﷺ وبيت السيدة خديجة ﷺ ما يلي:

الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ، وبيت السيدة خديجة - الذي ولدت فيه السيدة الصديقة فاطمة الزهراء - سلام الله عليها - هُدمَا وسُويَا مع الأرض. ثم تحدّث بعد ذلك عن تخريب البقاع الموجودة في مقبرة الحجون.

من بعد مكة توجه الميرزا حبيب الله إلى المدينة. وسارت برفقته قوة الحماية التي أرسلها سلطان نجد، إلى مشارف المدينة، وهناك كانت في استقباله قوات الشريف علي. وبعد ذلك عاد مرة أخرى إلى مكة بحماية قوات سلطان نجد. وهناك تحدث مع السلطان عبد العزيز، ومن هناك توجه نحو جدة^١. وقد تحدث في التقرير الذي كتبه حول المدينة المنورة حول آثار المعارك التي دارت بين الطرفين، وتحدث أيضاً عما تركته الاطلاقات النارية من آثار على جدران وقبة المسجد النبوي قائلاً: إن هذه الاطلاقات قد أصابت المسجد بطريق الخطأ، وإن قوات سلطان نجد التي حاصرت المدينة وكان عددها يتراوح بين ثلاثة وأربعة آلاف شخص، لو كانت تنوي مهاجمة المسجد عن قصد، لكان باستطاعتها أن تضربه بآلاف الاطلاقات، إلا أنها في واقع الحال لم تفعل ذلك.

وأما بالنسبة إلى تقريره الآخر فقد سرد فيه ما جاء في الحوار الذي دار بينه وبين سلطان نجد. فقد قال له سلطان نجد: «الحمد لله! إنك ذهبت ورجعت بسلام ورأيت أن اتهامات العدو كانت كلها مجرد افتراءات ولا أساس لها». ثم طلب توطيد العلاقات بين البلدين وأضاف قائلاً: «أتمنى

١. يمكن الإطلاع على نص هذا التقرير المكوّن من ست صفحات في كتاب: اسناد روابط سياسى ايران و سعودي [= وثائق العلاقات السياسية الايرانية السعودية]، صص ٤٦ - ٥٢. من تاريخ ١٦ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ (١ كانون الثاني ١٩٢٦م) الوثيقة رقم ١٢، العدد ٢١١.

أن يكون سفرك هذا أنت وسماحة الوزير المفوض سبباً لتوثيق وتوطيد أواصر المحبة والمودة بيننا وبين الدولة السامية. وأطلب منكم بكل إصرار وإلحاح أن تقبل الدولة السامية إن شاء الله دعوتنا بسرعة وترسل مندوبين سياسيين ودينيين لاتخاذ القرار فيما يخص شؤون الحجاز». ثم أضاف قائلاً: «لدى ما يُقارب عشرين ألف أو ثلاثين ألف من الرعايا من أتباع المذهب الشيعي في نجد والأحساء، وكلهم يعيشون في غاية الحرية والأمن والراحة ويمارسون أعمالهم ونشاطاتهم بعيداً عن أية ضغوط مذهبية أو غير مذهبية».

وواصل كلامه مشيراً إلى الدمار الذي تقوم به فرنسا في سوريا قائلاً: «مما يدعو إلى الكثير من الحيرة والدهشة أن مسلمي العالم - وفقط لأجل تخريب بضعة قبور كانت هُدمت قبل وصولي إلى هناك على يد هؤلاء البدو الجهلة - أبدوا الغيرة والحمية وعبروا عن بالغ الحزن والألم، وهم يلعنوني في المحافل وفي الصحف وفوق المنابر ويكفرونني ويحرّضون العالم ضديّ ويشوّهون سمعتي، في حين أن الفرنسيين الذين يعتبرون من متحضري العالم، يهدمون ويدمرون المدن الإسلامية بكل هذه القسوة والوحشية ويقتلون النساء والأطفال والرجال المسلمين الأبرياء ويتركونهم يموتون تحت الانتقاض، ويقصفون المدن والقرى والبيوت بالطائرات والمدفعية الثقيلة. فلماذا يلزم المسلمون الغياري الصمت إزاء هذه الجرائم؟»

وقد كتب الميرزا حبيب الله في تقريره أنه عند العودة إلى جدة وضع السلطان سيارته الشخصية تحت تصرفنا.^١

كان اضطراب الأوضاع السياسية في الحجاز سبباً جعل الحكومة الإيرانية تُحجم عن اتخاذ موقف واضح في دعم أحد الفريقين.

هناك في هذا المجال ثلاثة أمور ينبغي الإشارة إليها وهي كالآتي:
أولاً: أن إيران على الصعيد العملي لم تكن قادرة على القيام بعمل معين، وذلك لأن إيران من الناحية الجغرافية لم تكن بالنحو الذي تستطيع فيه التدخل في بلاد الحجاز. بالإضافة إلى أنها أساساً لم تكن راغبة في مثل هذا التدخل.

ثانياً: أن دولة الشرفاء لم تكن قويّة، ولهذا السبب لم يكن دعم هذه الدولة واضح الأفق.

ثالثاً: كانت الحكومة البريطانية و بعض دول أخرى قد أعلنت عن دعمها لحكومة إمارة نجد، وكانت هذه قضية ذات أهمية بالنسبة إلى إيران.

نحن نعلم طبعاً أن حكم الشريف علي في نهاية الأمر قد سقط، وأصبحت جدة والمدينة أيضاً تحت نفوذ السلطان عبدالعزيز، وتأسست

١. اسناد روابط سياسى ايران و عربستان سعودى [= وثائق العلاقات السياسية

الإيرانية السعودية]، : ٥٣ - ٥٤ .

دولة واحدة تمتد من نجد إلى الحجاز. وكانت هذه التطورات قد وضعت إيران أمام ظروف جديدة؛ إذ أن هذه الحكومة قد اعترفت بها دول مثل الاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وفرنسا.

في السادس من جمادى الأولى من عام ١٣٤٤هـ (٢٣ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٢٠م) سلّم الشريف علي جدّة إلى السلطان عبدالعزيز وتوجّه إلى العراق. وكانت المدينة المنورة قد استسلمت له قبل ذلك التاريخ بعدة أشهر.

قضية الحج في عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م وموقف الحكومة الإيرانية

كان انعكاس أخبار أحداث مكة والمدينة في العالم الإسلامي ومن جملة ذلك إيران، قد أثار موجة من الاعتراضات، وقد انعكس ذلك في عدم السماح بالذهاب إلى الحج في ذلك العام، أي عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م). إذ يبدو أن السلطان عبدالعزيز قد أرسل برقيات إلى مختلف أرجاء العالم ومنها إيران، وذلك في عام ١٣٤٤هـ أكد فيها أن الظروف مؤاتية لأداء مناسك الحج، ووصف الإشاعات التي أثيرت في هذا المجال بأنها إشاعات مغلوطة.

فيما يلي نصّ البرقية التي أرسلها إلى الحكومة الإيرانية:

إنّ بلاد الحجاز بفضل الله في أمن وأمان من أَدْنَاهَا إلى أَقْصَاهَا، والناس في حريّة تامّة لأداء مناسك الحج وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله. ونحن بحول الله وقوّته نضمن رفاه الحجاج وراحتهم منذ

لحظة دخولهم إلى الأراضي المقدسة في الحجاز إلى حين مغادرتهم، وكل ما نقله لكم أعداء الحق لا أساس له من الصحة؛ لأن أهم أهدافهم هو تعطيل الشعائر الإسلامية وتحقيق أهدافهم ومآربهم النفسية والإساءة إلى أهالي الأراضي المقدسة.^١

وقد أصدر مفتي مصر بياناً في هذا المجال أفتى فيه بالتحريم، وتبعته بعض البلدان على هذا الرأي أيضاً. وهنا بعث سلطان نجد رسالة إلى مختلف البلدان، ومن ذلك أنه بعث رسالة إلى القنصل الإيراني في دمشق، يبين فيها استقرار الوضع الأمني في مكة والمدينة ووعد فيها بما يلي: «إن جميع حقوق زائري مكة المكرمة محفوظة وسنوفر لهم مستلزمات تسهيل سفرهم عن أي طريق كان». وكانت هذه الرسالة قد أرسلت إلى القنصل الإيراني في دمشق عن طريق قنصل سلطان نجد في دمشق، وكانوا قد أوردوا فيها مضمون بيان سلطان نجد بتاريخ ١٧ شعبان من عام ١٣٤٤هـ.

طُرحت هذه المستجدات في اجتماع مجلس الوزراء في إيران، وتقرر عدم إرسال الإيرانيين إلى الحج في ذلك العام. وكان نص القرار الذي أصدره مجلس الوزراء في إيران:

١. اسناد روابط ايران و سعودي : ٦٥.

«من اللازم أن نبين لعموم أبناء الشعب الإيراني أن الحكومة الإيرانية تشعر بالقلق على أمن وراحة المحتاج الإيرانيين، وتدعو أبناء الشعب الإيراني إلى الامتناع عن الذهاب إلى الحج في هذا العام».

٢١ شعبان ١٣٤٤هـ (٦ آذر ١٩٢٦م).

استمر الوضع على هذا الحال، وأصدرت الحكومة الإيرانية بياناً مفصلاً بتاريخ ١٢ ذي الحجة ١٣٤٤هـ (٥ حزيران ١٩٢٦م)، أعلنت فيه رسمياً عن احتجاجها على الأحداث التي وقعت في الحجاز^١.

وقد جاء هذا البيان رداً على الموقف الذي حصل في المدينة المنورة وبحكم قاضي هذه المدينة بتاريخ الثامن من شوال، الذي هُدمت بموجبه الأبنية التي كانت فوق قبور الأئمة (عليهم السلام) في مقبرة البقيع. كان الغضب الذي اجتاح إيران احتجاجاً على هذا العمل في الحد الذي دفع الحكومة الإيرانية والمجلس النيابي إلى مسيرة جماهير الشعب. واستناداً إلى ما جاء في الكثير من الوثائق الكثيرة المحفوظة في منظمة الوثائق الوطنية الإيرانية، أنه انطلقت في معظم المدن الإيرانية تظاهرات وحشود احتجاجاً على ذلك العمل.

كانت تلك الاحتجاجات على درجة من الشدة بحيث أنها أرغمت سلطان نجد على تقديم تطمينات إلى الإيرانيين، طالباً منهم عدم تعطيل

١. جاء نصّ هذا البيان في: اسناد روابط ايران وعربستان : ٦٧ - ٦٨.

الحج. وعلى إثر ذلك كتب ممثل حكومة نجد في دمشق رسالة إلى القنصل الإيراني في دمشق، قال فيها:

«إنّ الحكومة الإيرانية المعظمة ورعاياها إذا أرادوا أداء مناسك الحج في هذا العام، من أي موضع ومكان، عليهم أن يعلنوا عن ذلك؛ لأنّ سلطان نجد تحدوه رغبة عارمة وميل فائق لتوفير مستلزمات الرفاهية والراحة لرعايا هذه الدولة السامية وتأمين متطلّبات سفرهم في الحجاز..... وإني أعلن لجميع إخواني المسلمين أنّ جميع العراقيل والمصاعب والمضايقات التي أوجدها الشريف حسين في الأماكن، قد انتهت وأزيلت وأنّ أبواب الحجاز كلّها مفتوحة لكل من يرغب في السفر إليها»^١.

مواقف إيران وبحث عقد مؤتمر لمثلي البلدان الإسلامية في مكة قبل عدّة أشهر من حلول عام ١٣٤٤هـ وحتى أواخر حكم الشريف علي، طرحت عدّة مرّات فكرة عقد مؤتمر لمثلي البلدان الإسلامية لمناقشة أوضاع الحجاز وقضية الحكم والخلافة وشؤون الحجاج. هذا الطلب المطروح من قبل المسلمين كان قد عُرض أثناء بروز الاختلاف

١. محفوظات وثائق وزارة الخارجية، عام ١٩٢٥م، الحاوية ٣٠، الإضبارة ٩،

الوثيقة ٢٢، ترجمة الوثيقة ٢٢ .

بين الشريف علي وسليطان نجد، وقد لقي قبولاً لدى كل واحدٍ منهما، إلا أنه عقد مثل هذا المؤتمر بقيت تلفه هالة من الغموض.

في أعقاب تنحي الشريف علي وذهابه إلى العراق في جمادى الأولى من عام ١٣٤٤هـ، طرحت مرة أخرى فكرة عقد هذا المجمع (المؤتمر)، وطرحت أيضاً فكرة مشاركة مندوبين من إيران في مجمع يضم مندوبي الدول الإسلامية في الحجاز، إلا أن زمان انعقاد مثل هذا المجمع لم يتقرر، وهو ما يعني عدم إمكانية قدوم مندوبين عن إيران، وحتى المندوبون الذين قدموا من الهند، وكان من المقرر أن يصلوا إلى جدة في أيام حكم الشريف علي، لم يقابلوا بالترسيم والاحترام وذلك بسبب مواقفهم المؤيدة له.^١

التقرير الذي كتبه مندوبو الهند المسلمون حول سوء المعاملة، التي لاقوها هناك حيث ألقي القبض عليهم وعاملوهم بعنف وشدة وطُردوا من جدة، هذا التقرير ترجمته صحيفة المقطم المصرية (بتاريخ ٢٨ شعبان ١٣٤٤هـ) وأرسل إلى إيران لكي يطلع عليه المسؤولون الإيرانيون. في أعقاب استتباب الأوضاع بيد حكومة نجد، عقد مؤتمر محدود شارك فيه عدد قليل من المندوبين، وذلك بتاريخ الأول من شهر ذي القعدة

١. التقرير المرقم ٦٢٧ والمؤرخ في ٢٤ شباط، فبراير ١٩٢٦م.

١٣٤٤هـ، وكانت معظم القضايا التي طُرحت فيه تدور حول شؤون الحج، ولم تُناقش فيه مسألة الخلافة والدولة الحاكمة في الحجاز.

القضية التي تحظى بأهمية فائقة في هذا المجال هي أن إيران كان موقفها يختلف عن مواقف سائر دول العالم الإسلامي؛ وذلك بسبب اختلاف المنهج المذهبي. ففي مصر والهند كانوا يحاولون إيجاد حلّ لقضية «الخلافة الإسلامية»، في حين أن هذه القضية أي قضية الخلافة، لم تكن ذات أهمية بالنسبة إلى إيران؛ وذلك انطلاقاً من النهج الشيعي الذي تسير عليه. ولهذا السبب لم تشارك إيران في المؤتمر الذي عُقد في مصر لمناقشة قضية الخلافة. القضية التي كانت تحظى بأهمية بالغة بالنسبة إلى إيران هي قضية قبور أئمة الشيعة وغيرها من الأماكن الأخرى التي هُدمت في الحجاز بذريعة كونها بدعة.

وفضلاً عن ذلك، كان الجو العام في إيران يومذاك معبئاً ضد حكومة نجد، وكان سفير إيران في مصر يتخذ موقفاً متشائماً، ويحاول إقناع الحكومة المركزية في إيران لمسايرة مسلمي الهند والبلدان الإسلامية الأخرى في سبيل ممارسة الضغوط على هذه الحكومة وإرغامها على العمل بما عليها من التزامات، غير أن الحكومة الإيرانية كانت تعلم أنها لا تستطيع القيام بإجراء مهم في هذا المجال، والشيء الوحيد الذي كان باستطاعة الحكومة الإيرانية فعله هو قضية الحج والاستفادة من معادلة الحجاج. وفي ضوء ذلك فقد كانت وجهة نظر السفير الإيراني في مصر،

تتلخص في أن أدنى ما يمكن أن تقوم به الحكومة الإيرانية هو وضع شروط لإرسال الحجاج ليكونوا في وضع رفاهي أفضل.

جاء في هذه التوصية التي وضعها سفير إيران في مصر والتي وردت في الوثيقة المرقمة ٧٢٨ والمؤرخة في ١٧ آذار، مارس ١٩٢٦م، تأكيد على أنه لا ينبغي بأي حال من الأحوال السماح بسفر الحجاج إلى بلاد الحجاز قبل الحصول على هذه الالتزامات والتعهدات.

في التقارير اللاحقة، بدأ الكلام يدور تدريجياً حول الإجراءات الایجابیة التي بدأ اتخاذها في مكّة من أجل رفاه الحجاج؛ فمن ذلك مثلاً تخفيض أجرة نقل الحاج من جدّة إلى مكّة من ليرتين إلى نصف ليرة، ولكن في الوقت ذاته جاء كلام حول رغبة السلطان في الحصول على عنوان الخلافة لجميع البلاد العربية. ورد هذا الموضوع في صحيفة المقطم بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٤٤هـ. (١١ آذار، مارس ١٩٢٦م) نقلاً عن الدكتور وليم أليس، وهو شخص أمريكي كان يقيم مدّة في جدّة. وقد تُرجم هذا التقرير وأُرسل إلى المسؤولين الإيرانيين. وكانت الأخبار التي تنشرها الصحيفة المذكورة تُرسل على الدوام إلى وزارة الخارجية الإيرانية وهي حالياً محفوظة فيها مع وثائق أخرى.

وجاء في تقرير آخر أن أحمد اللاري، القنصل الإيراني في جدّة تكلم مع السلطان شخصياً حول إلغاء الضرائب التي كانت تؤخذ من الحجاج باسم «الأخوة»، فوعده بما يلي: «سنعمل قريباً على أن لا تؤخذ من أي

حاج رسوم للعرب الصحراويين» والمقصود من ذلك الأموال التي كانت تؤخذ من الحجاج وتُدفع إلى البدو القاطنين على امتداد الطريق. [الوثيقة رقم ٢٨، بتاريخ ١٥ شعبان ١٣٤٤هـ]. وقد كتب هذا التقرير لسفير إيران الكبير في مصر.

التقرير المذكور يستند إلى خبر نُشر في جريدة أمّ القرى بتاريخ ٦ شعبان ١٣٤٤هـ وأُعلن فيه عن لقاء السلطان مع رؤساء القبائل الممتدة على طول الطريق، وتقررت في ذلك اللقاء أربعة تعهّادات بينهم وبين السلطان. وأمّا البحث الخاص الذي أثاره القنصل الإيراني فكان يدور حول مسألة أخذ ضريبة «الأخوة» من الحجاج الإيرانيين الذين كانوا متّجهين نحو المدينة. وجاء في تقرير القنصل أنّ السلطان وعده بإسقاط تلك الضريبة عنهم. وذكر القنصل في تقريره أنّ هذا الخبر قد نُشر في العدد ٦٠ من صحيفة أمّ القرى. وكانت هذه الجريدة قد نشرت في عددها الخمسين قائمة فيها التكاليف المقررة لأي نوع الأعمال العامّة والخدمات التي تقدّم إلى الحجاج في موسم الحج، ولا يحق لأحد مخالفتها.

وفي تقرير تفصيلي آخر، تحدّث سفير إيران في مصر عن لقاءاته المباشرة مع السلطان ابن سعود. حيث كان أحد هذه اللقاءات قد جرى أثناء سفره إلى بلاد الحجاز في شهر تشرين الأول، أكتوبر من عام ١٩٢٥م. وكان عين الملك برفقة جلال السلطنة غفار. ويذكر في تقريره هذا اسم شخص يُدعى فوزان، كان قد جاءه من قبل السلطان وطلب منه

أن يعلم الحكومة الإيرانية بأن لا تتخذ مواقف متشددة. وذكر أنه بقي يسعى لمدة شهر كامل لإقامة علاقات حسنة، وبقي في صحاري الحجاز في ذلك الجو الحار، وأنه «قام بجميع ما يمكن من الجهود الخيالية والسياسية» من أجل بناء علاقات جيدة. ولكنه قال: «إن ابن سعود لم يلتزم بأي من العهود والمواثيق التحريرية التي قطعها للحكومة الإيرانية». كان هذا التقرير الذي كتب بتاريخ ٣١ آذار، مارس ١٩٢٦م، يتحدث حول إرسال مندوب من قبل إيران للمشاركة في مجمع مندوبي الدول. وقال القنصل إنه كلما سأل مستشار ابن سعود في مصر وكان اسمه حافظ وهبة «عن تاريخ انعقاد مجمع مندوبي الشعوب الإسلامية لكي يتسنى إرسال مندوب»، لم يقدم له جواباً واضحاً. وهذا التقرير يتعلق بإرسال مندوب عن إيران إلى ذلك المجمع الذي استثنيت إيران لاحقاً عن المشاركة فيه، وربما تكون قد غضبت بسبب ذلك.

في الوقت الذي كانت فيه حكومة نجد تسعى إلى إصلاح علاقاتها مع إيران، كما ذكرنا، فقد توجه عين الملك هويدا إلى الحجاز للحصول على معلومات جديدة حول مستجدات الوضع السياسي الميداني. وفي هذا التقرير كتب السفير: نأمل أن تأتي زيارة عين الملك بنتائج جيدة وأن يزول هذا الجدل والاختلاف. وكان هذا الموقف سبباً في انخفاض أعداد الحجاج القادمين من البلدان الأخرى بشكل ملحوظ في ذلك العام.

أين يكمن جوهر الاختلاف حول عقد هذا المؤتمر؟ يبدو - استناداً إلى الوثائق المتوفرة بين أيدينا - أن ما كان يدور في خلد المسلمين هو أن يجمع المندوبين عن الدول الإسلامية ينبغي أن يعقد في مكة، ويؤيد ملكية السلطان الجديد. وقد كانت هذه القضية هي نقطة الخلاف الجوهرية بين حكومة الحجاز وبين الدول والمؤسسات والمراكز الأخرى التي كانت تريد أن يكون لها رأي في تأييد سلطنة أو خلافة أمير الحجاز. وعندما بعثوا رسائل الدعوة للحضور إلى المؤتمر الذي كان من المزمع أن يُعقد في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ، قالوا فيها: إن هذه الندوة ستُعقد فقط من أجل تحسين ظروف الحج وتوفير الراحة للحجاج، ولا تتدخل في شؤون بلاد الحجاز الحالية أو المستقبلية؛ لأن هذه الأمور تخصّ ملك الحجاز وأهالي الحجاز. هذا التقرير كان قد نُشر في صحيفة المقطم بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٤٤هـ. (٣ نيسان، ابريل ١٩٢٦م).

وهذا التعهد في نظر الكثير من الدول جاء على خلاف القضايا التي كانت قد طرحت في بداية الأمر. وهذا هو ما أشارت إليه تقارير القنصل الإيراني في جدة، وتقارير السفارة الإيرانية في مصر. وفي الواقع أن ما كان يرتجيه المسلمون في الهند وغيرها من بلدان العالم الإسلامي هو أن يُعقد مؤتمر لمناقشة قضية الخلافة، غير أن النظام الملكي النجدي لم يكن على استعداد لقبول تدخل الآخرين في هذه القضية.

وجاء في تقرير آخر بعثه سفير إيران في مصر إلى طهران (وكان بتاريخ السابع من نيسان، ابريل ١٩٢٦، وبالرقم ٤٦) وتحدث فيه حول لقائه مع الشيخ رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وذكر فيه أنه كان من المقرر أن يعقد في مصر مؤتمر حل قضية الخلافة. فقال له السفير الإيراني: إن إيران دولة شيعية وتؤمن بإمامة الإمام المعصوم، فأخبره رشيد رضا أنه على معرفة بهذا الأمر وأكد له قائلاً: إن هذا المؤتمر يُعقد من أجل وحدة الشعوب الإسلامية.

يبدو أن البحث كان محتتماً يومذاك حول قضية الخلافة ومن الذي ينبغي أن يكون خليفة؟ هذا في وقت قد كان فيه الأتراك قد تخلّوا عن قضية الخلافة ولم يعد لديهم اهتمام بها. لقد فهم السفير الإيراني من حوارهم مع رشيد رضا الذي كان عضواً في لجنة الخلافة في مصر أنه كان من المقرر جعل الخلافة الإسلامية في مصر، وأن يتولّى الملك فاروق أداء هذا الدور، وإن كان البلاط الملكي في مصر غير مهتم بهذا الأمر كثيراً.

في شهر رمضان من عام ١٣٤٤هـ (نيسان، ابريل ١٩٢٦م) بقيت الحكومة الإيرانية مترددة فيما يخصّ القضايا المتعلقة بمؤتمر الخلافة، وما الموقف الذي ينبغي أن تتخذه إزاء اختلاف الآراء الموجودة في هذا المجال. وهذا ما دفع الحكومة الإيرانية إلى أن تطلب من السفارة الإيرانية في مصر تزويدها بمعلومات أدق حول هذا الموضوع. واستجابة لذلك الطلب كتب عين الملك عدة أسطر بإيجاز، وقد كانت تلك الأسطر مهمة من

وجهة نظر السفير الإيراني، وفي ضوء ما هو قائم من اختلافات منهجية ومذهبية. فكتب في تقرير يعود تاريخه إلى ١٧ نيسان، ابريل ١٩٢٦م، ما يلي:

التقيت مع سعود [الملك عبدالعزيز] وقمت بما ينبغي من المباحثات والإجراءات اللازمة. وقد أرسلت لكم بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ، برقية من أجل حضور مندوب للمشاركة في المؤتمر. ولابد أنكم قد طالتموها. وقد أصبحت حرية المذهب مفقودة في مكة المكرمة، ومنعت قراءة أدعية الاستغاثة والتوسل وزيارة القبور وغير ذلك. وهناك ضغوط تُمارس على أهالي تلك البلاد وعلى الحجاج. وحتى أن القنصل البريطاني ساخط على بعض الجوانب. وقبل عودة فدوي هدموا علانية قبر حواء في جدة. السلطان في الظاهر يعبر عن رغبته في الاستجابة والتعاون، ويقدم الوعود بأن الحجاج الإيرانيين ستكون لهم الحرية في ممارسة الشعائر المذهبية، ولكن لا ينبغي التعويل على وعوده.

كان الهاجس الرئيسي لدى حكومة نجد هو أن يكون عدد الحجاج قليلاً في ذلك العام. فقد كان حجم الإعلام المناهض لتلك الحكومة كبيراً. ولهذا السبب ولأسباب سياسية وبناءً على ما كان يُثار من شكوك حول الأمان في الطرق أو حين الإقامة في الحرمين، قد أدى إلى امتناع بعض الدول عن إرسال حجاج. ومن ذلك مثلاً أن دولة العراق المسماة في ذاك الوقت بدولة العراق و بين النهرين، أصدرت بياناً دعت فيه الناس إلى

عدم التوجّه إلى أداء فريضة الحج. وفي مقابل ذلك، كان كثير من الناس من مناطق مختلفة يسافرون إلى الحج بدون التنسيق مع دولهم. وكانت حكومة الحجاز و نجد، غالباً ما ترحب بهذه المجموعات وتحاول أن تثبت لها عدم صحّة ما كان يُنشر في هذا المجال من دعايات [وثيقة تعود إلى القنصل الإيراني في البصرة، مرقّمة ١٠٣ ومؤرخة في ٢٧ نيسان، ابريل ١٩٢٦م]. ومن إيران ذهبت مجموعة صغيرة إلى الحج، وكان الطريق المهم الذي ذهبوا من خلاله هو طريق البصرة.

متابعة إيران اللاحقة لشؤون الحجاز وقضايا الحج إلى ما قبل إقامة علاقات بين البلدين

في شهر ذي القعدة من عام ١٣٤٤هـ كانت إيران مستمرة في متابعة تلك القضايا. وكان الدافع من وراء ذلك هو أن قضية الحج - على كل حال - ستُطرح على بساط البحث مرّة أخرى استعداداً للسنة المقبلة. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الجدل الذي استمر محتدماً أيضاً على صعيد الداخل الإيراني وخاصة في مجلس الشورى الوطني، وكان ينبغي على الحكومة أن تقوم بدورها إزاء ذلك. في ذلك الوقت تشكّلت لجنة في مجلس الشورى الوطني باسم لجنة الحرمين الشريفين، وأنيطت بها مهمة متابعة هذه الأمور. وكانت هذه اللجنة تجمع كل ما تقوم به جماهير الشعب، وما يصدر عن علماء النجف، والمدن الإيرانية، وكل قرار يُتخذ وكل كلمة أو بيان يصدر في هذا المجال. إن مجموعة الوثائق التي جمعتها

هذه اللجنة تعكس الأحوال والمواقف التي أُتخذت في إيران أثناء تلك المدّة. وتلك الوثائق قيد النشر حالياً.

فمن راجع إلى الوثائق الموجودة يفهم بأنّ الأجواء السياسية في إيران صعب جداً، ولذا أصدر دولة إيران بياناً في شهر ذي القعدة من عام ١٣٤٤هـ وجه فيه انتقادات لحكومة نجد وما يصدر عنها من أقوال وأفعال ازدواجية.

وقد جاء في جانب من ذلك البيان:

«قدّمت من قبل عبد العزيز بن سعود زعيم هذه الجماعة وعود بعدم ارتكاب وتكرار مثل هذه الفجائع والاعتداءات والاستهانة الصريحة بالمعتقدات والشعائر الدينية للعالم الإسلامي. ولكن ما حصل أخيراً على أرض الواقع جاء على خلاف المتوقّع ويتعارض مع ما قطعوه من وعود، وأدّى إلى إيجاد الألم والأسى في قلوب المسلمين».

وهذا على أثر التقارير التي كانت تصل إليها من السفارة الإيرانية في مصر، أو من القنصل الإيراني في دمشق أو ممثلها في جدة.

ويبدو من ذلك أنّه لم يذهب إلى الحج من إيران في عامي ١٣٤٤ و١٣٤٥هـ. سوى عدد قليل يحصى بأصابع اليد.

ذهاب أحد علماء طهران إلى الحج في سنة ١٣٤٥هـ ولقائه بالملك عبدالعزيز والرسالة التي أعطاها إليه الملك استمر الوضع على هذا الحال طيلة عام ١٣٤٥هـ. ومع ذلك فقد سافر إلى الحج أحد علماء طهران وهو الشيخ عبد الرحيم صاحب الفصول، برفقة عدة مئات من الأشخاص، وكان هذا العمل مدعاة لسرور حكومة نجد، وحتى أن الملك نفسه عقد معه لقاءً، وقد عبّر الشيخ في هذا اللقاء عن تدمره لهدم الأضرحة في البقيع؛ فكتب له الملك رسالة، وعده فيها بإجراء إصلاحات في هذا المجال.



الشيخ عبدالرحيم حفيد آية الله العظمى الشيخ محمد حسين صاحب كتاب الفصول

وهذه الرسالة لازالت موجودة لدى أسرة العالم المذكور فى طهران، وهذا هو نصّها:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى حضرة الفاضل المحترم
الشيخ عبد الرحيم صاحب الفصول.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فإننا نؤكد لكم أن القبة النبوية لم يمسّها أحد بسوء، ولم يخطر ببالنا
قط أن نمسّها بسوء وأنّ للرسول صلى الله عليه وسلم حرمة لدينا لا
تدانيها حرمة. أما مسائل القبور وما يتعلق بها من البناء فنحن كما
أخبرناكم متّبعون لا مبتدعون ونحن مستعدون للنزول على حكم علماء
المسلمين من جميع المذاهب. وأما عدا ذلك فننظر فيه فسنأمر بتنظيف
القبور وتسوية ما لم يسوّ منها التسوية الشرعية مع إقامة سور عليها
لحفظها من الدنس. ونحن نؤكد لكم أيضاً أنّنا لا نمنع أحداً من زيارة
القبور ما دام الزائر يتبع في زيارته الطريقة الشرعية والآداب الدينية، و
قد أمرنا بتحرير هذا لتنشروه على الملاّ.

هذا ما لزم بيانه والله يحفظكم. موضع الختم

دورة فتور العلاقات بين إيران وسلطنة الحجاز ونجد (السنوات ١٣٤٥هـ - ١٣٤٧هـ - ١٩٢٦م - ١٩٢٩م)

جاء في تقرير بعثته إلى طهران القنصل العام في الشام بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٤هـ ما يلي: نظراً إلى أهمية جدة والمكانة الجديدة التي اكتسبتها في هذه البلاد، فقد طلب من طهران ما يلي: «من الآن فصاعداً ينبغي أن لا تكتفي الدولة السامية بإرسال مندوب مرة واحدة في السنة، أو مرة واحدة كل شهرين أو ثلاثة أشهر، تحت عنوان مشرف على الحجاج الإيرانيين، مع استيفاء ثلاثة تومانات للتذكرة بل إن أهمية المكان والزمان تقتضي أن تبادر الدولة السامية الإيرانية على غرار ما تفعله سائر الدول، لتعيين معتمد سياسي دائم لتكون لها مكانة ذات عزّة واقتدار في بلاد الحجاز، ليكون على اطلاع بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية دقيقة بدقيقة، وليتابع الأمور خطوة بخطوة، ويوافي مسؤولي الدولة بما يستجد من وقائع وحقائق، وأن يتولّى في الوقت ذاته مهمة الإشراف على الحجاج، والحفاظ على المصالح المادية والمعنوية للدولة الإيرانية السامية». الوثيقة رقم ٩٩١ والمؤرخة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٤هـ (٥ مايو، آيار ١٩٢٦م).

هذه الفكرة التي دعت إلى إرسال مبعوث إيراني دائم يتّخذ من جدة مقراً له، لم تتحقق طيلة الفترة الممتدة من عام ١٣٤٤ إلى عام ١٣٤٧هـ وذلك بسبب الأزمات التي سبقتها. في تلك المدة كانت حكومة نجد بصفتها

حكومة فتية، تسعى إلى حلّ المشاكل العالقة بينها وبين الحكومة المصرية ودول أخرى. ونحن واثقون أنه كانت تجري مساعٍ أخرى فيما يخصّ إيران أيضاً، إلاّ أنها كانت تتطلب مزيداً من الوقت.

على مدى السنوات اللاحقة؛ أي خلال مدّة ١٣٤٥-١٣٤٧هـ (١٩٢٧-١٩٢٨م)، أصبحت السلطة في إيران بيد الحكم البهلوي، وتمكن رضا شاه من فرض سلطته حتى على المجلس النيابي، فأنشأ بذلك حكماً مركزياً قوياً قلّما تسمع في ظلّه صوتاً للمعارضين.

ولكن هذه الحكومة أخذت تعمل من جانب آخر على تطبيع العلاقات مع دولتي العراق والنجديّة. وكانت حصيلة هذه التغييرات، بالتزامن مع استقرار الأوضاع وعودة الهدوء إلى البلاد النجديّة و الحجاز، حيث توفّرت يومئذ الظروف لتطبيع العلاقات بين البلدين.

اعترف إيران رسمياً بحكومة نجد والحجاز في عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م) الزيارة الأولى التي قام بها عين الملك برفقة غفار خان القنصل العام الإيراني في الشام في عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، لم تنجح في تحسين العلاقات بين البلدين. ولكن بعد ثلاث سنوات توجّه عين الملك إلى الحجاز مرّة أخرى، وجاءت هذه الزيارة في وقت كانت فيه إيران قد اعترفت قبل ذلك بالدولة العراقية، وأصبحت فيه الظروف مؤاتية الآن لكي تعترف إيران بالحكومة الجديدة هناك اعترافاً رسمياً.

وكما أشرنا في موضع آخر من بحثنا هذا، كانت علاقات إيران مع الدولة النجدية في هذه المرحلة، تقتصر على مجرد التنسيق فيما يخص شؤون الحجاج، وحتى أنها لم تكن في الحد الذي يسمح ببحث قضية الخلافة، بل ولم تكن هناك علاقات تجارية بين البلدين. وفي ضوء هذا الواقع صرّح عين الملك في مقابلة أجريت معه في أعقاب عودته من السعودية قائلاً: «تربطنا مع الحجاز علاقات دينية، وأبناء الشعب الإيراني يعتبرون الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج لازماً عليهم. وقد سافرت أنا إلى الحجاز لأجل التفاوض معهم لتأمين راحة الحجاج الإيرانيين وضمان حسن معاملتهم».^١

في أعقاب سفر عين الملك إلى الحجاز، قدّم وفد من تلك البلاد إلى إيران. وكان رئيس الوفد عبدالله الفضل، النجل الثاني للسلطان عبد العزيز، وذلك بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٣٤٨هـ (١٠ آب، أغسطس ١٩٢٩م). حمل الوفد رسالة من السلطان عبدالعزيز إلى شاه إيران الذي أمر في ذلك اليوم نفسه أن يُعترف رسمياً بحكومة السعودية.

١. جريده شرق نرديك و هندوستان [= صحيفة الشرق الأدنى وبلاد الهند]، العدد الصادر في ٤ مايو، آيار. راجع: روابط دولت شاهنشاهي ايران با دول حوزة مسؤوليت ادارہ اول سياسي [= علاقات الحكومة الشاهنشاهية الإيرانية مع الدول الواقعة في مجال مسؤولية الإدارة السياسية الأولى]، إعداد: الإدارة السياسية الأولى، طهران، ١٩٧٦م، صص ٦٥-٦٦.

بعد تبادل الكتب والرسائل والوثائق الرسمية في هذا المجال، جرى افتتاح السفارة الإيرانية في جدة في ٢٠ شوال ١٣٤٨هـ (٢١ آذار، مارس ١٩٣٠م).

سفر ولي العهد السعودي الأمير فيصل إلى إيران

بعد ذلك التاريخ بستتين، بدأ الأمير فيصل ولي العهد السعودي جولة في عدد من دول المنطقة بهدف توثيق العلاقات بينها وبين السعودية. وفي تلك الجولة زار إيران أيضاً. وقد نشر تقرير مفصّل عن تلك الزيارة في صحيفة اطلاعات بتاريخ الثلاثاء ٣٠ صفر ١٣٥١هـ (٤ تموز ١٩٣٢م). وأرسلت الحكومة الإيرانية كلاً من السيد غفاري معاون وزير الخارجية وعين الملك إلى ميناء بهلوي [أنزلي] لاستقباله. وقد استمرت هذه الزيارة خمسة أيام (من يوم الأربعاء إلى يوم الثلاثاء المصادف ٥ تموز)، وجرت خلالها لقاءات مطوّلة في طهران مع الوزراء ومع رضا شاه شخصياً. وعاد ولي العهد السعودي فيصل إلى بلاده عن طريق عراق العرب.

ولدينا وثائق عن هذه السنوات وإن كانت قليلة، وقد أرفقنا نسخة منها في نهاية المقالة، منها وثائق حول تعيين بعض السفراء والممثلين الإيرانيين في المملكة السعودية، ورسالة من رضا شاه إلى السلطان عبدالعزيز، هنّأ فيها على نجاته من محاولة اغتيال كان قد تعرّض لها، وغيرها من الوثائق.

ومنذ ذلك الوقت استمرت العلاقات بين إيران والمملكة السعودية على هذا المنوال، إلى عام ١٩٤٣م، حين وقعت قضية «أبوتالب اليزدي» بعد تلك الواقعة التي كانت بالغة الثمن بالنسبة إلى الحكومة الإيرانية قُطعت العلاقات بين الدولتين لمدة أربع سنوات، ولم يسافر الإيرانيون في تلك السنوات الأربعة إلى السعودية لأداء فريضة الحج، إلى أن فُتح باب المحادثات من جديد. وكان من ذلك أن الملك عبدالعزيز بعث رسالة تفصيلية إلى شاه إيران. ويعود تاريخ هذه الرسالة إلى شهر ذي القعدة من عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م).^١

بعد ذلك التاريخ ولمدة سنين، كان السفير الإيراني المفوض في مصر يتولى إدارة شؤون العلاقات بين إيران والسعودية. ولكن في عام ١٩٥٠م أي بعد ثلاث سنوات، افتتح مكتب إيران في جدة، وعُيّن عبدالحسين صديق اسفندياري سفيراً مفوضاً لإيران في السعودية، وسمحت إيران لمواطنيها بالسفر لأداء فريضة الحج بعد أن كانت قد منعت عليهم ذلك لمدة ثلاث سنوات.

١. (الوثيقة المرقمة ٦٤٨٥، الحاوية ١/ ٢٥٢ محفوظات وزارة الخارجية، عام ١٩٤٧). راجع: روابط دولت شاهنشاهي ايران با دول حوزة مسووليت اداره اول سياسي [= علاقات الحكومة الشاهنشاهية الإيرانية مع الدول الواقعة في مجال مسؤولية الإدارة السياسية الأولى]، ص ٧١-٧٢ نص رسالة السلطان عبدالعزيز وجواب محمد رضا بهلوي، ص ٧٣، من المصدر نفسه.

الوثائق :

رسالة من سلطان نجد إلى قنصل دولة إيران في دمشق في شعبان سنة ١٣٤٤هـ
رفع مشاكل الحج، في زمن محاصرة عسكر الشريف علي في جدة

الملك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية

REPRÉSENTANT DE SULTAN
NAJD
EN SYRIE
SOULEMAN MOUCHÉREH

Damas le

معتدل جلالة سلطان نجد
في سوريا
في سليمان المشيخ
١٣٤٤
دمشق في

١٣٤٤

لما حضرة صاحب السادة قنصل جنالك دولته إيران السنية دمشق وسورية المعظم
تدع سعادتكم انه ورد لدار الاعتماد من جلالة سلطان نجد خطاب عام في حدود هجرات بيت الحرم وهذا
السام المؤرخ في اليوم اربع عشر من شهر شعبان وكي يكون معلوما لدى دولتي المعظم وبعثنا فاضل كل مكان
من الذين يراهم الحج في هذا السام وبعث ان متبعينا عظم السلطان باسم رفاهية وراحة برعية ودعم
العليه وتأمين سفرهم في الحجاز فنعينهم صورة المنشور السام ليحيط به علمكم وهو كما يلي

اننا نرجب ونبتهج بقوم وفود هجرات بيت الله الحرم من كافة المسلمين في موسم هذه السنة وتكمل جوار الله تعالى
بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل امور سفرهم الى مكة المكرمة من احدى الموانئ التي يزلون
اليها وهي (الربيع) او (البشت) او (القنفذة) وقد اكتمل فيها النظام واستتب الامر استبانا تاما منذ دخلها
جيوشنا وستخذ من التدابير في هذه المراتل جميع الوسايل التي تكفل تأمين راحة الحجاج

واعلم ان كافة احوالنا المسلمين لانه لم يبق لنا شيء من كل الامور التي كان يضمها الحسين **عليه السلام**
الحريم والاقتصاد وان ابواب الحجاز مفتوحة لجميع من يريد القيام بأي عمل حريمي واقتصادي
وان الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة لتسهيل من يريد القيام بهذه الاشياء
وان جنودنا قد حصر علينا ابن الحسين وجنوده وقواه في بلدة جدة التي احاطها بالاسلاك والحصون
وقد صوب عليه جنودنا تضييما عظيما وسنخرجهم منها في وقت قريب بحول الله وقوته

لهذا صورة البلاغ السام الذي تلقيناه اعرضناه لسادتكم واقبلونا فائق الاحترام والسلام

سليم
عظم سلطان نجد
بدمشق



رسالة من قنصل ایرانی من جدة حول الشريف علي و إرادة إرسال
ممثل إلى ایران، لتوضیح موقع دولة شرفاء في الحجاز عند دولة ایران،
ورفع الإبهامات من ۲۱ ذی الحجة سنة ۱۳۴۲، ۲۴ July ۱۹۲۴ م



جنرال قونسلکری دولت علیہ ایران

الاداره

درجده

مؤرخه
م ب ج هـ ۱۳۰۳
نمبره
۳۱

مقام نشخ وزارت جلیه امور خارجه دست شریک

کرامت
در عرضی که بنده در کوروس بود از فرج حسنه که بهر دو معبد ملک حسین از بعضی از حجاج معتمرا که در سال گذشته
اهل ایله در باره ملک حسین و دولت حمایه حجاج جلب دله بودند که مت ایله ملک حسین را که بعضی از طرفداران
تعبیر کعبه بنوا کرده بود که در این امر سر و تقیم چه چیزی بهر کرد آن جلب دله بودند که بود که اندک جلب دله بود که بهر
رضی از سر تقیم را خلاص کرد آن جلب دله بودند که جلیه این را که در آنجا میخواند که اهمیت میدهم گفته بود که
بانی علوم خلاص کرد و در این امر تقیم را از راه خلاص نمود و در ضمن دهه بنده هم از یک سو که در صورتی که در این
دو طریق از دو مکتب میفرستد برادر ایله علوم دایم بنده هم جلب دله که نظیر دولتی ایله هم از علوم بنده به جای میفرستد
در دو مکتب از دو مکتب برداشت و از علوم معلوم میفرستد که در صد علوم آه میفرستد این آه در واقع است و در این
و مکتب که قبران در دو مکتب جلوه پسند بلور تقیض نظر باریک معروض است و این تجارت بنده را روزی در تمام
که اندک یک نسخه از آن که بخت آورده است بلور منتظم او را از وزارت جلیه لف تقیم سلطه سلطه محال بود
بر من ۱۳۶

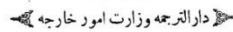


۳۱
شماره ۶
۱۷۰۶۷

إبلاغ رسالة دولة إيران من ناحية معتمد دولة إيران إلى ممثل سلطان نجد في دمشق، سليمان العلي مشيكح حتى ينتقل إلى سلطان نجد بتوقف الهجوم على قبلة المسلمين، في الحرب مع دولة شرفاء في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣، ١٣ أكتوبر ١٩٢٤م

المحمدة و عده
تأم ١٤ ربيع الأول ١٣٤٣
عرضه إلى جليلة وعظيمة سلطان نجد محمد علي الغزي ابن عبد الرحمن
السعود فلهذه ملكه ونفوه وهلك ضده
أما بعد عرض محمدكم ان سادة معتمد دولة إيران سليمان
بهشقيشتم حفر لدار الاعتماد واخبرنا بأنه ورد لجناب به رقبه
من دوتة المعظمة تخيرة لولا بان يتوسط مع معتمد فلهذه
بهشقيش ويصير عرض رجا الدولة الإيرانية المعظمة بتوقف
الهجوم عاقبة المسلمين استرقاض العالم للذكر وتحكيم
للحجة بين الدولتين ولطيف منا الجواب بلغوني امركم
وارادكم لا بلغوني إلى معتمد لكي يوضحها لدوتة والسلام
نقام والامر لواله الامر
سليمان العلي
مشيكح
سواد ميهدي كمانه امير نجد
بر امير نجد ابن سعود
رساد انزا نقضت تهر برسله فتمت

G.S. S.-160
[o A] 49c



از طرف العربین عبدالرحمن الفاضل بحاج برادر کرام افعلسین بن علی النعمان مرم دام بادت
سلام علیکم ورحمة الله وبرکاته وبع کانه لما مضی اطارات امر حوت علیه ایران بعد واصل کرد
مخصوصاً راتب زکرا از طرف مرزا ارجان علیعلی خانیه حکومت نجف باصل مشکلات بطون
مملکت برتره برترانت اقامه نمود و مدت سفارت شریف حسین بن مراد و در عهد وای و دست
نیکه بآیه و در عهد مطهر باقیب است علیک مخالفت با اصول و قواعد اسلام داشت اشتغال
مردانه و حکومت نجف بقصه فی زمانه که مال حجاز برست عالم اسلام را تصدیه کرد و امیر دارا
حکومت ایران عضو هم مجلس خواهد شد که برانست خلع خواهد کرد و امیر دارا است که انجمن
تبرکات امیر ایران است حکومت معظم تبرع آن خواهد رسید
ان شاء (سلطان نجف)

خبر من يومية «فتى العرب» المنطبعة في الشام حول وساطة دولة إيران بين سلطان نجد والشريف علي، لتوقف الحرب بينهما من ١٣ أكتوبر ١٩٢٤م

الملك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية

روزنامه فتى العرب
منطبعة في دمشق
١٣٠٤
١٩٢٤
مجلية
حكومة ايران والحجاز

بعثت وزارة الخارجية الايرانية في طهران الى سعادة قنصل الامبراطورية الفارسية الاسلامية في دمشق بترقية تقول فيها انها قبلت التوسط الذي عرضته عليها الجعديات الاسلامية لتوقف اعمال الحرب بين نجد والحجاز وطلبت من سعادة معتمدها في دمشق ان يبايع هذا التوسط الى حضرة معتمد سلطان نجد في دمشق ثم يقوم المعتمد النجدي باطلاع عظمة السلطان ابن سعود على مساهما النبيل وهي تطلب باسم الاخوة الاسلامية والجامعة المحمدية اعادة السلام في جزيرة العرب والذي علمناه ان جناب المعتمد الايراني بلغ المعتمد النجدي نص البرقية الواردة من ناظر الخارجية وسأله التوسط السريع لحقن الدماء الاسلامية ولم يتصل بنا بعد المسمى الذي قام به المعتمد النجدي ولكننا على كل حال نجد انفسنا مسوقين الى اطراء هذا التوسط الذي ظهر من جانب دولة اسلامية محبوبة لها مقامها الرفيع بين الدول الاسلامية المستقلة ونأمل من المعتمد النجدي ان لا يتريث في احاطة عظمة السلطان علي بهذا التوسط الشريف الذي جاء برهانا ناصحا على منانة الجامعة الاسلامية

خبر عن وقائع في زمن محاصرة المدينة المنورة وإصابة قبة حرم
النبي ﷺ في حملة قوى دولة نجد، من السفارة الإيرانية في لندن إلى
الوزارة الخارجية الإيرانية في ۲۳ صفر ۱۳۴۴ هـ، ۱۲ سبتمبر ۱۹۲۵ م.

میقات الحج
۴۳ - ۱۳۶۱ هـ

وزارت تجلیله امور خارجه

شماره ۵۱/۴۰۲
مورخه ۲۱/۹/۱۳۰۴
۱۹۲۵
ضمیمه ۳

تلکراف مبادله نمرة ۲۳۲ راجع بعملیات توها بیها درمکه معظمه و مدینه
منوره لرم سیتا میرمطابق با دو ازدم شهر یورماه زیارت کردید . حسب الامر
مضمون آن یسفا رتخا نه های دو لتعلیه در اروپا یسفا رتقراشکتون اطلاع داده
درجراید لندن و در اخبار (رویتق) نیز منتشر کردید . *تعلیم و تربیت*
بطوریکه در ضمن تلکراف نمرة ۳۰۲ بتاریخ ۱۷ شهریورماه بعرض رسانید
درجراید لندن افتتاحیه ریا قبه که ابن سعید سلطان نجد درجرا سلطان فرادیا دشاء
مصر مسئله بمبا ردمان و انهدام مقبره حضرت پیغمبر ص.ع. در مدینه و ماثر
اماکن متبرکه را تکذیب و مخصوصاً تصریح نموده است که وها بیها بیش از همه
رعایت احترام اماکن متبرکه را نموده و می نمایند .
در همان روز که خبر فوقی منتشر شد روزنامه (دیلی تلکراف) از قول مخبر سیاسی
خود شرحی درج کرده بود که قطعه آنهم لفاً تقدیم میگردد . بطوریکه ملاحظه
میفرمایند تلکراف مبادله فوق الذکر درمندا اثرات زیادکرده مسلانها فوقی لها
ابراز احساسات نموده و سخت بهیجان آمده اند . ازقراریکه روزنامه میسر
درمخبر واقعیه مک و اقبل از وصول تلکراف آن وزارت تجلیله کمی نمیدانست
فقط قضیه مدینه انتشار یافته بوده است . حکومت مند نظر با اهمیت مسئله
مشغول کشف حقیقت امر شده است . تصور میروند تلکراف تکذیب این معودم
برای اسکا تمیجان مسلمین در نقاط مختلفه عالم بوده است و تا اندازه م مربوط
بمسئله مندمی باشد . *مستند*

رئیس الامور
۷/۱۸

وزارت امور خارجه
شماره ۱۸
۱۳۰۴

الملك عبد العزيز في الوثائق الأميرانية



شماره ۱۵ شهر نور ۱۳۰۶

۱۳۶۶ ص ۱۲

150

[illegible]

خود
حسن الہ ہو

۱۸۵۱

[illegible]

تقرير السفارة الإيرانية في مصر حول زيارة العالم الإيراني الشيخ عبد الرحيم صاحب الفصول مع سلطان نجد في الحج من سنة ١٣٤٥هـ، وأخذ ورقة من السلطان حول البقيع. والخبر من تاريخ ١٢ محرم ١٣٤٦هـ ١٢ جولای ١٩٢٧م.



سواد

سفارت شاهنشاهی ایران در مصر
سواد جبرائیل قزاقی سرکار علی بن عبد الله

نمبره ۶۹

تاریخ ۱۲ محرم ۱۳۴۶

حضرت ابراہیمؑ اور فرما رہے تھے عیبہؑ
وہ میرا

[illegible]

امضای قبول
وکیل احمد لاری

تصوير رسالة السلطان إلى الشيخ عبدالرحيم صاحب الفصول حول
البقيع.

الملك عبدالعزيز في الوثائق البربرانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
إلى
الشيخ عبد الرحيم صاحب الفصول
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإننا نؤكد لكم ان الغيبة النبوية لم يحسن احد بسوء ولم يخطئ احد
قط ان نسي بسوء وان للرسول صلى الله عليه وسلم حرية لدية لا تدبرها حرمة امامنا ان الغيبة
وما يتعلق بها من الباطن كما اخبرناكم متبعون له مستمعون ونحن مستمعون للمازول على حكمه على المسان
من جميع المذاهب وما عدنا ذلك فنستظرف فيه وسنأمر بتطهير القصور ونسوية ما لم يسوفها التسوية
الشرعية مع قامة سور على ما خطه من الدرس ونحن نؤكد لكم ان هذا انما لا تمنع احد من زيارة القصور
التي يشيخ في زيارتها الطريقة الشيعية والادبانية والدينية وقدمنا بالخير لهذا التشويه على الملأ بعد ما
سأله الله يحفظكم

الأخبار حول بداية المذكرات الإيرانية و الدولة النجدية الحجازية حول
تجديد العلاقات في سنة ١٣٤٨هـ ، ١٩٢٩م.

الوفد السعودي في المفوضية الإيرانية



زار الوفد النجدي الحجازي المسافر الى ايران والمقيم الان في القاهرة —
المفوضية الإيرانية والصورة تمثل الوفد مع رجال المفوضية وهم من اليمين
الى اليسار:

الصف الاول — اصحاب العزة ميرزا مهدي بك رفيع مشكي . الشيخ
فوزان السابق معتمد الحكومة الحجازية بصري . الشيخ عبد الله الفضل
رئيس الوفد الحجازي . حسن خان بير ظفر النائم باعمال المفوضية الإيرانية
الشيخ محمد عبدالرواف معاون الوفد

الصف الثاني — ميرزا ابو القاسم افندي قليستانه من رجال المفوضية
الإيرانية . محمد رضا افندي سكرتير الوكالة الحجازية . ميشيل بك وايس
سكرتير المفوضية

مما
عمل
سعة
كل
الى
عات
ل ان
نظار
وموا
نير
كومة
الى
في
جنسية
نقل
حياء
حتى
صفحة
ادق

ترجمة صفحة من جريدة الوطن المنطبعة في بغداد حول اعتراف
دولة إيران لدولة الحجاز، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ ، ٢٥
أغسطس ١٩٢٩ م.



٥١

نم

(دار الترجمة و زارت امور خارجه)

ترجمة العربية الوطن منطبعة بغداد مودخه ٢٠ ربيع الاول ١٣٤٨ مطابق ٢٥
شعبان ١٣٤٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بمادة سكرافات بيني پادشاه عرب و پادشاه ايران
دولت ايران حكومت جديد را كه به عبدالعزیز آل سعود در حجاز و نجد تأسيس نموده است
و اعلمت رضا شاه پهلوي در اين باب سكرافتي بملكه مخبره فرموده است
در واقع بعد از مته مائي كه فراهم شده بود و بعد از مسافرت مسيون حجاز بطهران
كه حامل نامه پادشاه جزيره العرب برار و ارث تاج و تخت اكا سره بود و برار است
بتقصد بطهران رفت انتظار ميرفت كه دولت ايران حكومت حجاز و نجد را بشناسد
و انون كه اين تقصد بجهول است انتظار ميرود كه معاينه دولت بيني ملكيتي نيز
منعنه گشته و تبادل نامه گان سياسي بين طرفين بر طبق قوانين و احكام بين المللي
آيه

موايد لازم نيست بگوئيم كه مركز اين مذاكرات فراهم بود و نمائنده ايران
به انجام فراهم رفت و احتمال قبول ميروند كه جيب الله خان عين الملك قوسل ايران
در طيه سوريه و فلسطين كه در ماه شردن گذشته حامل نامه اعلمت پادشاه ايران

ل ١٩٠



(دارالترجمه وزارت امور خارجه)

مورخه

ترجمه

براساس عهده العزیز بود و مسمیات این شناختن را فراهم کرد بر این منظور
خواهد شد. زیرا مشارالیه کامه باین قضایا آگاه است و عداوه برانند
مملکت را بخودی میدانند و معتمد سید عهده العزیز و رجال حکومت حجاز است و شخصاً
نزد آنحضرت است و بدیهی است که تعیین او باین سمت مستند بطور دلتوا
عمل و تسویه میباشد و در بعضی مقامات گفته میشود که پس از ایجاد روابط
مکرر و حصول توافق نظر بر این مبنای دلتواست که مشارالیه را عینی لکند و نماینده
در مت ایران در حجاز خواهد بود

تصور نمیرود که اختلاف نظر بین حجاز و مت ایران موجود است که متابع باشد
و بحث و گفتگو باشد زیرا از موقعی ترین منابع با مطلع است که در مسافر
عین المکده به حجاز کاملاً توافق نظر بین ادو کسب خارجیه حجاز است و ساد و فرد
همه انرا اداره نمایند حاصل شده است و همان توافق سیاسی معاهده جدید خواهد بود
و بهترین مواد این است که نسبت به تبعه ایران که بران اداء از نصیب
حجاز میروند همان معامله را بنامینه که باتباعه دول کامه الوداد را بنامینه

(نوعه ۸۸)



(دارالترجمة وزارت امور خارجه)

مورخه

ترجمه

و كما اننا را آزاد منذهب داده ~~حکومت~~ در اقامه شعاع مذهبی ما دانستیم
نباشد هیچ مانع در بعد از ایجاد نشانی و منظور میاید و نشانیگان سیر
بر اصول مساوی که معنی باشد یعنی همان حقوقی را که نشانیه سعودی در علم آن
فدایه داشت نشانیه ایران درجه از عین همان حقوق منتهی خواهد بود
و به هر است که عهده این قرار داد ~~همین~~ معنی که طرفین تصدیق یافته صورت
فدایه گرفت

خبر تعيين ميرزا حبيب الله خان هويدا كممثل إيراني (شارژدافر)
في مملكة نجد والحجاز، في ١١ رمضان ١٣٤٨هـ ، ١٠ فورية ١٩٣٥م

باتائیدت خداوند متعال
پهلوی شاهنشاهی ایران

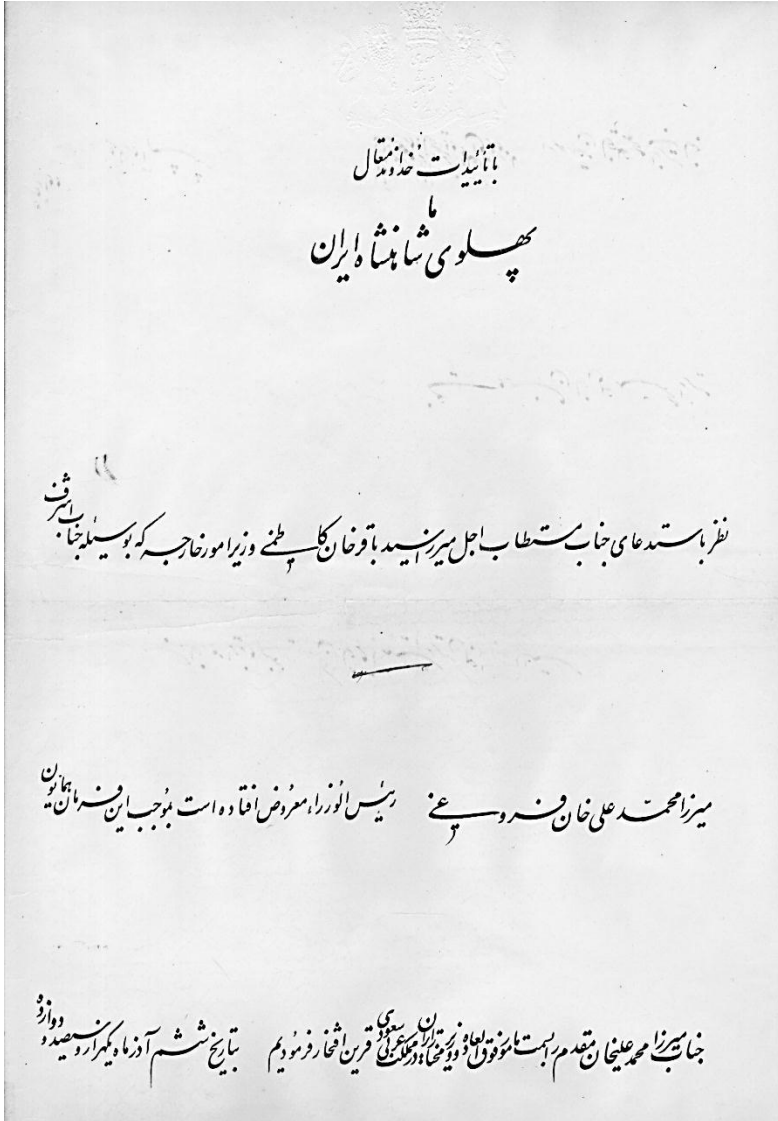
نظر بر این خدمت و مراتب میرزا حبیب الله خان جویدان نظر بسته عای جانبی مطالب ایل میرزا محمد علی خان فرزندان خان

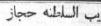
کہ ہوسیلہ جناب اشرف مہدی علیہ السلام ایسی باتیں لیں اور اس موضوع کا دہشت گردی کا بوجھ ان فرمان جہاں سالار

بسم الله وافراني الامم في ملكها خلد وحيث قرين افغان سرمد موم
تاریخ ۲۱ بهمن
با کمال و پویا

تعيين ميرزا محمد علي خان مقدم كممثل خاص والوزير المختار الإيراني
في السعودية في ۹ شعبان ۱۳۵۲هـ ، ۲۷ نوفمبر ۱۹۳۳م

الملك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية





در انگلستان نیز چند روزی پس از سقوط
و آزادسازی هلند و آفریقا به ایران و آلمان
و عمان و لبنان و یمن و عراق و سوریه
مشارکت می‌نماید و در همه جا از آنها پذیرای
بند می‌آید.
پس از آن که تحت توف در آن
ایالت سلطنت جیمز بیرون خود از آن
املاک و با خود بزم ایران حرکت می‌نماید
و مدار ظهر روز چهارشنبه وارد بندر
میگردد.
مشارکت نایب السلطنه جیمز به اروپا و
ایران از لحاظ دولت توسط دولت دومی
بود و از همین جهت روز ۱۵ فروردین
اروپا توسط دولت را به سلطنت خود جلب و
نسبت به بهادران دودمانی دوست دارد مذاکره
می‌نماید.

[illegible][illegible][illegible][illegible][illegible]

رسالة شاه ایران إلى الملك عبدالعزيز:

نونه ۳		وزارت امور خارجه	
نمرة ضبط	موضوع مسوده	مضمیمه	مستول یا کتوبیس
نمرة	اداره		
دوسیه	تاریخ تحریر	تاریخ با کتوبیس	تاریخ ثبت و خروج
	۱۳		
عنوان مسوده			
ملایک حاکم محمد العزیز پادشاه محکم عرب سعودی از سه صدی که نسبت به این ملایک است به بد نهایت آغوش پذیرا شد و چون بجهت به که نسخه بجهت کمال خود خود دست و پا عمران ملایک را از خداوند بخت دارم نماز و دعا			

میقات الحج : ۴۲ - ۶۳ هـ ۱۴۱۱

رسالة الملك عبدالعزيز إلى شاه إيران :

الملك عبدالعزيز في الوثائق الإيرانية

اداره
 نمونه (۶)
 وزارت امور خارجه
 وزارت اداره که اصل آن بنمره ثبت شد
 سواد نمره مورخه
 تلگراف از من
 جلالت شاه رضا شاه پهلوی المعظم
 از تبریکات آن اعلیحضرت بمناسبت عید جلوس اینجانب متشکروم و ام رفعت
 و مساعدات آن اعلیحضرت را خواهم
 عبدالمعزیز

رسالة السفارة الإيرانية في السعودية إلى الوزارة الخارجية الإيرانية
حول لقاء السفير مع السلطان بعد الحج، في ١٩ محرم سنة ١٣٥٤هـ،
٢٣ آو ريل ١٩٣٥م.

بنارنج ۱۳ فروردین ماه ۱۳۱۲

نمره ۲۵

ضمیمه ۱

موضوع عبارت ۱۵ ماده ۱۰۰ فروردین



سفارت شاہنشاہی ایران
در مملکت عربی سعودی

وزارت جلد ۱، سرفارم

[illegible]
$$\frac{0.2}{18/2/5} \text{ cm}^3$$

٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ ، ٩ نوفمبر ١٩٥٣م

بسم الله الرحمن الرحيم



کل من علیها فان ویبقی وجه ربک ذو الجلال والاکرام سبحان الحی القیوم الذی لایموت۔
باکمال تأسف وناقلی اندوہناک وفات اعلیحضرت ملک عبد العزیز بن عبد الرحمن آل سعود
راکہ در ساعت چہاروسی دقیقہ صبح دوشنبہ دوربیع الاول ۱۳۷۳ مطابق ۹ نوامبر ۱۹۵۳
کہ بر اثر بیماری مدت یکماہ بستری بود برحمت ایزدی بیوست بجهان عرب واسلام اعلام میداریم
خداوند اورا مشمول رحمت خود قرار ودر جنات مسکن دهد وصبر وشکیبائی بملت عطا فرمایند
وانا لله وانا الیه راجعون ۔

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارت خارج
سفارت عربستان سعودی
تهران

وزارت خارج
امپراتوری ایران
طهران

الرقم ١١١٠/٢/٧٣

التاريخ ٧٣/٢/٢ - ١٩/٨/٣٢

سفارت پادشاهی عربی سعودی با اظهار تعارفات خود بوزارت امور خارجه شاهنشاهی ایران احتراماً باستحضار میرساند که بزرگواران اعلیحضرت عبدالعزیز ابن عبدالرحمن الفیصل آل سعود پادشاه کسور عربستان سعودی ویر از اجتماع افراد خانواده جلیل سلطنتی در اطراف جسد طاهر فقید همگی از انجا خارج شدند و با الاحضرت امیر سعود بن عبدالعزیز ولیعهد معظم دایر بر سلطنت ایشان بر کسور عربستان بر اساس اطاعت خداوند متعال و پیغمبر اکرم مبايعت کردند و بنام اعلیحضرت ملک سعود بن عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفیصل آل سعود پادشاه کسور عربستان سعودی نامیده شد . و در اثر آن اعلیحضرت ملک سعود بن عبدالعزیز معظم برادر خود را والاحضرت امیر فیصل بن عبدالعزیز به ولایت عهدی تعیین و کلیه افراد خانواده جلیل با آن مبايعت نمودند . موقع را برای تجدید احترامات فائقه خود مغتنم می‌شمارد .

تهدی المفوضیه الملكية العربیة السعودیة تحیاتها الی وزارة خارجیه الامبراطوریة الایرانیة - و تشبیر بآفادتھا بأنه علی أثر وفاة صاحب الجلالة الملك عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفیصل آل سعود ملک المملكة العربیة السعودیة و التفاف افراد الاسرة المالکة الکریمة حول جثمانه الطاهر خرجوا من عنده و بايعوا حضرة صاحب السمو الملكي و لو العهد الامیر سیعود بن عبدالعزیز المعظم ملکاً علی البلاد العربیة السعودیة علی طاعة الله و رسوله و السمع والطاعة فنودی بجلالته حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزیز بن عبد الرحمن الفیصل آل سعود ملک المملكة العربیة السعودیة و علی أثر ذلك أعلن حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزیز المعظم ولایة عهده لایه حضرة صاحب السمو الملكي الامیر فیصل بن عبدالعزیز كما بايع سموه علی ذلك افراد الاسرة المالکة الکریمة . و تنتهز هذه الفرصة لتعرب للوزارة عن فائق احترامها .



وزارة خارجیه الامبراطوریة الایرانیة
المختومة

وزارت امور خارجه شاهنشاهی ایران

خبر دعوة دولة إيران من الأمير سعود لزيارة إيران
في ١٦ رمضان ١٣٧٢هـ ، ٣٠ May ١٩٥٣م.

روزنامه اخبار ايرانيوم چاپ مصدق شنبه ١٣٣٧/٣/٨ موع

أزمة دبلوماسية بسبب زيارة الأمير سعود لايران

طهران - من موسى صبرى :

وجه شاه ايران دعوة الى سمو الامير سعود لزيارة ايران ،
والاقامة فى ضيافة الشاه . وإبرق وزير المملكة السعودية
فى طهران ، بهذه الدعوة الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ،
ثم تلقى الرد بأن سمو الامير سعود قد قبل الدعوة ، وسيلبىها
بإذن الله فى اقرب وقت . واعتبر القصر الملكى فى ايران ،
هذا القبول ، كانه اعتذار من عدم القبول ، لانه لم يحدد
موعد وصوله الى ايران .

ونارت أزمة ..

ولكن الاستاذ الرفاعى وزير الاردن فى طهران ، وهو
دبلوماسى واسع النفوذ فى العاصمة الايرانية ، وله صلات
وثيقة عديدة بمختلف الجهات .. تدخل بين الامر والمفوضية
السعودية واستطاع ان يحل الازمة ..

وارسل الوزير السعودى ، برقية الى سمو الامير سعود ،
يوضح فيها الموقف ، ويبتسم منه تحديد موعد الزيارة ..
وجاء رد الامير سعود ، بتحديد موعد الزيارة بعد شهر
ونصف شهر ، وطلب فى الرد أن يوافق برنامج الزيارة ..

ونارت أزمة ثانية .. اذ اعتبر أن قبول الدعوة مشروط
بهوافة سموه ببرنامج الزيارة ..

وتدخل الاستاذ الرفاعى وزير الاردن مرة ثانية ..
واستطاع أن يزيل سوء التفاهم الذى نتج من اللبس فى
فهم عبارات البرقية ..

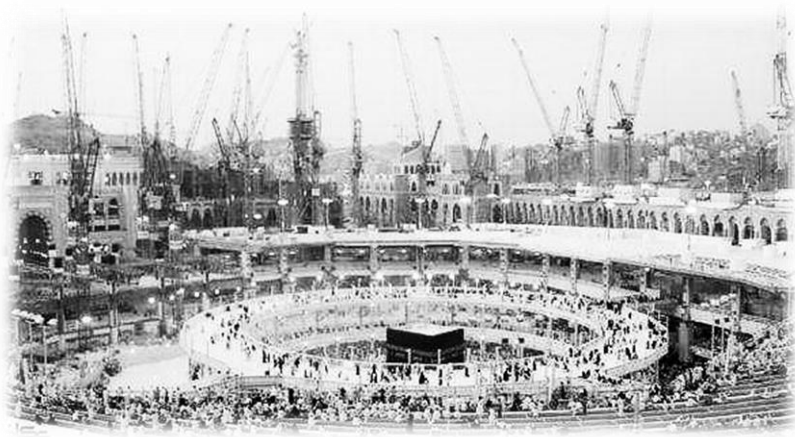
ثم اجتمع ابوالقاسم أمينى وزير القصر ، بالوزير السعودى ،
وزيد الاردن ، وتم التفاهم على كل التفاصيل المتعلقة
بزيارة الامير .

لقاء علماء طهران مع الأمير سعود...



أخبار الحرمين الشريفين

١- صبّ قواعد المرحلة الثالثة لتوسعة المطاف



أنهت الشركة المنفذة لمشروع الحرم المكي لرفع الطاقة الاستيعابية لصحن المطاف بالحرم المكي الشريف أعمال إزالات الحفر ضمن المرحلة الثالثة للمشروع، وذلك في المنطقة الأولى أمام توسعة الملك فهد مع

استمرار أعمال الإزالات والحفر في المنطقة الثانية من جهة الصفا. وأوضح المهندس محمد الوقداني وكيل إدارة المشاريع في الرئاسة العامه لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي لـ«عكاظ» أنه بانتهاء أعمال الإزالات والحفر في المنطقة المحاذية لتوسعة الملك فهد بدأت الشركة المنفذة للمشروع وضع أساسات القواعد الحديدية حسب الجدولة الزمنية التي تمّ الاتفاق عليها. وقال:

إنّ المشروع يسير حسب ما خطط له ولم يسجل أي يوم تأخير بحمدالله، مبيناً أنه سيتم صبّ الخرسانات خلال هذا الأسبوع أو مطلع الأسبوع المقبل كأقصى موعد، حيث إنه تمّ الانتهاء من أعمال حديد الأساسات بالشريحة الأولى. والشريحة الثانية جاهزة لتنفيذ أعمال الحديد تمهيداً للبدء في صبّ خرسانة أعمدة المرحلة الثالثة لتوسعة المطاف. وأشار الوقداني إلى استمرار أعمال الإزالات والحفر في المنطقة الثانية من المشروع من جهة الصفا، موضحاً أنه سيتعين استيفاء المتبقي من أعمال الإزالة في غضون الأسبوعين المقبلين، ومن ثم مباشرة أعمال القواعد والأساسات التي خضعت لدراسات مستفيضة.

العكاظ - الثلاثاء ١٤٣٦/٠٣/٠٨ هـ - العدد : ٤٩٤٤

٢ - ١٢٥ باباً لاستقبال المصلين بالحرم في موسم العمرة

هيأت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ١٢٥ باباً تؤدي إلى المسجد الحرام وسطحه وقبوه، واستعدت بأكثر من ٤٧٥ موظفاً وموظفة من الرسميين والمؤقتين المؤهلين علمياً وعملياً لتقديم الخدمات لقاصدي المسجد الحرام في موسم العمرة.



وأوضح مدير إدارة الأبواب بالمسجد الحرام عبدالله بن مهنا الطميح، أن أبواب المسجد الحرام زودت بلوحات رقمية إرشادية تضيء باللون الأخضر حال وجود إمكانية لدخول المصلين وتضيء باللون الأحمر حال اكتمال الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام، ونظراً لبدء أعمال

المرحلة الثالثة والأخيرة من مشروع زيادة الطاقة الاستيعابية للمطاف فقد خصص باب السلام للجناز.

وأبان أنه خصص ١٧ باباً لذوي الاحتياجات الخاصة وهي: الملك فهد، عرفة، قريش، الصفا، المروة، القرارة، السلام، قريش، ٦٤، ٧٤، ٨٤، ٩٤، مصاعد الصفا، مصاعد سلم الأرقم، مصاعد سلم المروة، مصاعد سلم القرارة، مصاعد سلم مراد، وذلك لتسهيل عملية دخولهم وخروجهم وتقديم الخدمات التي تعينهم على أداء نسكهم بكل أريحية وطمأنينة. وأشار إلى أن منسوبي الإدارة يساهمون في تحقيق انسيابية الحركة وتوفير الجو المناسب لأداء العبادة والنسك.

وأهاب بقاصدي المسجد الحرام ضرورة التعاون مع العاملين في الأبواب والإسهام في المحافظة على نظافة ووقسية المسجد الحرام والاستفادة من صناديق الأمانات التي وضعت لحفظ الأمتعة، مشيراً إلى مراعاة عدم الدخول إلى المسجد الحرام وقت خروج المصلين بعد الصلاة مباشرة لما يسبب ذلك من اختناقات، وعدم عرقلة الحركة بدخول عربات أخرى غير عربات ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المسجد الحرام.

العكاظ - الأربعاء ١٤٣٦/٢/٤ هـ العدد : ٤٩١٠

٣ - تسليم مفتاح الكعبة إلى كبير سدة بيت الله الحرام

تسلم الشيخ الدكتور صالح بن زين العابدين آل شبيبي كبير سدة بيت الله مفاتيح الكعبة المشرفة، باب التوبة، ومفتاح مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام البارحة الأولى، من عبدالله آل شبيبي نجل الشيخ عبدالقادر بن طه آل شبيبي في مراسم تسليم خاصة أقيمت ثالث أيام عزاء الفقيد كبير سدة بيت الله الحرام السابق.

وقام عبدالله آل شبيبي بتسليم المفاتيح إلى كبير سدة بيت الله وسط حضور رسمي من أسرة آل شبيبي، الذين دعوا للفقيد بالرحمة والمغفرة، وبالعون والساداد لكبير سدة بيت الله الحالي الدكتور صالح آل شبيبي.

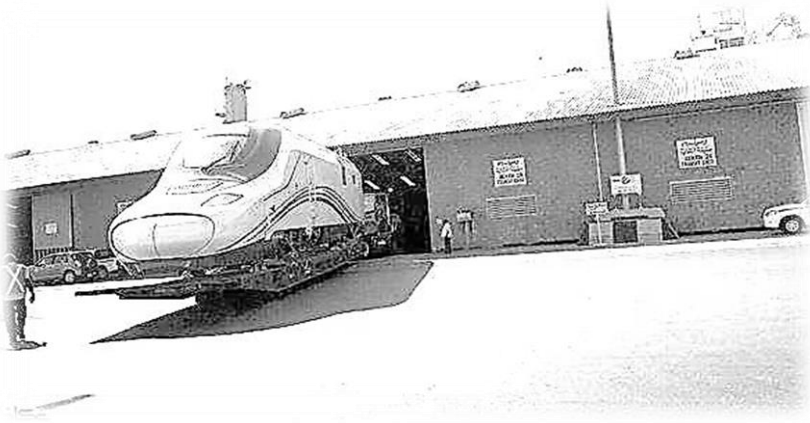


وقال الدكتور صالح آل شبيبي بهذه المناسبة: «أسأل الله أن يلهمني مزيداً من الشكر والحمد على تولي زمام السدانة وخدمة الكعبة المشرفة وبيت الله الحرام، وأحمد الله رب العالمين على ذلك فالمناسبة طيبة ومؤلمة

في نفس الوقت لوفاة كبير سدنة بيت الله الحرام الشيخ عبدالقادر آل شيب، إلا أنها طيبة أن أتولى سدانة بيت الله الحرام وخدمة الكعبة المشرفة كابراً عن كابر كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول عندما فتح الكعبة المشرفة أعطى السدانة ومفتاح الكعبة المشرفة إلى جدنا عثمان بن طلحة، وقال له: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، وقال ﷺ أيضاً: «يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فخذوها بأمان الله». وأضاف: «أنا اليوم لم أكن في مقام هذا الصحابي الجليل إلا أنني استلم المفتاح وسدانة البيت الحرام بعد الفقيه الشيخ عبدالقادر آل شيب، وأدعو الله العليّ القدير أن يلهمني الشكر على هذه النعمة وأن يديمها علينا كما وعدنا بها الرسول ﷺ إلى يوم القيامة».

٤- إنزال قطار الحرمين

تمّ بميناء جدة الإسلامي وصول السفينة سيئاء الإيطالية المحملة بقطار الحرمين، وفقاً لما انفردت به «عكاظ»، حيث تم إنزال القطار مسحوباً من السفينة.



وتتراوح عدد العربات من ١٣ - ١٥ عربة وكبينة رئيسة، ومن ثم سيتم تخزين القطار لحين وضع الترتيبات الخاصة بنقله عبر الشاحنات إلى المدينة المنورة، استعداداً لتركيبه على المسار المخصص له من القضبان لتتم عملية التشغيل التجريبي له، التي المرجح أن تكون مع أوائل العام

الميلادي الجديد ٢٠١٥م، على أن يتولى ذلك ائتلاف الشعلة من خلال ١٢ شركة إسبانية تقوم بالتشغيل التجريبي، كما سيقوم الائتلاف بإنشاء معهد متخصص لتدريب الشباب على أعمال صيانة القطار.

جريدة العكاظ - الأربعاء ١٤٣٦/٠٣/٠٢ هـ - العدد : ٤٩٣٨

٥ - توسعة المسجد الحرام تستوعب مليوني مصلٍّ

تسارعت وتيرة العمل في مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرم المكي وحن المطاف، وتشغيل مبنى التكييف المركزي لمشروع وقف الملك عبدالعزيز، فيما ينفذ العمل خلال ثلاثة محاور رئيسية، أولها توسعة الحرم المكي ليتسع لمليون مصل، وثانيها الساحات الخارجية وتحوي دورات المياه والممرات والأنفاق والمرافق الأخرى المساندة، ما يعمل على انسيابية الحركة ودخول وخروج المصلين

والمعتمرين والحجاج، وثالثها منطقة الخدمات والتكييف ومحطات الكهرباء والمياه وغيرها.

ويشمل المشروع توسعة ساحات الحرم من جهة الشامية بداية من باب المروة وانتهاء عند حارة الباب وجبل هندي بالشامية وطلعة الحفائر من جهة باب الملك فهد.

كما تضمن المشروع توسعة صحن المطاف ورفع طاقته الاستيعابية بهدم التوسعة العثمانية وتوسيع الحرم من الجهات الثلاث وقوفا عند المسعى وتوسعة الحرم من جهة أجياد.

ومن المقرر، بعد تشغيل مبنى التكييف المركزي لمشروع وقف الملك عبدالعزيز، تغذية تكييف الحرم من هذا المشروع وهدم المبنى القديم للتكييف.

وكان تنفيذ مشروع توسعة الساحات الشمالية للمسجد الحرام، تشمل إضافة ساحات شمالية للحرم بعمق (٣٨٠) متراً تقريباً وأنفاق للمشاة ومحطة للخدمات بمساحة ٣٠٠ ألف متر مسطح يدخل الحرم المكي الشريف مرحلة تاريخية جديدة في بنائها.

ويشهد موقع المشروع لتوسعة المسجد الحرام حالياً ورش عمل مكثفة على مدار الساعة لإنجاز أكبر قدر ممكن من توسعة الساحات الشمالية والجنوبية ودورات المياه الجديدة، ويتضمن المشروع الجديد

إنشاء شبكة طرق حديثة مخصصة لمركبات النقل منفصلة تماماً عن ممرات المشاة.

كما يتضمن المشروع مهامب للطائرات لعمليات إخلاء المرضى ونقلهم إلى المستشفيات بعيداً عن اختناقات الشوارع في وقت الذروة، وتحديدًا في موسمي رمضان والحج، وأنفاق داخلية مخصصة للمشاة مزودة بسلام كهربائية تتوفر فيها جميع معايير الأمن والسلامة، وسط منظومة متكاملة من الخدمات التي تساعد على سهولة الحركة والانتقال من وإلى الساحات الشمالية والغربية بعيداً عن الحركة المرورية، ما يوفر مصليات جديدة واسعة. وتلبي التوسعة جميع الاحتياجات والتجهيزات والخدمات التي يتطلبها الزائر مثل مبردات المياه لزوار بيت الله الحرام، فضلاً عن تطبيق الأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات وأنظمة المراقبة الأمنية، إلى جانب تظليل الساحات الشمالية.

وكشفت لـ«عكاظ» مصادر عن أن سطح مبنى التوسعة الجديدة للمسجد الحرام والساحات الشمالية يتضمن مواقع لمهامب الطائرات المروحية، وآخر ما توصلت إليه التقنيات الحديثة في كافة الأنظمة الكهربائية والميكانيكية والإلكترونية، وأنظمة التكييف والتخلص من النفايات بشكل آلي والاعتماد بشكل أساسي على التقنيات الحديثة في تشغيل وصيانة ونظافة التوسعة الجديدة، مشيرة إلى أن المشروع يوفر ١٥

ألف دورة مياه مجهزة بأحدث التقنيات والأنظمة للمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية وترشيد استخدام الطاقة.

وتهدف المراحل الثلاث إلى توسعة مبنى الحرم المكي بقصد استيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين لتصل طاقته الاستيعابية إلى مليوني مصل في وقت واحد، مع نهاية أعمال المشروع كاملاً، وتوسعة وتطوير الساحات الخارجية للحرم المكي ومنطقة الخدمات التي تعد أحد أهم المرافق المساندة وتشمل محطات التكييف والكهرباء والمياه وغيرها من المحطات التي تقدم الدعم لمنطقة الحرم.

ويتكون مشروع توسعة المسجد الحرام من بدروم وأربعة طوابق متكررة في كل دور دورات مياه، وتأقي خلف المسعى الجديد ثلاث ساحات متدرجة لتحقيق التسوية مع الجبال المقابلة للتوسعة، وهي في اتجاه دائري موجهة للكعبة المشرفة، وأسفل هذه الساحات أدوار أرضية لخدمات مثل مراكز الشرطة والدفاع المدني والإسعاف والمراقبة الأمنية ودورات مياه ضخمة.

كما يحتوي المشروع على بوابة الملك عبدالله بن عبدالعزيز من الجهة الشمالية، وهي بوابة ضخمة وعملقة ترتفع عليها مؤذنتان بنفس التصميم المعمولة في الحرم من أعمدة وأقواس وطرّاز إسلامي، ويتكون المشروع من ٦ مكونات رئيسية، فبالإضافة لمبنى التوسعة الرئيسين هناك الساحات الخارجية، الجسور، مبنى المصاطب، ممرات المشاة، مبنى

الخدمات ومحطات التكييف والتوليد الاحتياطية، فيما ركزت التوسعة على الالتزام بأعلى معايير الأمن وأدق نظم السلامة، وتسهيل أداء الصلاة وشعائر العمرة على أكمل وجه والمحافظة على نظافة المسجد الحرام وصيانتته من الأتربة والغبار.

كما تسارعت وتيرة العمل في رفع الطاقة الاستيعابية لصحن المطاف، وكشفت لـ «عكاظ» مصادر مطلعة عن أن أعمال التوسعة وصلت إلى مراحل متقدمة من التنفيذ، وأن الرئاسة ضاعفت جهودها بالتنسيق مع المجموعة المنفذة لمضاعفة الإنتاجية اليومية لإنجاز المشاريع، من أجل خدمة ضيوف الرحمن وتيسير أداء الفريضة.

العكاظ ١٠/٣/١٤٣٦ الخميس - العدد: ٤٩٤٦

٦ - الاستفادة من ٧٠٪ من توسعة المسجد الحرام حالياً و ٩٠٪ خلال رمضان

أكد لـ(عكاظ) وكيل الرئيس العام المساعد لشؤون الخدمات مشهور بن محسن المنعمي، أنّ الإدارة المعنية في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بدأت الاستفادة من المساحات التي تمّ الانتهاء منها من مشروع توسعة المسجد الحرام.

وبيّن أنّ المساحة التي تتم الاستفادة منها تمثل ٧٠٪ من إجمالي المساحة الإجمالية لمشروع التوسعة، متوقعاً أن تصل النسبة إلى ٩٠٪ خلال شهر رمضان المقبل، مشيراً إلى أنه تمّ فتح كافة مشاريع دورات المياه الجديدة حول المسجد الحرام ضمن أربعة مشاريع تمّ إنجازها مؤخراً ليستفيد منها ضيوف الرحمن.

وبيّن أنه تمّ التنسيق مع الإدارات والجهات المعنية بتقديم خدمات لضيوف الرحمن في المسجد الحرام، مضيفاً: استفاد المعتمرون وقاصدو بيت الله الحرام من المساحات التي تمّ الانتهاء منها من مشروع توسعة المسجد الحرام خلال صلاة الجمعة أمس، موضحاً أنه تمّ تجهيز الساحات بالفرش اللازم وتوفير السقيا من ماء زمزم، وتأمين وسائل الأمن والسلامة الضرورية، وانتشار رجال الأمن من القوة الخاصة بأمن المسجد الحرام ورجال الأمن والسلامة التابعين للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.



وزاد: «تمّ فتح أبواب الشبكة وجميع دورات المياه في المشاريع الأربعة التي تم استلامها مؤخراً، حيث تمّ تجهيزها وفق أعلى المواصفات»، مؤكداً أنّ هذا التوجيه الكريم يأتي نظراً لما يشهده المسجد الحرام من إقبال كثيف من المعتمرين والزائرين في ظل تنفيذ أعمال المرحلة الثالثة والأخيرة من مشروع رفع الطاقة الاستيعابية للمطاف.

مشيراً إلى أن المساحات التي ستم الاستفادة منها من توسعة المسجد الحرام تتيح مزيداً من الانسيابية لقاصدي المسجد الحرام، داعياً المعتمرين والمصلين للتوجه إلى المساحات التي تمّ فتحها في التوسعة بين باب الشبكة وباب العمرة.



العكاظ ٢/٥/١٤٣٦ السبت - العدد ٤٩٩٧

٧- الحرم المكي بعد التوسعة

تستمر أشغال توسعة الحرم المكي بوتيرة متسارعة لإتمام الأشغال في الآجال التي حددتها السلطات السعودية، أي قبل نهاية سنة ٢٠١٦، وتتواصل عمليات الهدم في المساحات المحيطة بالكعبة، دون أن يؤدي ذلك إلى إلغاء العمرة، باستثناء تقليص نسبة الحجاج بـ ٢٠ في المئة بالنسبة لكل دولة إسلامية، حفاظاً على سلامة ضيوف الرحمن.

وتبرز صور ميدانية حجم عمليات الهدم والاستعانة بتجهيزات وآلات جد متقدمة، حولت المساحات المحيطة بصحن الطواف إلى ركام

من الأتربة والحجارة، ومع ذلك استمر موسم العمرة بشكل عادي، في وقت يستعد الآلاف لشدّ رحالهم باتجاه البقاع المقدسة استعداداً لأداء عمرة رمضان.



ميقات الحج : ٤٣ - ٦٣٦ هـ

كما تكشف التصاميم الحرم مستقبلاً بعد التوسعة، حيث دفعت الأشغال بمنطقة الحرم في التوسع العمراني للاتجاه إلى أطراف مكة المكرمة،

وتهدف الأشغال إلى زيادة الطاقة الاستيعابية للطواف، ويستوعب المطاف حالياً ٥٠ ألف طائف في الساعة الواحدة، وسيستوعب بعد التوسعة ١٥٠ ألف طائف، وهو ما سيقضي بشكل نهائي على الزحام في مواسم الحج والعمرة.

كما ستؤدي أشغال التوسعة بعد انتهائها إلى زيادة في الطاقة الاستيعابية لجسر الجمرات ٣٠٠ ألف رام في الساعة، بغرض تخفيف الزحام على المسجد الحرام، علماً أن السلطات السعودية اضطرت إلى تقليص حصة كل دولة إسلامية من تأشيرات الحج بنسبة ٢٠ في المئة ضماناً لسلامتهم، وأدى القرار إلى تراجع حصة المغرب إلى ٢٥ ألف و ٦٠٠ حاج بدل ٣٢ ألف حاج، كما ألزمت أشغال التوسعة الجانب السعودي باعتماد ما أسمته بخطة متنقلة لتوجيه حشود المعتمرين والحجاج في مناطق توسعة صحن الطواف، تفادياً لحدوث تدافع بعد أن تقلصت المساحة خصوصاً في وقت الذروة، علماً أن عدد المسلمين يتزايد بنسبة ٢ في المئة سنوياً.

وبحسب القائمين على أشغال التوسعة على مستوى الحرم، واستناداً إلى التحفة المعمارية التي تكشفها التصاميم، فإن العملية تمر بثلاث مراحل وتستغرق كل مرحلة عاماً بأكمله، وتعد المرحلة الأولى هي الأصعب، لأنها تتعلق بتوسعة الناحية الشرقية المحاذية للمسعى، وستشمل النصف الشمالي الشرقي من المسجد الحرام وتنتهي من الناحية الجنوبية.

كما يتضمن المشروع إنجاز مستويات أو طوابق متسلسلة فوق التوسعة الأولى، وإنزال مستوى الأروقة إلى المستوى الذي عليه صحن المطاف حالياً، إضافة إلى مرافق إيفاء وعمارات أو ناطحات سحاب دائرة بالحرم، مع إيجاد مساحات خالية من العوائق داخل الأروقة، علماً أن أشغال التوسعة ستقلص عدد الطائفين في الساعة إلى ٢٢ ألف طائف بدل ٥٠ ألف.



وتعد أشغال التوسعة التي تشمل أيضا المسجد النبوي والمشاعر المقدسة الأكبر عبر التاريخ، لأن المساحة التي ستضاف إلى المسجد الحرام ستبلغ ٤٠٠ ألف متر مربع بتكلفة قدرتها السلطات السعودية بـ ٢٠ مليار دولار، فضلاً عن توسيع شبكة النقل، وستسمح التوسعة باستقبال ٢.٢ مليون مصلٍّ وقاصد للمسجد الحرام، وبالتالي تلبية رغبات كافة الدول الإسلامية بزيادة عدد حجاجها.

... وستنتهي توسعة الحرم المكي الشريف الحالية، بطاقة استيعابية للحرم تتجاوز في ذروتها القصوى ثلاثة ملايين مصلٍّ، و ١٠٥ آلاف طائف حول الكعبة في الساعة الواحدة.

وبعد مرور ١٤ قرناً مضت شهد بناء وعمارة المسجد الحرام نقلات معمارية كثيرة على مرّ العصور، غير أن التوسعة الأخيرة للحرم المكي الشريف تعتبر الأكبر والأكثر تطوراً وتوسعاً أفقياً ورأسياً وخدمياً.

وكانت أول توسعة للحرم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في العام الـ ١٧ من الهجرة، وفيها تمت زيادة مساحة المسجد ٥٦٠ متراً مربعاً، واشترى عمر البيوت القريبة من الحرم وهدمها.

ثم قام الخليفة عثمان بن عفان في عام ٢٦هـ بزيادة مساحة المسجد لتصبح حوالي ٤٣٩٠ متراً مربعاً، وكان عثمان بن عفان أول من أدخل الأروقة المسقوفة والأعمدة الرخامية للمسجد الحرام.

ومن ثم انطلقت في العصر الحديث مشاريع توسعة الحرم المكي منذ عام ١٣٤٤هـ، بصيانة المسجد الحرام وإصلاحه.

وفي مستهل عام ١٣٧٣ للهجرة أُدخلت الكهرباء وتمت إضاءة المسجد الحرام بالكامل، ووُضعت فيه المراوح الكهربائية، ثم استمرت عملية توسعة وتطوير المسجد الحرام، لتصبح مساحة الحرم ١٩٣ ألف متر مربع، وبلغت طاقته الاستيعابية حوالي ٤٠٠ ألف مصل.

واستمرت عمليات التوسعة وشملت إضافة جزء جديد إلى المسجد من الناحية الغربية، والاستفادة من السطح العلوي للمسجد، والذي وصلت مساحته إلى ٦١ ألف متر مربع.

ووصل استيعاب الحرم لأكبر عدد أكبر من المصلين آنذاك، ليصل إجمالي القدرة الاستيعابية للحرم ١.٥ مليون مصل، كذلك تم بناء مئذنتين جديدتين ليصبح إجمالي عدد المآذن وقتها ٩ مآذن بارتفاع ٨٩ متراً للمئذنة.

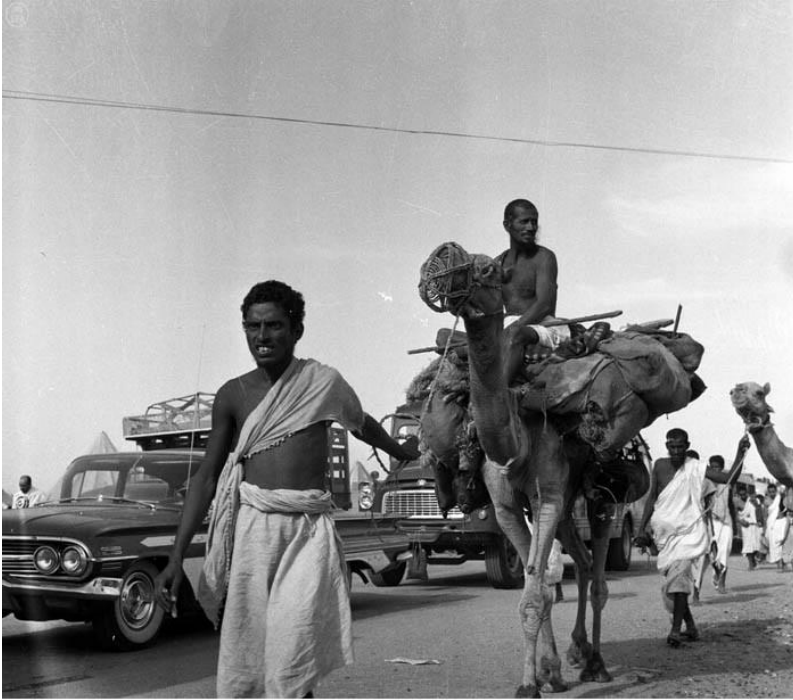
إحداث أكبر توسعة للحرم المكي الشريف

ولضخامة هذا المشروع وتنوع أبعاده كان من الضروري تقسيمه إلى ثلاث مراحل، وهدفت المرحلة الأولى إلى توسعة مبنى الحرم المكي. وأما المرحلة الثانية فتهدف إلى توسعة الساحات الخارجية للحرم التي تضم دورات مياه وممرات وأنفاقاً...

فيما هدفت المرحلة الثالثة إلى تطوير منطقة الخدمات التي تُعد أحد أهم المرافق المساندة التي تشمل محطات التكييف ومحطات الكهرباء، إلى جانب محطات المياه وغيرها من المحطات التي تقدم الدعم اللازم لمنطقة الحرم.

* * *

٨ - صور من أداء الحج قديماً و حديثاً:





ميقات الحج : ٤٣ - ١٤٣٦ هـ

